جيرارد جالياند

المأساة الكوردية



ترجمه الى الانكليزية:
فيليب بلاك

ترجمه:
عبدالسلام النقشبندي



جيرارد جالياند

المأساة الكوردية

ترجمه الى الإنكليزية:

فيليب بلاك

ترجمه الى العربية:

عبدالسلام النقشبندي



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

جيرارد جاليان
المأساة الكوردية
ترجمه الى الإنكليزية: فيليب بلاك
ترجمه الى العربية: عبدالسلام النقشبندي
منشورات اراس رقم: ١٢٦٠
الطبعة الثانية ٢٠١٢
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة
مطبعة اراس - أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٣٤٤ - ٢٠١٢
الاخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البنا

ردمك:
ISBN: 978-9966-487-28-7

فهرست

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع السيدات والسادة الذين قدموا لي المساعدة والمشورة عند قيامي بنقل الكتاب من الإنكليزية إلى العربية واخص منهم بالذكر فريد (Fred) الموظف المسؤول في مكتبة ليكسنجتون (Lexington) العامة في مدينة سان دييكو في ولاية كاليفورنيا إذ أرشدني وبكل رحابة صدر ومهنية عالية إلى الكتب والمصادر حول الكورد وكان لتعاونه أبلغ الأثر في إظهار هذا العمل إلى حيّز الوجود فله مني كل آيات العرفان والتقدير.

كما أتقدم بالشكر إلى السيد مرصاد اكري الكاتب الكوردي الساكن في سان دييكو حاليا لقيامه بمراجعة النص المترجم وتزويدي بملاحظات قيمة كان لها اثر ايجابي في تحرير الكتاب بصورته الحالية. ولا أنسى فضل السيد شيخ سعيد صالح العارف باللغة والأسماء الكوردية لقيامه بتدقيق قائمة الأسماء الكوردية وتصحيحها إملائيا. وكما اشكر ابنتي العزيزة زنار التي ساعدتني في الحصول على الكتب والمصادر الإنكليزية حول الكورد عن طريق الاتصال بالشركات ودور الطبع لهذا الغرض.

المترجم

عبدالسلام النقشبندي

٢٠٠٧/١/١٧

نبذة عن حياة المترجم

ولد المترجم عبدالسلام محمد رؤوف النقشبندي في قرية بامرني التابعة لقضاء العمادية في عام ١٩٣٨ ، اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة القرية والثانوية في دهوك. في ١٩٥٧ التحق بكلية التربية "دار المعلمين العالية" وتخرج منها عام ١٩٦١ . ليعمل في التربية والتعليم مدرساً للغة الإنگليزية وادارياً وأخيرا مشرفاً اختصاصياً لمدة ٣٣ سنة. ترك مهنة التعليم أواخر عام ١٩٩٤ بعد أن أحيل على التقاعد. كما عمل لفترة معداً للاخبار الانگليزية في تلفزيون «گةلي كوردستان» وبعد ذلك في تلفزيون «حقوق الإنسان». غادر كوردستان أواخر ١٩٩٦ وأستقر في الولايات المتحدة وهو يعيش اليوم في ولاية كاليفورنيا. سبق له ان ترجم كتاب «أقوياء قوة جبالهم » و«كورد العراق- آلام وآمال» و«شعب بدون وطن- الكورد وكوردستان» ولا يزال مستمراً في الكتابة.

الناشر

جيرارد جاليانـد وكتابه (المأساة الكوردية)

اكتسب جاليانـد شـهرة عـالمية واسـعة لقيامـه بتـغطيـة العديد من حــروب العصـابات وحـركـات المقـاومـة في شـتـى بقـاع العـالم. وفي اعقـاب حـرب الخليج تم تكليفه من قبل الأمم المتحدة بتقديم تقرير عن أوضاع الكورد. إن كتابه المأسـاة الكوردية يعتـبر احـد المصـادر المهمـة التي تبـحث في وضـــع وتاريخ الكورد. إذ يقدم جاليانـد سـرداً مثـيراً للباحث لمختلف المجمعـــات الكوردية منذ اندماجها في الإمبـراطورية العثمانيـة في القرن التاسع عشر ومـا رافقتها من ماسي وويلات تعرض لها الكورد. وجاليانـد يتناول الفترة التي اعقبت الحربين الأولى والثانيـة ويناقش كيفية ظهـور الحـركـات القـومـيـة الكوردية والظروف التي أدّت إلى إخفـاق تلكم الحركات .والذي يجعل من كتابه شيئا فريداً وممتعاً، تحليلاته الموضوعية للأوضاع والظروف التي عـملت فـيـهـا تلك الحـركـات. إن كـتـابه يعـتـبـر مـصـدرا مـهمـا يحـتـاجـه كل كوردي بل وكل دارس يريد مـعـرفـة المزيد عن الكورد والويلات التي تـعـرضـوا لها في كل من تركيا والعراق وإيران في سعيهم لنيل حقوقهم واثبات هويتهم.

الكتـاب يـحـوي مـعلومـات مـفـيدة وهو ثمرة جـهـد كـبـير لشـخـص يمتلك خـزينا من المعلومـات ويريد نقل الحـقـيـقـة عن الكورد إلى العـالم. اعتـمـد الكاتب على البـيـانـات والإحـصـائيـات الصـادرة من مراكـز وشـخـصـيـات مـعروفـة لإعطاء فكرة واضـحـة عن اعداد الكورد وأسـاليب عـيشـهم في البلدان التي يقيمـون فيها. وحفظاً لأمانة الترجمة فقد دونتها كما اوردها

الكاتب وهي اولا واخيرا تعبر عن رأي الكاتب وأرجو من القارىء إن يفهمها بشكل موضوعي وان لا يتأثر بآراء شخصية ومنفعلة. الكاتب لا يحابي جانباً على جانب وهو يقول ما يراه صحيحاً مهما كان مركز الشخص او الحركة التي يتناولها بالبحث. الشيء الذي يعطي الكتاب مصداقية وإستقلالية. انه يعالج الإحداث بكل إنصاف وجهد ينصب في صالح القضية الكوردية.

واخيراً اود إن اقول بأن الأسماء والأماكن الواردة وكذلك المصطلحات المستخدمة هي للمؤلف وهو عندما يقول مثلاً (شمال العراق) احياناً بدلاً من (كوردستان العراق) إنما يستخدم مصطلحاً جغرافياً لتعيين مكان ما من دولة العراق وهو أمر يخصه وعندما يقول إلى يومنا هذا او (إلى هذا التاريخ) فانه يعني بذلك تاريخ كتابته للأحداث في اوائل التسعينيات من القرن الماضي وليس الآن وهو مشكور على ما بذله من جهد في نقل صورة الكورد إلى العالم.

المقدمة

في الأيام الأخيرة لشهر آذار عام ١٩٩١ عرضت محطات التلفزة الغربية صوراً حيّة لنحو ١,٥ مليون كوردي عراقي وهم يندفعون في هجرة جماعية صوب الحدود الإيرانية والتركية. إن هذه الهجرة الكبيرة والتي يعود سببها إلى خوف الكورد من بطش القوات العراقية وضعت نهاية مؤلمة لإنتفاضة عفوية شملت كوردستان من أقصاها إلى أقصاها وتلك الإنتفاضة التي اعطت الكورد سيطرة وقتية على كوردستان العراق.

في إعقاب حرب الخليج إنتفض شيعة العراق الذين يكونون أكثر من نصف سكان العراق والذين يتمركزون بشكلٍ أساس في جنوب العراق ووسطه وفي غضون أيام قليلة تمكنوا من السيطرة على معظم جنوب البلاد. لقد كان رد فعل النظام بالغ العنف والقسوة وتم سحق العصيان وإستطاع صدام تفادي خطر تولي الطائفة الشيعية مقاليد السلطة او ممارسة اي نفوذ يتناسب وحجمهم السكاني.

وبضغط من المملكة العربية السعودية اوقفت الولايات المتحدة هجماتها على قوات صدام وبذلك تمكنت قوات الحرس الجمهوري-الذراع القوية للنظام- بقدراتها وفاعليتها القتالية ونجا صدام من السقوط وبقيت الأقلية السنية الصغيرة البالغة ٢٢٪ من مجموع سكان العراق في سدة الحكم إن هذه الأقلية السنية الإستراتيجية ظلت في الحكم منذ تأسيس حكومة العراق من قبل الإنكليز بعيد الحرب العالمية الأولى.

والجدير بالذكر ان السعوديين يهمهم كثيراً ان يبقى شيعة العراق

ضعفاء لكونهم مرتبطين بإيران ذات المذهب الشيعي بوشائج أقوى من تلك التي تربطهم بالسعودية ذات المذهب الوهابي.

إندلعت شرارة الإنتفاضة الكوردية بتاريخ ٦ آذار من مدينة رانية الواقعة على بعد كيلومترات قليلة عن الحدود الإيرانية العراقية. لقد كانت رانية شأنها شأن القرى والبلدات الكوردية الأخرى تعيش حالة من الهلع والترقب بسبب التهديد الصادر من السلطات بإزالتها ونقل سكانها إلى مناطق أخرى تسهل السيطرة عليها. وفي اليوم نفسه إستولى الكورد على مراكز الشرطة وألقوا القبض على ممثلي حزب البعث وأستولوا أيضا على ثكنات الجيش وسيطروا على الوضع بشكل جيد. لقد كانت الإنتفاضة سريعة وناجحة تماماً ولم تنجم عنها خسائر تذكر وإنتشرت في المنطقة برمتها إنتشار النار في الهشيم.

وفي الأيام الثمانية الأولى للإنتفاضة سقطت المناطق التابعة لأربيل والسليمانية الواحدة تلو الأخرى تحت وطأة ضربات الجماهير الهائجة.

أما الحركات السياسية الكوردية فإنها تفاجأت بالأمر ولم يكن أمامها إلا خيار واحد الا وهو خيار الإنضمام إلى الإنتفاضة التي لم تكن من صنعها ولم يكن لها يد في صياغتها وبلورة احداثها وحتى انها لم تتكهن بها. وبعد قتال دام ٤ أيام سقط القسم الأكبر من معسكر كركوك بأيدي الثوار الكورد وعلى اثر ذلك تدخلت القوة الجوية العراقية في القتال. في ٢٢ آذار تم إسقاط طائرة حربية عراقية من نوع سوخوي من قبل قوات الحلفاء غير إن الولايات المتحدة لم تعارض استخدام النظام للطائرات المروحية في إخماد الإنتفاضة التي قويت شوكتها وعظم شأنها واتسع نطاق رقعتها يوماً بعد يوم لتشمل معظم أجزاء كوردستان.

أما الهجوم البري المعتاد للقوات العراقية فلم يبدأ إلا في ٢٧ آذار. بما إن المقاتلين الكورد كانوا مسلحين تسليحاً خفيفاً فإن المدن الكوردية

سرعان ما إستسلمت للقوات العراقية وكان الإنتقام شديداً وعلى الأخص في دهوك. أما الأهالي فبسبب الذعر والخشية من بطش القوات أو استخدامها أسلحة كيماوية ضدهم على غرار ما حصل في ١٦ اذار١٩٨٨ فقد تركوا منازلهم ولاذوا بالفرار صوب الحدود الإيرانية – التركية– العراقية. وقدر عدد الفارين يومئذٍ بنحو ١,٥ مليون كوردي عبر ثلثاهم إلى إيران وبقي حوالي ٦٠٠٠٠٠ كوردي على الشريط الحدودي مع تركيا. إن وعورة المنطقة والبرد القارس في أواخر أيام الشتاء ساهما في تردي الأوضاع الصحية للكورد الهائمين في الجبال. كان الكورد في تلكم الأيام يمرون بأشد أيام وساعات المأساة حلكةً وضراوةً في تاريخهم منذ حملات القمع والتهجير والإبادة التي حلت بهم في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين في تركيا. غير أن اشتراك الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في حرب الخليج ضد صدام لغزوه دولة الكويت وضع الكورد في صدارة الأحداث الدولية. في ٢ نيسان عام ١٩٩١ طالبت فرنسا مجلس الأمن القيام بتدخل إنساني وسارعت بريطانيا إلى دعم هذا المقترح. غير أن الرئيس الأميركي وفي ٤ نيسان رفض القيام بأي تدخل عسكري مخافة تعريض أرواح الأميركيين الغالية للخطر. وفي ٥ نيسان شجب مجلس الأمن أعمال قمع المدنيين وطلب من بغداد تسهيل عملية دخول المنظمات الإنسانية إلى العراق. وفي اليوم نفسه وبضغط من فرنسا وبريطانيا وتركيا التي لم ترغب في رؤية اكثر من نصف مليون كوردي عراقي على أراضيها وافق الرئيس الأميركي على بدء تدشين عمليات إغاثة للاجئين وأُسقطت اولى هذه المعونات من الجو بواسطة المظلات.

وفي الثامن من نيسان قدمت بريطانيا مقترحاً لإقامة منطقة ملاذ آمن برعاية الأمم المتحدة داخل الأراضي العراقية غير أن هذا المقترح رفض

من قبل الولايات المتحدة. وفي العاشر من نيسان منعت واشنطن بغداد من القيام بعمليات عسكرية لقوات محمولة جواً في شمال العراق. وفي ١٦ نيسان وافق الرئيس الاميركي على تمركز قوات برية للحلفاء داخل الأراضي العراقية. وفي ٢٠ نيسان وصلت طلائع القوات الأمريكية تعززها وحدات صغيرة من القوات الفرنسية والبريطانية إلى مدينة زاخو الواقعة على مقربة من الحدود التركية وأقامت منطقة الملاذ الامن للأكراد. وفي الوقت نفسه بدأت حملة التضامن مع الشعب الكوردي تكبر وتتسع وعلى الأخص في اوروبا واميركا الشمالية وحتى في تركيا ألتي سمحت وعلى مضض تنظيم حملة جمع التبرعات والمعونات الإنسانية على نطاق الدولة للكورد الفارين من العراق.

والشيء الملفت للانظار انه طوال فترة الهجرة المأساوية للكورد لم يصدر أي رد فعل او تعليق رسمي من قبل أيةِ دولة عربية. ولأول مرة منذ ١٩٢٠ بدأت مداولات حول المسألة الكوردية من قبل منظمات دولية رسمية. فبطلب من فرنسا اصدر مجلس الأمم قراره المرقم ٦٨٨ الذي أجاز التدخل لأسباب إنسانية. وفي ٢٤ نيسان وبعد أيام من التفاوض في بغداد توصلت الحركات الكوردية المنطوية تحت لواء الجبهة الكوردستانية الموحدة التي يشكل كل من (جلال الطالباني رئيس الإتحاد الوطني الكوردستاني PUK ومسعود البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني KDP) قطبيها الرئيسين. توصلت هذه الجبهة إلى اتفاق مبدئي مع بغداد حول وضع كوردستان العراق. إن هذا المنعطف الكبير للأحداث كان ثمرة تواجد القوات المتحالفة في منطقة الملاذ الآمن في شمال العراق وعلى الحدود التركية. إن إتفاقية المبادئ هذه حول الحكم الذاتي بنيت أصلاً على اتفاقية سابقة وقعها صدام عام ١٩٧٠. إلا ان إحدى العراقيل التي اعترضت سبيل تطبيقها كانت وضع

كركوك الغنية بالنفط. إن هذا العائق ادى إلى استئناف القتال وانهيار الحركة الكوردية التي كان البارزاني يقودها عام ١٩٧٥.

إن توقف المفاوضات في الصيف كان نذير خطر يهدد مصير المفاوضات. ومع استمرار الحلفاء في النأي بأنفسهم عن الموضوع فقد فشلت الحركة الكوردية في تحقيق هدفها الرئيس وهو اتفاق على حكم ذاتي حتى وان كان بصيغة هي اكثر اعتدالا من النوع الذي كانوا يطالبون به شريطة ان يكون بضمانات دولية إذ بدونها يكون مجرد حبر على ورق. وكانوا على يقين تام بأن صدام وبدون تلكم الضمانات سينقلب وينقض عليه عند اول فرصة تسنح له بذلك وبقسوته المعهودة.

إن الكورد يتصفون بصفتين مميزتين. أولهما انهم أكثر الأقليات إضطهاداً على مدى ٦٥عاما. والثانية هي انهم اكبر الأقليات عددا حيث يربو عددهم على٢٠- ٢٥ مليونا موزعين بشكل غير متساو بين تركيا وإيران والعراق مع وجود أقلية صغيرة لهم في سوريا. ولكون الكورد كانوا جزءاً من الإمبراطورية العثمانية والفارسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى فلا غرابة في أن نجدهم اليوم موزعين بين ثلاث او أربع دول. ومع إنهيار الإمبراطورية العثمانية قامت بريطانيا بعد حصولها على إمتياز الإنتداب على بلاد ما بين النهرين بتوحيد ولايتي بغداد والبصرة مع ولاية الموصل التي بقي وضعها غير محسوم حتى عام ١٩٢٥. وتتميز ولاية الموصل كون غالبية سكانها من الكورد.

إن معاهدة سيفرز التي قضت بخلق كيان كوردي في الجنوب الشرقي من تركيا الحديثة آل مصيرها إلى العدم بسبب إصرار وإرادة مصطفى كمال اتاتورك الذي كان يحظى بمساندة وتأييد عدد من قادة الإمبراطورية العسكريين.

إن حرب الإستقلال القومي والتي خاضتها تركيا ضد اليونانيين وضد

الإنتداب الفرنسي على سيليسيا (Cilicia) وضد الأرمن ١٩١٨-١٩٢٠ حصلت على تأييد ومناصرة الكورد لها تحت شعار التضامن الإسلامي. وان عدداً من النخبة التركية تبنّوا المفهوم الأوروبي للقومية الحديثة. بعد التوقيع على معاهدة لوزان ١٩٢٣ والتي ضمنت له السيادة المطلقة. إحتضن كمال اتاتورك وقبل مجيء جمال عبد الناصر بثلاثين سنة بالسياسة القومية المعاصرة (القضاء على السلطان ونظام الخلافة وإيجاد نظام قانوني واستبدال الألف باء الرومانية بالألف باء العربية في الكتابة).

وفي عام ١٩٢٤ تم حظر اللغة الكوردية وبذلك فقد الكورد أحد أهم مقومات هويتهم القومية ولا قيمة لأحد إن لم يكن تُركياً او منتمياً إلى إحدى الأقليات الدينية التي لا تمتلك ارضا والتي تم الإعتراف بها في معاهدة لوزان. ويشمل ذلك عدة مئات الألوف من الأرمن الذين بقوا في تركيا بعد موجة الترحيل في ١٩١٥-١٩١٦ وحملات الإبادة التي رافقت عمليات الترحيل من الأناضول.

وكذلك اليونانيين الذين كانوا بأعداد أقل بعد حملة الإبادة الجماعية في بونتس (Pontus) بين عامي ١٩١٥- ١٩١٦ وبعد التبادل الجماعي لـ١,٢٠٠,٠٠٠ يوناني بـ ٦٥٠,٠٠٠ تركي اثر هزيمة اليونان في الحرب مع تركيا وأخيراً الأقلية اليهودية من Sepherdec والذين كانوا قد أُستقبلوا بحفاوة بعد طردهم من إسبانيا. إن معاهدة لوزان لم تعترف بأيةِ أقلية أخرى ولم تمنح الكورد هذا الوضع رغم انهم ومنذ ١٩١٨ وحتى ١٩٢٣ كانوا من أشد المناصرين للترك لتشابه الرابطة الدينية بينهما (كلاهما من مذهب السنة). وعلى النقيض من العرب في سوريا والأرمن لم تستغل النخبة الكوردية الفرصة الذهبية التي هيأها لهم إنهيار الإمبراطورية العثمانية وذلك بفتح آفاق رحبة أمامهم. سارع

الكماليون إلى ملء الفراغ الناجم عن رحيل السلطان وخيّبوا بذلك امال اليونانيين والفرنسيين والأرمن وقطعوا عليهم سبل استغلال الموقف الجديد. حضر مؤتمر السلام وفد كوردي وحاول كسب موافقة الأطراف المشاركة على مطالبهم. غير ان غياب طليعة كوردية واعية وتخلف المجتمع الكوردي اغلقا الباب أمام إنتشار الفكر القومي الوافد من أوروبا ورغم وجود مجموعات كوردية قليلة مؤثرة فان صورة وهيكلة التنظيمات الكوردية السياسية لم تتبلور إلا في أربعينيات القرن العشرين وحتى بعد هذا التاريخ فان هذه التنظيمات تميّزت بصراعات قبلية في مجتمع متجزئ. وحدثت صراعات شخصية بين قادة هذه التنظيمات الذين كانوا ينحدرون من عائلات دينية او قبلية.

إن المصادمات التي وقعت بين الماركسيين وغيرهم في الستينيات والسبعينيات وما بعدها لم تكن سوى صراعات قبلية قديمة على مراكز القوة ولكن بغطاء جديد وصبغة جديدة. إن حركات التمرد الكبيرة في القرن التاسع عشر في قلب الإمبراطورية العثمانية من قبل زعماء دينيين وغير دينيين ضد الباب العالي أدت بالأخير إلى التمسك بشكل أشد بسياسة المركزية في الحكم. إن الثورات في العشرينيات والثلاثينيات في كل من تركيا والعراق وبدرجة أخف في إيران كانت تعبيراً عن مزيج من التحفظ الديني في تركيا ويقظة إقليمية في البلدان الثلاثة ووطنية مشوبة بصبغة قومية على هيأة مطالب قدمت. لم تكن هنالك برامج محددة الأهداف ولا تنظيمات سياسية او كادر مؤهل ولم يكن هنالك تنسيق او سيطرة على الصراعات العائلية والقبلية. كما ان الكورد لم يكونوا قط نداً لحكومات عريقة مثل تركيا وإيران اللتان تمتلكان إرثا عسكريا وفكريا وسياسيا كبيراً. أما في العراق فان الموقف كان أفضل بعض الشيء إذ لم يكن قي مقدور السنة الذين كانوا في السلطة السيطرة على

المسـرح السـيـاسـي بنفس كـفـاءة الفـرس والتـرك على الأقل حـتى السبعينيات. إن عزلة الأقاليم الكوردية وافتقارها إلى منافذ بحرية سهلا على المرء إدراك المغزى من سعي التنظيمات السياسية الكوردية الحثيث للبحث الدؤوب عن تحالفات خارجية وخاصة منذ منتصف السبعينيات وما بعدها. لقد لعب كل من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وإسرائيل بالورقة الكوردية لإضعاف خصم إقليمي بشكل غير مباشر، في مطلع الستينيات قامت إيران بمساندة الكورد في العراق. وفي الحقيقة لم يكن اي طرف من اطراف النزاع راغبا حقا في تقديم المساعدة للكورد لإحراز نصر حاسم ومؤثر خشية حدوث إنعكاسات داخلية او إنتشار العدوى إليه. بالإضافة إلى ذلك كان هناك غموض يكتنف أوضاع المنطقة. ففي الوقت الذي تجد فيه إحدى الدول وهي تقدم العون إلى حركة كوردية في دولة جارة لها تجد هذه الدولة تقوم باضطهاد حركة كوردية فيها. إن مثل هذه الأعمال أدت إلى إحتدام الصراعات والخلافات بين التنظيمات السياسية الكوردية في كل من العراق وإيران في الستينيات وما بعدها.

إبان الحرب العراقية- الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) قامت كلتا الدولتين بتقديم العون العسكري إلى الحركة الكوردية المعادية للخصم. فالكورد في إيران تلقوا المساعدة من الحكومة العراقية. كما ان الكورد في العراق كانوا هم الآخرون ممن تلقوا المساعدة من إيران واحيانا من سورية المنافسة لحزب البعث العراقي. والجدير بالذكر هو ان كسب لعبة معقدة من هذا القبيل من قبل دولة اسهل من كسبها من قبل حركة سياسية قد تجد نفسها فجأة وقد جردت من كل أنواع العون والمساندة. وبما أن الكورد موزعون بين الترك والفرس والعرب فإنهم بطبيعة الحال يواجهون سياسات عدة تختلف الواحدة عن الأخرى من دولة إلى أخرى. فالسياسة

التركية تميل بشكل اكبر نحو صهر الكورد(التتريك) في حين إن إيران تتبع سياسة تتسم بمرونة اكثر في هذا الخصوص. فاللغة الكوردية وان كانت لا تدرس في المدارس فان الدولة تقوم بتقديم برامج إذاعية باللغة الكوردية.

أما في العراق فان الدولة تقبل باللغة الكوردية كلغة رسمية ثانية في البلاد وتعترف بمبدأ الحكم الذاتي على أن يكون تحت سيطرة وتوجيه حزب البعث. إن سياسة التهجير الجماعي وحملات إعادة إسكان الكورد في مناطق تسهل السيطرة عليها أمنيا وصهرهم قوميا سياسة مارستها السلطات التركية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين وفي عام ١٩٩٠ صدر مرسوم يخول القيام بمثل هذه العمليات مرة أخرى. واستخدمت مثل هذه الإجراءات من قبل السلطات العراقية أيضاً بعد عام ١٩٧٥ وبشكل منظم وعلى نطاق واسع في الثمانينيات. ولا نعرف على وجه الدقة اعداد الكورد في الهجرة الجماعية في آذار ونيسان من عام ١٩٩١ ولو ان بعض المصادر قدر العدد بين ١,٥ - ٢ مليون كوردي ممن فروا إلى إيران ومعسكرات على الحدود التركية- العراقية.

لم تشهد كوردستان حركة إستثمارات صناعية كبيرة من قبل حكومات الدول الثلاث. البنية التحتية للمناطق الكوردية فقيرة جداً. فالنظم الصحية والتعليمية عاجزة وغير كفوءة بالمرة والهجرة في هذه الدول من قرى وبلدات ومدن كوردستان إلى مدن خارجها كبيرة.

لقد دأبت الحكومات التركية منذ ١٩٢٤ وحتى نهاية القرن العشرين على إنكار وجود قومية كوردية على أراضيها. فالمفكر الاجتماعي التركي إسماعيل بيشكجي قضى ١٠ سنوات في السجن لكتاباته عن وجود قومية وخصوصية كوردية في تركيا. على كل حال لا يمكن حجب الشمس بغربال فالكورد أقلية قومية لها لغتها الخاصة بها ولا تمت هذه

اللغة بصلة من الصلات إلى مجموعة اللغات التركية. كان في السابق يطلق على الكورد مصطلح (أتراك الجبل) وفي الآونة الأخيرة بدا أسم الكورد يتردد على صفحات الجرائد. إبان حرب الخليج رفع الرئيس التركي توركوت اوزال الحظر المفروض على التحدث باللغة الكوردية علناً منذ عام ١٩٨٣. الكورد في تركيا لم يمنحوا اي حق آخر بما في ذلك حق التعلم بلغتهم او حق النشر والطبع بها. في ١٩٩٠ قامت السلطات العسكرية بمصادرة كل الحقوق بموجب قانون الطوارئ في الولايات الكوردية ردا على اعمال حزب العمال الكوردستاني (PKK). إن الحكومة التركية باعتمادها على ساسة تقليديين تارة وعلى عناصر المجتمع المدني تارة أخرى حاولت جاهدة فرض سياسة التتريك واصطدمت هذه السياسة بعائقين :

أولهما- التخلف الكبير الذي يسود المناطق الكوردية التي تفتقر إلى نظام تعليمي كفوء يمكن بواسطته تعليم اللغة التركية قسرا إلى الكورد.

وثانيهما- هو يقظة الخصوصية الكوردية التي ظهرت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

إن هذا الصهر الثقافي التركي نجح إلى حد ما في المدن الغربية من تركيا وفي مناطق وسط الاناضول حيث الكثافة الكوردية واطئة ولكون الكورد قد سكنوا فيها لأكثر من جيل من الزمن وحيث يجري تعليم الاطفال اللغة التركية وفي مدارس تركية. إن اللغة الكوردية والخصوصية الكوردية في تلكم المدن تحولتا إلى نوع من الفولكلور الكوردي واصبح عدد من الكورد في هذه المدن نواباً بل وحتى وزراء في الدولة. إن من بين أشهر الأمثلة على نجاح سياستهم في الصهر القومي في تلك المدن هي قصة الروائي يشار كمال الكوردي الأصل الذي يكتب مؤلفاته باللغة التركية ويابى الإشارة إلى أصله الكوردي. وعلى الطرف الآخر وعلى

النقيض من قصة يشار نجد السيد يلماز كوني الكوردي الذي ينتج جميع افلامه باللغة التركية ولكنه لا يجد غضاضة ابداً في الإشارة إلى اصله الكوردي وهو في الوقت نفسه احد الناشطين في الحملات التي تدعو إلى الاعتراف بحقوق الكورد.

والى فترة ليست ببعيدة كانت السلطات التركية تخشى من إن استخدام اللغة الكوردية ستنجم عنها آثار سياسية ستكون سببا في فرط عقد دولة اليعاقبة كما يراها اتاتورك. في حين يجد البعض الآخر عكس هذه الفرضية فهم يصرون إن جوهر المشكلة الكوردية يكمن في إنكار الوجود الكوردي طبقا للسياسة المتبعة منذ عام ١٩٢٤.

إن الوضع الحالي للمناطق الكوردية في تركيا والتي ترزح تحت وطأة الأحكام العرفية في ظل تشريعات بالغة الصرامة لا يبعث على التفاؤل بقرب حدوث انفراج وحدوث إصلاحات جوهرية. فمنذ عام ١٩٨٤ كانت الاولوية ولا تزال للإجراءات المتخذة لمواجهة (PKK) مع توغلات للجيش عبر الحدود العراقية التركية. ومهما يكن الأمر فان الموقف التركي اليوم إزاء الوجود الكوردي اصبح اكثر اعتدالا ومرونة عن ذي قبل.

في شباط عام ١٩٨٨ Bبدت الحكومة التركية امتعاضها من تقرير وزارة الخارجية الاميركية لذكرها وجود أقلية كوردية في تركيا وانتقد التقرير تركيا لخرقها لحقوق الإنسان لهذه الأقلية ووصف التقرير الوضع على النحو الآت :

(في الوقت الذي اندمجت فيه الأقلية الكوردية كلياً في الحياة السياسية والاجتماعية والإقتصادية للمجتمع التركي فأن سياسة الصهر القومي التي تتبعها تركيا تمنع نشر او صدور أيةِ مطبوعات باللغة الكوردية وتمنع مداولة أيةِ مواد لها صلة بتاريخ وتراث وهوية الكورد). ويستطرد التقرير ذاكرا حدوث حملات اعتقال وسجن في صفوف

الفنانين الكورد من مغنيين وممثلين لإستخدامهم اللغة الكوردية في اغانيهم وتمثيلياتهم.

إن القيود المفروضة على حرية التعبير كانت سببا لإثارة حنق جميع الكورد وخاصة اولئك الذين يقيمون في الجنوب الشرقي المتخلف اقتصاديا وحيث هم الاغلبية.

في السنوات الأخيرة بدأت الصحافة تناقش مبادئ كمال اتاتورك. ففي نيسان عام ١٩٩١ صرح توركوت اوزال إلى جريدة (توركمان) انه بالإمكان إيجاد حل للمشكلة الكوردية مبني على النموذج الباسكي وإذا كان اوزال يريد بذلك الحكم الذاتي الذي منح للسكان إلباسك في اسبانيا فان الشقة التي تفصلنا عن هذا النوع من الحكم الذاتي لازالت كبيرة وعلى الاخص إذا علمنا بان رفع الحظر على التحدث بالكوردية هو التقدم الوحيد الحاصل في تركيا في مضمار منح الحريات. أما في العراق فان النزاع بين الحكومة والكورد قد اتخذ طابعا معينا في العقود الثلاثة الأخيرة- أية حكومة تشعر بالضعف فهي تدخل في مفاوضات مع الكورد الذين يطالبون بحكم ذاتي ضمن إطار العراق الواحد.

وتستمر هذه المفاوضات لحين إستكمال الحكومة استعداداتها الهجومية وفي افضل حالاتها يتم التوصل إلى اتفاقية كتلك التي تمت في ١١ آذار ١٩٧٠ والتي بموجبها اعترفت الحكومة بحكم ذاتي للكورد. بعد ذلك تصل المفاوضات إلى نقطة الجمود حول تحديد مناطق الحكم الذاتي وحول المناطق الغنية بالنفط وطريقة توزيع الموارد......الخ. وعندما تشعر الحكومة بانها ستكون الطرف الرابح في المعركة تبدأ المصادمات وينتظر الكورد ساعة اعتراء الحكومة بالضعف من خلال إنقلاب عسكري او نشوب حرب بين العراق ودولة أخرى لكي يستطيعوا ممارسة الضغط على بغداد.

كل القرائن تشير إلى إن المفاوضات الجارية الآن بين الكورد وصدام تسير في ذات النهج السابق. بغداد تريد كسب الوقت والكورد يحاولون انتزاع اتفاقية على الورق لأنهم يعرفون إن صدام سينقلب عليهم في اقرب فرصة سانحة.

أما في إيران فان سياسة صهر الكورد والاذريين في المجتمع الفارسي كانت مستمرة إذ لا يحق لهم التعلم بلغاتهم والوضع الراهن لا يبعث على الأمل. بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٠ كانت سياسة رضا شاه مبنية على مبدأ إخضاع القبائل شبه الرحل التي كانت تحاول الإفلات من سيطرة الحكومة المركزية .أما الإنتفاضة التي تزعمها سمكو فقد تم سحقها واغتيل قائدها اثناء سير المفاوضات مع الحكومة. وتسارعت الاحداث بعد قيام جمهورية مهاباد بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية. إن الظروف التي ساعدت على قيام هذه الجمهورية قصيرة العمر والتي تم القضاء عليها بعد سنة من قيامها استندت على دعامتين وهما :

أولاً- إن إيران في ١٩٤٥ لم تكن تسيطر على الجزء الشمالي من البلاد.

وثانياً- هو إن السوفييت كانوا مصممين على مدّ نفوذهم في المنطقة عن طريق جمهورية اذربيجان مهاباد. وقامت الأخيرة بإحاطة نفسها بكل ما للدولة المستقلة من صفات بما في ذلك تأسيس قوة عسكرية وتصرفت بكل استقلالية عن طهران. وبعد ان وطد الانكليز إقدامهم في إيران منحوا الشاه كل وسائل الدعم لاستعادة السيطرة على البلاد وتم سحق الجمهورية واعدم جميع قادتها بمن فيهم رئيسها القاضي محمد. أما مصطفى البارزاني الذي كان مسؤولاً عن القوات المسلحة فقد تمكن من الهرب وشق طريقه مع عدة مئات من المقاتلين الكورد العراقيين إلى الإتحاد السوفيتي وبقي هناك إلى زمن سقوط النظام الملكي الهاشمي

في بغداد سنة ١٩٥٨.

منذ١٩٤٦ والحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني محظور من مزاولة اي نشاط سياسي واعضاؤه ملاحقون من قبل السلطات وكان على صلات وثيقة مع الحزب الشيوعي الإيراني (تودة) وأيد الحزب حكومة مصدق المناوئة للامبريالية إلى ان اطيح بها في انقلاب عسكري دبرته وكالة المخابرات المركزية (CIA) في ١٩٥٣. ومن جديد بدأ الحزب يتلقى الضربات الموجعة. وفي الستينيات من القرن العشرين حدثت انتفاضة فلاحية قادها الحزب الديمقراطي الكوردستاني ولكن تم إخمادها بسرعة. وساءت العلاقات بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني والحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي بزعامة الملا مصطفى البارزاني الذي كان يتزعم فصيلاً مسلحاً قوياً وكان يتلقى الدعم من السلطات الإيرانية. وبطلب من الأخيرة قام البارزاني باعتقال عدد من كوادر الحزب الإيراني وتم تسليمهم إلى الحكومة الإيرانية. وبقي الحزب الديمقراطي الكوردستاني معدوم النشاط حتى قيام المظاهرات سنة ١٩٧٨ ضد الشاه ليتولى عبد الرحمن قاسملو قيادة الحزب. شارك الحزب في المظاهرات في المدن وخاصة في مهاباد وانتهت هذه المظاهرات بسقوط الشاه في عام ١٩٧٩ واقيم حكم ذاتي في كوردستان إيران بمعزل عن طهران. غير إن نظام الآيات رفض التعامل مع اي شكل من أشكال الحكم الذاتي وقام الحرس الثوري الإيراني بعدة حملات لفرض السيطرة على كوردستان وبعد عدة سنوات أصبحت القوات الكوردية وراء الحدود داخل الأراضي العراقية و انتهت المفاوضات بين قاسملو ومبعوثين إيرانيين باغتيال قاسملو من قبل الوفد الإيراني المفاوض على غرار المصير الذي لقيه سمكو قبل اكثر من ثلاثين سنة.

أما في سوريا وحيث لايشغل الكورد إمتداداً أرضيا متصلاً فإنهم لم يمنحوا أية حقوق ثقافية. ومر الكورد في سورية بظروف قاسية في منتصف الستينيات حيث جرت حملات تهجير السكان الكورد من مناطق سكناهم لإسكان العرب مكانهم. وبمجيء حافظ الاسد والعلويين إلى السلطة والذين يشكلون ١٥٪ فقط من مجموع سكان سوريا تغير الوضع بالنسبة للكورد ولكن دون ان يطرأ تغيير على ميزان الحقوق. وبما أن العلويين أقلية صغيرة فقد أحتاجوا إلى مؤازرة أقليات أخرى لهم. وتحسنت أوضاع الكورد المادية بشكل أفضل عن ذي قبل وهذا الوضع مرشح للإنزلاق نحو الهاوية إذا قدر للنظام الأسدي الرحيل في يوم من الأيام.

ويمكن تقسيم تاريخ الكورد إلى عدة أحقاب مهمة :

المرحلة الأولى: ١٩٢٠- ١٩٤٥

في هذه الفترة كان الكورد موزعين بين ثلاث دول أو حتى أربع وهي تركيا وإيران والعراق وأستخدمت هذه الدول سياسات متفاوتة ومتعاقبة للدمج والقمع مع الإبقاء على الكورد في مناطق ذات موارد شحيحة ومحدودة وعندما اكتشفت موارد اقتصادية إستراتيجية مثل مخزونات النفط الهائلة في كركوك وغيرها من مناطق كوردستان فإن هذه الموارد لم تجد طريقها إلى الشعب الكوردي. وهذه الحقبة هي أيضاً فترة انتفاضات كبرى في تركيا (١٩٢٠- ١٩٣٠- ١٩٣٦- ١٩٣٧) والتي سحقت بدون رحمة اعقبتها حملات ترحيل المواطنين الكورد من مناطق سكناهم ومنع الاجانب من الدخول إلى المناطق الكوردية حتى ١٩٦٥ ولم يحدث اي اعتراف بوجود كوردي في هذه الفترة. إن هذا الإنكار للحقيقة لم يجد له مثيلا في القرن العشرين باستثناء النفي التركي المستمر

لعمليات الإبادة الجماعية للسكان الأرمن في ١٩١٥ و ١٩١٦.

أما في العراق ومع بقاء وضع ولاية الموصل غير محسوم حتى ١٩٢٥ فأن ثورات متعاقبة توالت بين ١٩٢٠ و ١٩٤٣ قادها الشيخ محمود الحفيد ومن بعده البارزانيون.

المرحلة الثانية: ١٩٤٥- ١٩٥٨

وتميزت هذه الفترة بقيام جمهورية مهاباد رغم قصر عمرها إذ انها لم تعمر لأكثر من سنة وإستمر الزعماء والوجهاء التقليديون لعب الدور المهم. وشهدت الفترة ميلاد عدد من التنظيمات السياسية والإدارية وممارسة إدارة نظام سياسي على أسس حديثة. اعقب ذلك قمع وكم الافواه في كل من تركيا وإيران والعراق حتى ١٩٥٨.

المرحلة الثالثة: ١٩٥٨- ١٩٧٥

وهي نتاج الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال عبد الكريم قاسم والذي انهى حكم العائلة الهاشمية في العراق. لقد كان في اعترافه بان العراق بلد تتعايش فيه القوميتان العربية والكردية شيء جديد تماما. وعندما ظهرت المسألة الكوردية في العراق من جديد بعد صمت دام لأكثر من عشر سنوات كان العالم قد تغيّر كثيراً. فالحقبة الإمبريالية وشبه الإمبريالية كانت في رمقها الأخير. آسيا أصبحت مستقلة وفي شمال إفريقيا كانت الجزائر البلد الوحيد الذي لم ينل استقلاله بعد.. غير ان حربه للتحرير لاقت تأييداً عالمياً واسعاً. غانا هي الأخرى نالت استقلالها. وبين إعلان الجمهورية في العراق وقيام مصطفى البارزاني بتمرده عام ١٩٦١ ومطالبته بحكم ذاتي للكورد في العراق ضمن إطار الدولة العراقية كان القسم الاكبر من افريقيا قد حقق الاستقلال. والجدير

بالذكر إن الشعوب الوحيدة التي نالت استقلالها هي تلك التي كانت ترزح تحت الاستعمار الغربي. أما الكورد فانهم يقعون في خانة هذه الشعوب إذ هم رعايا دول موغلة في القمع والاستبداد ومنح الأقليات حقوقها وحرياتها يعني لهذه الدول شيئا خطيرا لا يمكن الإقدام عليه.وتعتبر هذه الفترة فترة انتعاش الحركة السياسية الكوردية في العراق في ظل حرب باردة. وعندما اطلق الرئيس الاميركي ترومان مبدأه الشهير كان قد تم محاصرة الإتحاد السوفيتي لا في اليونان فحسب (الحرب الاهلية) بل وأيضاً في تركيا (مطالب السوفييت في كارس واردهان) وكذلك في إيران بعد القضاء على جمهوريتي اذربيجان مهاباد.

وكان الكورد في كل من إيران والعراق يعتبرون من الموالين للسوفيت وفي الحقيقة كان للسوفيت بين الكورد في هذه الفترة مؤيدون كثيرون.

من عام ١٩٦١ والى عام ١٩٧٥ عانى الكورد في العراق مرارة التحالفات السياسية. فقد تخلى السوفييت عن البارزاني وحركته وفضلوا التحالف مع بغداد ووقع السوفييت معها معاهدة صداقة وتعاون في عام ١٩٧٢. وبقرار اتخذه الرئيس الاميركي نيكسون وكيسنجر حلت المعونة السرية من مجلس الامن القومي محل المعونة السوفيتية. إن التحالف العراقي السوفيتي الجديد اثار قلق الاميركيين. أما إسرائيل فقد كانت متحمسة لتزويد الكورد بمساعدة سرية لغرض إضعاف خصم لها عضو في جبهة الرفض لإسرائيل. أما فيما يتعلق بإيران فقد كان البارزاني دائم التوجس والحذر منها على عكس الثقة التي كان يوليها للولايات المتحدة. فالإيرانيون سحبوا دعمهم للاكراد مقابل تنازلات وامتيازات منحهم إياها النظام العراقي في ١٩٧٥ عندما ادركوا بانه لم يعد في

مصلحتهم الاستمرار في مساندة الكورد وإنهم حصلوا على مبتغاهم من هذه المساعدة. أما بالنسبة للاكراد فان النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين كان زمن ركود وإخفاقات مرة.

المرحلة الرابعة: ١٩٧٥ - ١٩٩٣

إن انهيار النظام الشاهنشاهي عام ١٩٧٩ واندلاع الحرب بين العراق وإيران في ١٩٨٠ كانا عاملين مساعدين لظهور الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني على مسرح الاحداث من جديد ولفترة قصيرة مع إقامة حكم ذاتي منشق عن طهران. وحاولت كل من الدولتين المتحاربتين استغلال الكورد في إضعاف الخصم.

إن الحركات السياسية الكوردية وبعد أن تلقت مساعدات إيرانية وأخرى سورية بدأت بالنمو بشكل أثار معه مخاوف الجارة تركيا حيال مناطق تواجد حزب العمال الكردستاني داخل الأراضي العراقية منذ ١٩٨٣. وظهور الحركات الكوردية في تركيا من جديد السمة البارزة لفترة منتصف السبعينيات وكان (PKK) أحد أعنف هذه الفصائل التي لجأت إلى استخدام السلاح. وقام الجيش التركي بحملات عدة عبر الحدود لتدمير قواعد حزب العمال الكوردي. وعندما وضعت الحرب العراقية الإيرانية اوزارها عمد النظام العراقي إلى قطع كل اشكال الدعم عن الكورد. وتميز عام ١٩٨٨ بإستخدام النظام العراقي السلاح الكيمياوي وانتشرت انباء مجزرة حلبجة في الآفاق بعد عرض محطات التلفزة صوراً بشعة لها. ورغم ظهور هذه المشاهد المروعة على شاشات التلفزة الغربية فان نظام صدام حسين استمر في إنكاره استخدام اي غاز ضد الكورد في العراق. وحتى تركيا التي لجأ إليها اكراد فروا من العراق بعد هجوم الجيش العراقي عليهم اعلنت إنها لم تعثر على آثار

لسلاح كيمياوي على اللاجئين ورفضت السماح لمفتشين دوليين دخول الأراضي التركية للتحقق من صدق الانباء.

في عام ١٩٨٨ وحتى بداية ١٩٨٩ واصل صدام حسين سياسة تهجير الكورد وإعادة إسكانهم في مناطق سهلية وهي سياسة انتهجها النظام لاكثر من عقد من الزمن. وقدر الاميركيون إن عدد القرى التي دمرها النظام بحوالي ١٢٠٠ قرية في حين تقدر المصادر الكوردية هذا العدد باكثر من ٣٥٠٠ قرية. إن احداث ربيع ١٩٩١ افرزت نتائج سياسة والتي استمرت لفترة طويلة وخلقت اكبر هجرة جماعية في تاريخ الكورد واعمقها مغزى وإثارة منذ هجرة الافغان إلى باكستان عام ١٩٨٠ مع وجود فارق كبير بينهما وهو إن هجرة الافغان لم تكن فجائية وعلى دفعة واحدة فهي اخذت حيّزاً زمنياً اطول. ماهي مؤشرات ميزان القوى اليوم وبعد عقود من الكفاح بوسائل سلمية تارة وأخرى عنيفة ودموية تارة أخرى ؟ بعد اغتيال قاسملو اصبح المشهد السياسي الكوردي في إيران شبه راكد حيث تمكنت الحكومة من بسط سيطرتها على كوردستان إيران. أما في العراق فان المفاوضات بين الجبهة الكوردستانية الموحدة وصدام اعطت الاخير فترة لإلتقاط الأنفاس وليتحين الفرصة المواتية لحظة توقف الحلفاء عن مساندة الكورد لينقض عليهم وعلى حكمهم الذاتي الذي اقاموه في منطقة الملاذ الآمن. أما بخصوص الحركات الكوردية فإن المأزق الحالي الذي تجد نفسها فيه ماهو إلا نتاج فشل القيادة السياسية في الحصول على ضمانات دولية لأي حكم ذاتي يحصلون عليه. وطبقاً لتقارير المفوضية العليا لشؤون اللاجئين فان قصف الجيش العراقي في تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٩١ تسبب في حدوث موجة من اللاجئين قدر عددهم بـ ٢٠٠٠٠٠ ليضافوا إلى الاعداد

المسجلة لديها والبالغة ٥٠٠٠٠٠ كوردي. أما في تركيا فقد خرجت الصحافة من صمتها الطويل واخذت تتحدث عن الكورد. إن مبادرة السيد اوزال الإيجابية كان من شأنها إلغاء قانون ١٩٨٣ الذي بموجبه منع التكلم بالكوردية علنا. واثناء حرب الخليج ولاسباب بدت له مواتية ذكر الرئيس التركي اوزال وجود ١٢ مليون كردي في تركيا اي ما يقارب ٢٠ ٪ من مجموع السكان. وفي الثامن من كانون الاول ١٩٩١ اكد السيد ديميريل اقوال اوزال عندما اعترف بوجود كوردي ولكن ورغم ذلك لم تتخذ أية خطوات أخرى على طريق تحقيق حقوق ثقافية للكورد رغم معاناتهم التي دامت اكثر من ثلاثة عقود ناهيك عن تلك المآسي التي حلّت بهم في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. فان موازين الحقوق لازالت مختلة بشكل خطير. والآن وفي ظل الحقائق الجغرافية والسياسية القائمة يطرح السؤال الآتي : هل بإستطاعة الكورد في تركيا أو في إيران او العراق تحقيق اي قدر من الحكم الذاتي بقوة السلاح او نيل الاستقلال الذي ينادي به حزب العمال الكوردي ؟

يبدو الأمر عصياً عليهم في عالم خرج لتوه من حرب باردة طويلة مع بقاء الحاجة لتلبية رغبات هذا الحليف او ذاك. ولكن أما آنَ الأوان للدول الديمقراطية في الأمم المتحدة ان تعمل على تغيير قواعد اللعبة السياسية الدولية ؟

١- لم نتطرق إلى ذكر أكراد الإتحاد السوفيتي السابق نظراً لكونهم لا يمتلكون وطناً خاصاً بهم ولأنهم يتواجدون في جمهوريات عدة وعليه فان دراستهم تختلف عن دراسة اكراد العراق وإيران وتركيا وسوريا.

٢- إن نسب الأقليات في ولاية الموصل عام ١٩٢٣ هي ٥٨ ٪ اكراد و ٢٣ ٪ عرب و ١٩ ٪ أقوام أخرى.

٣- إن مفهوم القومية المعاصرة كان غريباً على منطقة الشرق الأوسط

حتى الحرب العالمية الأولى بإستثناء نفر معدود من النخبة في المدن.

٤- الكورد يشكلون قـرابة ٢٥ ٪ من سكان العـراق و٢٠ ٪ من سكان تركيا ونحو ١٥ ٪ من سكان إيران.

٥- هنالك نصف مليـون كـوردي في الدول الغـربيـة منـهم ٤٠٠,٠٠٠ في المانيا و ٦٠,٠٠٠ في فرنسا.

٦- نص القـانون الصـادر عـام ١٩٨٣ على إن جمـيـع مـواطني تركـيـا هـم اتراك وان التركية هي لغة الجميع.

٧- الازك، بنـغـول، توبخلي، وان، ديار بكر، مـاردين، سـيـرت، هـكاري، باتمان، شرنخ جميعها ولايات كوردية.

٨- جميع الثورات الكوردية قادها رجال دين ما عدا إنتفاضة ١٩٣٠ في تركيا وثورة سمكو ١٩٢٥ في إيران.

إن فشـل الأمم المتحدة في عام ١٩٦٢ في ردع إثيوبيا من ضم اريتريا التي كانت تتمتع بحكم ذاتي بموافقة الأمم المتحدة ادى إلى قيام صراع دام ٣٠ عاما. لقد حان الوقت للمنظمة الدولية ان تتيقن من أن الاتفاقيات بين الدول والأقليات فـيـها تراعى وتحـترم واصبح لزاما عليـها ان تدافع عن حـقـوق الأقليـات إذا مـا حـدثت خـروقـات واضـحـة لحـقـوقـهـا حـسب المعايير الدولية. إن من بين الأقليات التي عـانت صنوف القـهر والحرمـان طيلة ٦٥ عـامـا هـي الأقلية الكوردية التي دفـعت افـدح الإثمـان لمطالبـتـها بحقوقها.

الهوية الكوردية

إن المصطلح الجغرافي(كوردستان) لم يطلق أبداً على دولة. ففي العهد العثماني أُستعمل للدلالة على مقاطعة كانت مساحتها تساوي مساحة ولاية ديار بكر الحالية. أما في إيران فإن التسمية أُطلقت على المناطق ذات الأغلبية الكوردية. إن الكورد في مجموعهم يحتلون طرق مواصلات تقع بين تركيا وإيران والعراق. إن هذه المنطقة الجبلية التي عرفت باسم كوردستان أستخدمت كثيراً ملاذاً إبان الغزوات المتعاقبة التي تعرضت لها المنطقة في القرون الماضية. إن جبال طوروس في تركيا وزاجروس المطلة على سهل ميسوبوتاميا (بلاد مابين النهرين) ما هي إلا أمثلة لطبيعة المنطقة الجبلية. أما بإتجاه الشمال والشمال الشرقي فتقع هضبة الأناضول التي كانت موطن الأرمن قبل ترحيلهم منها وإحلال الكورد محلهم خلال القرنين الماضيين. إن إبادة الأرمن في ١٩١٥ و ١٩١٦ حولت الهضبة إلى منطقة كوردية. إن المنطقة المأهولة بالكورد في الجنوب وتلك المجاورة للاذريين في الشرق محددة المعالم والحدود فالكورد يقطنون القسم الجبلي ولكن في المناطق الشمالية الشرقية يتداخل السكان الكورد والترك كثيراً.

تتميز كوردستان بمناخها القاري البارد الممطر شتاءً والحار الجاف صيفاً. كانت كوردستان والى قرن مضى مغطاة بالغابات الكثيفة المتنوعة الأشجار. غير إن تزايد السكان وحاجتهم إلى الحطب للتدفئة والطهي تسببت في إزالة قسم كبير من الغطاء النباتي الأمر الذي ادى إلى

حـدوث مـشـاكل للزراعـة تمثلت في إنجـراف التـربة وقلة خـصـوبتـهـا. كوردستان تحوي مخزونات من معادن الكروم والنحاس وخامات الحديد والفحم الحجري ولكن ثروتها المهمة هي البترول حيث توجد حقول له في الموصل وكركوك وخانقين وكرمنشاه.

وبما ان الدول المعنية بالشـأن الكوردي لم تقدم أي إحـصـاء بنفوس الكورد فان التقديرات تتباين من مؤرخ إلى آخر. ويقدر عددهم الحالي بحوالي ١٤ مليون في تركيا و٧ ملايين في إيران و٤ ملايين في العراق ومليون في سوريا وبذلك يكون المجموع الكلي لهم ٢٥ مليون موزعين بشكل متفاوت بين هذه الدول الاربع. إن نسبة قليلة جدا من الكورد هم من الرحل. أما الغالبية العظمى فتسكن القرى والمدن والقسم الاكبر منهم يعمل في الزراعة وتربية الاغنام. إن المنطقة الجبلية فقيرة بغلالها ولكن القسم الجنوبي من كوردستان في العراق وسوريا يعطي غلالا وافرا. التبغ محصول مهم من المحاصيل النقدية في إيران والعراق وجنوب شرقي تركيا. أما زراعة القطن فقد ادخلت حديثا إلى تركيا. ويمكننا القول بأن الفلاحين في المناطق الجبلية هم ملاكوا الارض ويطبقون الأساليب القديمة التقليدية. أما في المناطق السهلية الجنوبية فتجد الملاكين الكبار الذين يعتمدون المكننة الحديثة ويستخدمون مزارعين مستأجرين وعمالاً زراعيين موسميين. إن التزايد السكاني ادى إلى تفتيت الملكية الزراعية إلى وحدات صغيرة لا تفي بحاجات العائلة. كما أن الهجرة الإقتصادية من القرى والمدن الكوردية إلى مناطق ومدن صناعية في تركيا افرغت المناطق الكوردية من عناصرها المنتجة.

إن المشاكل السياسية وضعف البنية التحتية الناجمين عن سياسة الدولة لا يشجعان على قدوم الرساميل للاستثمار في المناطق الكوردية.

فالصناعة تكاد تكون معدومة إذا استثنينا صناعة استخراج النفط وخامات الحديد والفحم. إن إنتاج التبغ محدود بسبب احتكار الدولة للمحصول وتسعير المنتج في كل من إيران وتركيا والعراق. أما الحرف اليدوية التي كانت لأمدٍ طويل حكراً على الأقليات المسيحية واليهودية فقد كانت مزدهرة في مدن ديار بكر وبتليس ووان وأربيل والموصل عندما لم يكن العنصر الكوردي هو المهيمن عليها. أما الريف فقد بقي مكتفياً ذاتياً في إنتاج ما يحتاجه من المواد في حياته اليومية.

إن إختفاء الحرف اليدوية في كوردستان مردُّه إختفاء الأقلية الدينية. فالأرمن تم ترحيلهم وإبادتهم أبان الحرب الأولى. والتجمعات المسيحية طردت من الاناضول وقيام دولة إسرائيل ادى إلى هجرة جميع يهود الشرق إليها. إن مهنة غزل ونسج الصوف التي كانت من اختصاص الأرمن فتدهورت. كما أن نظم الري المتطورة نسبياً في القرى المسيحية وألتي كانت أفضل من مثيلاتها في القرى الكوردية أُهملت ولم تجر عليها أعمال الصيانة بعد أن هجرها أصحابها. أما العامل الآخر الذي ساهم في إحداث هذا التدهور في صناعة الحرف اليدوية فهو إنفتاح كوردستان بشكل تدريجي على العالم الخارجي وتحسن طرق المواصلات ووصول البضائع الأجنبية المصنعة في أوروبا ومنافستها للبضاعة المحلية اليدوية الصنع إنقرضت هذه المهن في كثير من المدن أو انها تحولت إلى أخرى لتلبية الحاجات الجديدة او هجرها أصحابها لعدم تمكنها من منافسة البضاعة الجديدة والأرخص ثمناً والأعلى جودةً. وعلى هذا الأساس تحولت كوردستان من الإقتصاد التقليدي إلى إقتصاد أكثر تطوراً وذلك بالإعتماد على البضاعة المستوردة الجديدة.

الحركة الإقتصادية في كوردستان بطيئة لغياب عنصر التصنيع ورداءة

طرق المواصلات. فالطرق الموجودة أُنشئت أصلاً لغايات عسكرية وليست إقتصادية والمعبدة منها قليلة والسفر لمسافات قصيرة يستغرق وقتاً طويلاً والأسهل على المرء الوصول إلى مدينة بعيدة منه إلى قرية مجاورة لا تبعد عنه سوى كيلومترات قليلة.

تعتبر اللغة الكوردية واحدة من مجموعة اللغات الإيرانية وتحتوي على لهجات عدة منها (الكرمانجي) التي يتحدث بها معظم الكورد في تركيا وثلث اكراد العراق وسوريا وعدد منهم في إيران. لهجة (سوراني) وتستعمل في العراق وإيران ولا تفهم بسهولة من قبل اولئك الذين يتحدثون الكرمانجية. وهنالك مجموعات يتكلمون بلهجة (كوران) في العراق وهنالك أخرى تدعى زازا.

إن الكورد يعبرون عن انفسهم بالكوردية ومنهم من لا يفهم لغة أخرى غيرها. إن وجود نوعين من الحروف الكتابية. الرومانية في تركيا والعربية في المناطق الأخرى يشكل عقبة بين المجتمعات الكوردية المختلفة.

العامل الديني

معظم الكورد هم سنة على المذهب الشافعي وهذا يميّزهم عن الترك والعرب الذين يجاورونهم والذين يتبعون المذهب الحنفي وعن الترك الاذريين والفرس الذين يعتنقون المذهب الشيعي. وهناك في تركيا مجموعة كوردية لا تنتمي إلى المذهب الشيعي المعروف (الاثنا عشرية). انهم علويون (حواريو علي) وكثيرون منهم يتكلمون لهجة زازا. وفي كرمنشاه وخانقين توجد عدة عشائر على المذهب الشيعي المألوف ولكن عدداً منهم في غرب كرمنشاه وكركوك ينتسبون إلى مذهب اهل الحق.ومن الجائز إن اهل الحق قد جاؤوا اصلاً من الطائفة الإسماعيلية وبينهم وبين الاثنا عشرية اختلافات كبيرة. أما الايزيدية فإنهم يتّبعون ديانة توفيقية تظهر عليها بصمات قوية للإسماعيلية ويوصفون من قبل البعض من جيرانهم بأنهم عبدة الشيطان. والايزيدية يحتفظون بعلاقات اوثق مع المسيحيين عن المسلمين ويسكنون مناطق تقع غربي مدينة الموصل وفي الشيخان شمالي شرقي المدينة نفسها وعلى مقربة من مرقد ومزار الشيخ عادي. وبما إنهم كانوا ملاحقين ومضطهدين في النصف الاول من القرن التاسع عشر فانهم وبمرور الايام تمركزوا في القوقاس وهرب كثيرون منهم في الآونة الأخيرة من العراق وتركيا إلى المانيا بسبب اضطهاد الاغلبية المسلمة والحكومات لهم.

وحسب الاعراف السائدة يومئذ كانت المجتمعات المسيحية واليهودية تتمتع بمنزلة ادنى، والحماية التي اعطيت إلى المسيحيين من قبل الغرب (روسيا وبريطانيا اعطت الحجة لإرتكاب مجازر وحشية بحقهم وكثيراً

مـا كـانت هـذه الجـرائم ترتكب تحت سـمع وبصـر البـاب العـالي وبعلم وتحريض منه. وفي عام ١٩١٥ اخذت الهجمات على المجتمعات المسيحية منحى جديدا جاءت على هيئة حملات تـهجير وإبادة بتدبير من حكومـة الشـباب الترك وبمشـاركة من بعض العشـائر الكوردية. واتسـعت اعمـال القمع لتشمل أيضاً اليعاقبة والآشوريين والنساطرة لتتسبب في هـجرة كـبـيـرة نحـو العـراق وسـورية اللتين كـانتـا تحت الانتـداب الفـرنسـي والبريطاني. وانتفض الآشوريون ضد الحكومـة العراقية في عام ١٩٣٣ في مسـعى منهم للحصـول على الحكم الذاتي وتم إخمـاد حـركتـهم بعنف وارسل البطريارك إلى المنفى.

بين السنة والشيعة يتمتع السادة الذين هـم نظريا ينحدرون من سـلالة النبـي مـحـمـد (ص) بوضـع مميّـز ولكنهم لا يتـمـتـعون بين الكورد بنفـوذ كبير. الزواج بينهم ينحصـر عادة داخـل الجـماعة وهـم لا يشكلون طبقة اجتماعية وفيهم الفقير والغني. الانتمـاء العائلي له اهمية في تقرير مركز الفـرد. فـشـيـوخ الطريـقـة القـادرية الذين هـم سـادة اعلى شـأناً فـي نظر العشـائر الأخرى المنافسـة لهم حتى ولو اصطبغت هذه الصبـغة بصبغة المشاعر القومية. أما منصب (وظيفة المفتي) في العهد العثماني فانه كان يتمتع بمركز ديني اكسبه نوعا من الاحترام بسبب الشـرع القرآني. فهو يستطيع إصدار الفتاوى وتكون عادة نافذة المفعول. وبما انه يستند في منصبه على حكومـة السلطان او الامير المحلي فـانه لم يلعب دورا مـهمـا في الحـركـات السـيـاسـيـة والدينية. وبإلغـاء الخـلافة في عـام ١٩٢٤ فـقد المفتي مركزه واصبح موظفاً عاديا لا سلطة له على الإطلاق. كـان (الملا) على صـعيد القرية الكوردية يلعب دورا مـهمـا فـهو يعلم الاطفال مـبادئ الدين ويحيي المناسبات الدينية وكان لفترات طويلة حامي الثقافة والادب

الكوردي مثل الشعر وتنظيمه والقصة وعلم اللاهوت ولكن اضمحل دوره تدريجيا بانتشار المدارس الحكومية.

ولا بد ان نتطرق إلى دور الطرق الصوفية بين الكورد لما لها من دور اجتماعي وسياسي. وكما هي الحال في كل المجتمعات القبلية فان اشخاصا معينين ولما لهم من صفة شرعية خارج حدود العشيرة يحققون مراكز قوة عن طريق التسامي وتشعب الأفخاذ. فلا غرابة إذن ان نجد معظم القادة الكورد منحدرين من اصول دينية وخير مثال على ذلك ملا مصطفى البارزاني وجلال الطالباني. وشيوخ الطرق الصوفية موضع احترام وتقدير الجميع ويتمتعون بنفوذ واسع، وفي كثير من المناسبات كانوا يعملون كوسطاء لفض النزاعات. وبفضل مريديهم المنتشرين يستطيعون تعبئة قطاعات كبيرة وهذا مبعث سر قوتهم السياسية. الشيوخ جميعا ينتمون إلى إحدى الطريقتين، الطريقة القادرية والنقشبندية والتنظيم الصوفي مستقل عن العشيرة والدولة ويعمل وكأنه كيان قائم لذاته.

لا توجد في الطريقة الصوفية مركزية صارمة ويمكن لها ان توجد لنفسها مراكز إقليمية يعمل الواحد بجنب الآخر. إن ثروة الشيخ تأتي عادة من قدرته على شفاء الأمراض وبشكل اخص على البركة التي يمنحها الله له. المريدون عادة يجلبون الهدايا عند زيارتهم للشيخ. وللشيوخ الذين يمتلكون مناطق نفوذ امتيازات لا يمتلكها اغا العشيرة إي رئيسها.

إن مركز الشيخ الاجتماعي يتيح له عقد تحالفات عشائرية عن طريق الزواج الذي يقوي من نفوذه السياسي والاجتماعي والاقتصادي. إن العلاقات الصارمة بين الشيوخ والفلاحين أدّت في اوقات كثيرة إلى

حدوث حالات عصيان. الشيوخ عادة يختارون مريديهم من بين الطبقات الدنيا في المجتمع والتنظيمات الصوفية مفتوحة أمام المظلومين وربما استخدمت من قبل الحركات القومية.

الطريقة القادرية اخذت اسمها من اسم عبد القادر الگيلاني (١٠٧٧- ١١٦٦) الذي لم يكن شيخاً بارزاً من شيوخ الطريقة القادرية رغم تلقيه تعاليم الجماعة. كما لم يعرف عنه بانه ولي من اولياء الطريقة هذه إلا بعد وفاته بحوالي ١٥٠ سنة. والطريقة لم تنتشر إلا في القرن الخامس عشر الميلادي وبقيت الطريقة الصوفية الوحيدة في كوردستان إلى القرن ١٩ ولا تزال تحتفظ ببعض من حيويتها.

أما الطريقة النقشبندية فقد تأسست في القرن الثالث عشر وأخذت اسمها من اسم بهاء الدين (١٣١٨- ١٣٥٩) الذي قام بإدخال إصلاحات عليها. الطريقة النقشبندية دخلت كوردستان بعد فترة طويلة من هذا التاريخ وكان ذلك في القرن ١٩ على يد مولانا خالد وهو كوردي من عشيرة الجاف. واستطاع بقدراته الخطابية الفذّة نشر هذه الطريقة. إن أوضاع كورستان في العهد العثماني بداية القرن التاسع عشر تفسر هي الأخرى اسباب وكيفية انتشار الطريقة النقشبندية. إن تغلغل النفوذ الامبريالي الاوروبي (بريطانيا مثلا) ونشاط البعثات التبشيرية أثار الشكوك لدى المسلمين وردود فعل سلبية تجاه هؤلاء المبشرين. ولاقت رسالة النقشبندية وخطاباتها في مواجهة نشاط الغرب والمبشرين صدى كبيراً لدى السكان.

في هذا الوقت تقلّص دور الإمارات الكوردية بعد ان كانت تتمتع بالاستقلال بعد قيام السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٠٨- ١٨٣٩) بإصلاحاته الإدارية وتطبيق مركزية الحكم. وآخر هذه الإمارات كانت

إمارة بدرخان التي انتفضت ضد المركزية حتى منتصف القرن التاسع عشر.

إن وصول مولانا خالد في ١٨٠٨ قبل اضمحلال دور الإمارات الكوردية لم يؤد إلى انتشار طريقته بسرعة. ولم يحدث هذا التوسع والانتشار للطريقة إلا في الجيل الثاني الذي واجه سياسة المركزية للباب العالي وبعد تقلص نفوذ الأمراء الذي اوجد بيئة خصبة لها. وازداد نفوذ الشيوخ بعد زوال سلطة الأمراء وقيام العشائر بالإقتتال بينها الأمر الذي تطلب وجود وسطاء للتدخل والتحكيم. أما نفوذ الشيوخ انفسهم فقد بدأ بالانحسار عندما وجدوا انفسهم في خضم ثورات وإحداث منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى عشرينيات القرن العشرين.

أما في الإستانة فقد إقتضت سياسة الدولة وضع عدد من الشيوخ رهن الإعتقال المنزلي او إرسالهم إلى المنفى ولم تعد الطريقة إلا اسما وذكرى إلى قيام الحركة الليبرالية في الخمسينيات لتظهر من جديد لتبرهن على صدق ديمومتها. وبدأ شيوخ الطريقة بعد ان اصبحوا من قاطني المدن لعب دور سياسي مهم وبشكل ملفت للانظار في الحزب الديمقراطي.

أما في سورية فان نفوذ الشيوخ بقي على حاله حتى الخمسينيات وإزداد قوةً بوصول شيوخ آخرين من تركيا في العشرينيات. أما سبب ضعف نفوذهم فيعود إلى التغييرات الإجتماعية والإقتصادية التي حدثت في سوريا. وكان ظهور الحركة القومية الكوردية كرد فعل للحركة القومية العربية المتمثلة في شخص عبد الناصر عاملاً إضافيا آخر من عوامل تضاؤل وضعف نفوذهم. ويمكننا القول ان إنحسار نفوذ الشيوخ يعود إلى تفكك البيئة العشائرية الذي أثّر على المجتمع الكوردي بأكمله. فقلة

النزاعات بين العشائر أدت بدورها إلى إنتفاء الحاجة إلى وساطة الشيوخ مما أدى إلى زوال تأثيرهم.

أما في العراق فقد إستطاعت الحركة القومية أن تحل محل الشيوخ في حل النزاعات. وتجدر الإشارة إلى حركة مرتبطة بالطريقة النقشبندية وهي حركة (مريدو النور الرباني) التي إشتهرت بعد الحرب الثانية وتعد اليوم من الحركات الصوفية المنتشرة في تركيا ومن رؤسائها البارزين سعيد نورسي وهو من مواليد بتليس ١٨٧٣. وفي عام ١٩٢٠ إنحاز الشيخ نورسي إلى جانب كمال اتاتورك بدلا من الخليفة وربما حدث ذلك بسبب معارضته للغرب ولكنه في نهاية الأمر اصطدم بالكماليين ودخل السجن مرات عدة. إن مجموعة مقالاته التي نشرت في ١٩٥٠ في فترة ليبرالية النظام تدعو إلى ضرورة الرجوع إلى الإسلام النقي وهاجم فيها الشيوعيين والنفوذ الغربي والطوائف التي لاتربطها صلة بالمذاهب الإسلامية الرئيسة.

العشيرة

إن من خصائص المجتمع الكوردي تنوع هذا المجتمع. فالتقسيمات العشائرية تهيمن على مفاصل المجتمع كافة وحتى الذين لا ينتمون إليها خاضعون لقواعدها. وهي بالنسبة للكورد وحدة اجتماعية وإقتصادية محددة المعالم ومبنية على رابطة الأم الخيالية وهي تعطي للمجموعة تركيبتها. العشيرة تنقسم إلى عدة أقسام وآخر هذه الأقسام هو الفخذ الذي يعتبر حجر الزاوية فيها. وما لفخذٍ ولا عائلة توسعت إلا ولها جد مشترك. والنسب في العشيرة عند الكورد ذا شأن اقل عما هو لدى المجتمعات الأخرى. وفي الحقيقة يستطيع أي غريب عن العشيرة الإنتماء إلى فخذ من أفخاذها وما هي إلا أجيال قليلة ويندمج نسله في العشيرة وبوسع فخذ (بسبب إنتصاراته) أن يستوعب فخذاً آخر وعندئذٍ يظهر نسب مشترك بين الأجزاء المختلفة.

ومن الوجهة الإقتصادية فان العائلة هي الوحدة الأساس في المجتمع والعائلة عادة تكون مؤلفة من الوالدين والأولاد غير المتزوجين ولكنه أمر شائع ان يقيم الابن الاصغر المتزوج مع والديه. وهنالك تقليد متبع بين ملاكي الارض وهو الإبقاء على الاملاك غير مقسمة لتجنب التفتيت فيها. والعشيرة تبدأ اولاً بإمتلاك الارض التي هي في دائرة نفوذها وتأخذ الارض إسمها من اسم العشيرة. وقضت القوانين الصادرة من الدولة على فكرة امتلاك العشيرة للأرض التي تحمل إسمها ويقول عالم الأجناس (مارتن فان بروينسن) (Martin Van Pruinessen) ان نزاعات

وقعت في ولاية باتمان في تركيا عندما قام أحد أفراد عشيرة ره ش كوتان ببيع أراضي إلى أحد الغرباء عن العشيرة. المراعي حول القرية مُلكٌ مشاع لجميع افراد القرية وتخصص لكل فخذ من الأفخاذ قطعة معينة. أما الرحل من العشائر فعليها دفع ضريبة المرور في ارض العشيرة وكثيرا ما يؤدي هذا الإجراء إلى نشوب نزاعات. رئيس العشيرة يستلم هذه الأتاوات ويحتفظ بها لنفسه ولا يقوم بتوزيعها بين افراد القرية ومن هنا إبتدأت فكرة الملكية في العشيرة.

القرية وحدة أساسية وهي بالنسبة إلى الحكومة مركز إداري وأحيانا تكون القرية حكرا على فخذ واحد يرتبط به غرباء. وفي حالات أخرى تكون القرية أكثر تعقيداً عندما تضم عدداً من الأفخاذ غير المتجانسين ويؤدي ذلك احيانا إلى حدوث نزاعات.

أما عن حدود العشيرة فإنها غير محددة. توجد عائلات يربطها نسب واحد واحيانا تقوم جماعات غريبة عن القرية بإدعاء نسبها للقرية ولكن عليها مغادرة المكان إذا طلب منها ذلك. العشيرة تختفي وتظهر ويحدث ذلك عند نشوب مصادمات بين فخذ واخر او عشيرة وأخرى. التصادم والنزاع سمتان ملازمتان للعشيرة وتعطيانها هذه التركيبة الإجتماعية.

الانتقام بين الجماعات المتناحرة لا يستهدف الأفراد المسيئين فقط بل المجموعة كلها التي ينتمي المسيء إليها. إن هذا النوع من الإنتقام قد يطول لعقود طويلة من الزمن. ففي تركيا والى يومنا هذا وخاصة في المناطق النائية التي يقل فيها تواجد الشرطة لا يزال هذا النوع من الانتقام سارياً. إن الكورد غير المنطوين تحت لواء العشيرة وكذلك المسيحيون الذين لم يكن لهم حق حمل السلاح فانهم في حمايتهم لأنفسهم يعتمدون على رؤساء العشائر وعليهم لقاء ذلك إبداء الولاء

والطاعة لهم. أما في حالات القتل فانه يتم الاتفاق عادة على دفع مبلغ من المال إلى والد المقتول وفي غياب الأب يدفع المبلغ إلى اشقاء الضحية. أما مقدار المبلغ فانه يتباين من حالة إلى أخرى تبعا لمركز الضحية الاجتماعي ومركز القاتل وحسب اهمية عشيرة القاتل والمقتول. الدية تدفع من قبل جميع افراد العشيرة او الفخذ وان تكن المشاركة هذه رمزية من قبل البعض. إن هذا الحل الذي هو ثمرة جهود الوسطاء يمنع استفحال واتساع دائرة العنف والانتقام. ويكون الحل أسهل، إذا كانت الروابط بين اطراف قوية فعندئذ يسهل إيجاد الوسيط الذي ستكون بيده عقدة الحل.أما إذا كان النزاع بين عشيرة وأخرى فمن الممكن ان يكون الوسيط من قبيلة ثالثة وعادة يكون الوسيط بينهما متمتعا بنفوذ قوي ويكون حياديا لا يحابي ولا يجاري طرفا على حساب طرف منافس للانتفاع من هذه الخلافات. وفي المجتمعات القبلية يلعب الشيوخ دور الوسطاء. وهذا يفسر سبب تفاخر زعماء العشائر بإمتداد اصولهم خارج حدود العشيرة إذ يسهل ذلك عليهم القيام بدور الوساطة. إن محاولة الحكومات وضع حد للإنتقام العشائري وبالتالي إضعاف نفوذ الشيوخ لاقت نوعا من النجاح. وقامت الحكومة التركية بإلغاء الوساطة التقليدية ولغرض فرض حل تلجأ احياناً إلى استخدام القوة. ولكن في غياب سلطة مقتدرة على فرض تسوية مرضية فان التوتر والمواجهة أمران واردان في المناطق الريفية. الزواج احيانا يؤدي إلى انقسام العشيرة والنوع المفضل هو الذي يربط الشاب ببنت العم فاحتمالات الرفض فيه اقل ولأن المهر الذي عادةً يكون غالياً لا يكون عبئاً ثقيلاً على كاهل الشاب. الافضلية هي دائما لقريب العائلة إذ ان ذلك يزيد من قوة ومتانة الترابط بين الفخذ، عمليا العشيرة هي اكبر مجموعة في المجتمع

الكوردي التقليدي. ولم يظهر شعور قومي قادر على تخطي العرف العشائري وآفاته حتى منتصف القرن العشرين. وحتى في هذا القرن واجهت الحركات القومية الكوردية معضلة من ميليشيات كوردية موالية للدولة وذلك بغية إضعاف قوة الخصم ولم تستطع القومية سد هذه الفجوة حتى إلى وقت قريب. لا يفترض في الوحدة داخل العشيرة ان تكون بدرجة الكمال حتى في زمن حربها مع عشيرة أخرى. ويمكن الإستنجاد بحلفاء خارجيين لتحقيق نصر على الخصوم وعندئذ يحدث التدخل في شؤون العشيرة. غير ان التدخل في شؤون العشائر أمر غير مرغوب فيه وعادة يلاقي معارضة. والمعارضة المفضلة هي المكونة في سلسلة مناورات تهدف إلى إضعاف العدو دون تدميره. الولاء في العشيرة غير ثابت بل متذبذب. غير ان الإنقسام يسير حسب قاعدة ثابتة. لقد تدخلت الدولة في شؤون العشيرة على نحو متزايد وادعت السيطرة على زمام الأمور. أما رئيس العشيرة فباستطاعته كسب النفوذ أما عن طريق الحرب ضد عشيرة أخرى او القيام بمهمة وساطة. لقد اضطر رؤساء العشائر التوجه إلى قوة الدولة المتنامية لضمان الحفاظ على ما تبقى لهم من جاه ونفوذ وقدرتهم على عقد صلات جيدة مع الحكومة تكون العامل الحاسم في تقرير مدى نجاحهم او فشلهم السياسي. الوجهاء صنفان : الآغا الذي هو شخصية عشائرية ريفية وغالباً ما يكون قائداً لمجموعة من المقاتلين. أما الصنف الثاني فهو من نسميه (بك) وعادة يكون من سكنة المدن ومالك أرض وليس من الضروري له ان يكون من أصل عشائري وله مزارعون مؤجرون يقومون بزراعة ارضه.إن من اهم مسؤوليات الآغا إستضافة المسافرين المارين بالقرية. فوارداته تؤهله للقيام بتقديم المأوى والمأكل إلى الضيوف وهو

بقيامه بذلك يمثل القرية بل العشيرة برمتها خارج دائرة نفوذها. الغرفة التي يستقبل فيها الآغا الضيوف تسمى (ديوان) وهي عادةً أوسع غرف البناء وفيها أيضاً يعقد الآغا إجتماعاته مع الوجهاء وتقدم في الديوان الأنشطة العامة مثل ألعاب التسلية وحلقات الغناء وتحسم فيها المنازعات والخلافات الداخلية والخارجية. في الآونة الأخيرة قلَّ شأن الديوان وفقد الكثير من اهميته وحيويته. ويفترض في اهل القرية الحضور إلى الديوان مرة في كل شهر على الأقل. وتأديب المسيء يتم عادةً في الديوان بحضور وجهاء القرية وعليه تقبل العقوبة دون اي إعتراض.

لقد تضاءل شأن الديوان منذ الستينيات. وفي سوريا قامت الحكومة بغلقه نهائياً لكونه على حد زعمها يتعارض مع روح الحركة القومية العربية المتصاعدة. أما فقدان الديوان لشعبيته وحيويته فمرده التغييرات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية المتلاحقة. إن إدخال المكننة الزراعية في الخمسينيات جعل الآغا أقل إعتماداً على المزارعين وحل محلهم عمال زراعيون موسميون غرباء على القرية. وبعض الآغوات وبعد ان استطاعوا جمع ثروة لابأس بها انتقل إلى المدينة تاركا القرية والديوان وراء ظهره. أما أسلوب جباية تكاليف إدارة الديوان فان الآغوات عمدوا إلى فرض ضريبة على المحاصيل الزراعية وعلى الماشية وهي تختلف عن عقد الإيجار مع المزارعين. وكانت هذه الضريبة تجمع أحيانا بالتهديد والوعيد ولم يعد لها وجود خلال العقدين الماضيين وتقوم بعض الحركات القومية بجبايتها بدلا عن الآغوات. إن الكورد ليسوا جميعا منضوين تحت سلطة العشيرة ولوائها فكثيرون منهم يحيون حياة مستقلة عنها ولا يملكون أية ارض وقد يعمل البعض منهم بصفة عامل مؤجر. لقد ولى زمن إستغلال الكورد غير المرتبطين بالعشيرة وتغيّر المشهد الآن وبدا نوع آخر من الإستغلال.

نبذة عن تاريخ الكورد

كان تاريخ الكورد عرضة للعديد من الفرضيات حيث اعتقد البعض انهم من اصول إيرانية قدموا من منطقة ارومية إلى بوتان في القرن السابع قبل الميلاد. ويعتقد آخرون انهم سكان اصليون ووصفهم زينوفون في إحدى حملاته العسكرية باسم (كار دوخي) ومهما قيل وكتب عنهم فان لغتهم تنتمي إلى مجموعة اللغات الإيرانية.

والتاريخ الكوردي يتوضح بشكل أدق مع الغزو الإسلامي للمنطقة. ولو ان دخولهم إلى الإسلام كان سريعا فان ذلك لم يمنعهم من القيام بعدة انتفاضات ضد العرب الغزاة. وإذا كانت كلمة (كورد) قد أستعملت في القرن السابع الميلادي فان كلمة (كوردستان) استعملت ولاول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي عندما استحدث الامير السلجوقي التركي (ساندجار) مقاطعة اطلق عليها تسمية (كوردستان) وجعل (بهار) عاصمة لها.

إن الغزو المغولي في القرن الثاني عشر الميلادي كان بداية انحسار كوردي. إذ بقي الكورد متفرجين على الصراعات والأحداث بين المغول والعرب والمسيحيين. واستطاعت السلالات التركية التي حلت محل المغول في بسط سيطرتها على الكورد وجرّتهم إلى النزاع القائم بين السنة والشيعة. وفي هذه الفترة حدث انتقال كورد السليمانية إلى منطقة بحيرة ارومية في إيران. في بداية القرن السادس عشر حدث تطور مهم بالنسبة للأكراد ومبعث هذا التطور هو الصراع الدائر بين الصفويين

والعثمانيين. إندحر الفرس في معركة جالديران عام ١٥١٤ ووقعت معظم المناطق الكوردية تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية. الآن وقد اصبحوا ضمن دائرة نفوذ الإمبراطورية العثمانية التي كانت اكثر ليبرالية من حكم شاه إيران فقد بدأت المسيرة الكوردية في إنشاء إمارات شبه مستقلة من قبل حكيم إدريس امير بتليس ووزير السلطان سليم الاول. لقد كان الحكيم هذا كوردياً. إن حزام الإمارات الكوردية بمحاذاة الحدود الفارسية ساعد على وقف التقدم الفارسي. وبموجب إتفاقية ١٦٣٩ بين السلطان العثماني وحكومة شاه إيران تم تثبيت الحدود بين الدولتين وبقي هذا الإتفاق معمولاً به حتى القرن التاسع عشر. إن تنظيم الإمارات الكوردية كان على طراز التنظيم العثماني للدولة ولكن إدارة هذه الإمارات كانت ضعيفة. الأمير يحتفظ بالقسم الأكبر من الضرائب لنفسه ويرسل النزر اليسير منها إلى القسطنطينية ويضع جزءاً صغيراً من قواته تحت تصرف السلطان. أما القضاء فانه كان يدار من قبل قاض يعتمد على الأمير أكثر منه على السلطان. وقد قبل السلطان هذا القدر من إستقلالية الإمارات عنه على مضض لوعورة مناطقها ولوقوعها على خطوط التماس المترامية مع إيران. هذان العاملان كانا يعنيان إن السيطرة السياسية على المنطقة لا يمكن تحقيقها إلا بالقناعة وعقد المساومات. وبهذه الصورة تمكن الأمراء من الإحتفاظ بإستقلاليتهم حتى بداية القرن التاسع عشر.

ثورات القرن التاسع عشر

إن السياسة المركزية في الحكم التي انتهجها الباب العالي في النصف الاول من القرن التاسع عشر أثارت سلسلة من الإنتفاضات في الإمارات الكوردية. أولى هذه الإنتفاضات اندلعت في إمارة بابان ١٨٠٦ م بعد تأسيسها في القرن السادس عشر لعبت هذه الإمارة دوراً مهما في القرنين السابع عشر والثامن عشر وتوسعت على نطاق كبير بعد وفاة إبراهيم باشا بيبي رئيس الإمارة ومؤسس مدينة السليمانية في العراق. قررت الحكومة العثمانية القضاء على الإمارة البابانية. ولتحقيق ذلك عمد الباب العالي إلى تعيين خلف لإبراهيم باشا من خارج دائرة العشيرة فقام ابن شقيق إبراهيم باشا المدعو عبد الرحمن باشا بشن حرب عصابات ضد القوات التركية وعدد من العشائر الكوردية التي ساندت هذه القوات وإستمرت الحال على هذا النحو ثلاث سنوات قبل ان ينحدر عبد الرحمن باشا في ١٨٠٨ ويلجأ إلى إيران.

وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر حدثت إنتفاضة أخرى يقودها مير محمد زعيم إمارة سوران في عام ١٨٣٣ وإنطلاقا من رواندوز وعلى رأس جيش قوامه ١٠,٠٠٠ فارس خيال و ٢٠,٠٠٠ مشاة إستطاع مير محمد من فرض سيطرته على كوردستان الجنوبية برمتها ولكنه فشل في عقد إتفاق مع امير بوتان.

أما السلطان العثماني فقد أصابه الهلع من تقدم قوات مير محمد فأسرع إلى إرسال قوات عسكرية من سيفاز ومن الموصل وبغداد وكانت

معارك ١٨٣٤ عنيفة واضطرت قوات السلطان على التقهقر من دون ان تكسب شيئا. واستغل مير محمد هذا الانتصار ليغزو كوردستان إيران. وعلى الرغم من محاولته كسب ود الإيرانيين وذلك بالاعتراف بالسيادة الإيرانية على كوردستان إيران وجد مير محمد نفسه وحيداً أمام هجوم جديد للعثمانيين في عام ١٨٣٦. إستطاعت قوات مير محمد البالغ تعدادها ٤٠,٠٠٠ مقاتل الدفاع عن رواندوز ودحر العثمانيين وعندها لجأ القائد العثماني إلى أسلوب الخديعة فإستنجد بالأهالي محاولا إثارة النخوة الدينية عند الجماهير الكوردية ونجحت مكيدته إذ لقيت دعوته هذه صدى لدى احد الملالي المدعو ملا خاتي الذي اصدر فتوى يحرم مقاتلة عساكر الخليفة. ادت هذه الفتوى إلى تمزيق صف جنوده وتشتيت قوات مير محمد الذي اضطر للاستسلام واخذ إلى الاستانة واستقبل من قبل السلطان ليقتل غيلة بعد سنة من استسلامه.

أما ثورة امير بوتان بدرخان بك فإنها بدات عام ١٨٤٠م وكان الامير بدرخان على رأس الإمارة منذ ١٨٢١ وأسس جيشا نظاميا. وبعد هزيمة العثمانيين في نيزيب Nizib تمكن بدرخان من السيطرة على مساحات شاسعة من كوردستان تركيا. وبما انه كان من المؤمنين بحرية الاديان فقد عامل المسيحيين واليهود معاملة حسنة. ولأنه كان إدارياً بارعاً فقد تمكن من فرض النظام على المناطق التي سيطر عليها خلاف الفوضى الضاربة بإطنابها في بقية أجزاء الإمبراطورية. إلا ان المصادمات مع جيش الإمبراطورية ١٨٤٤م كشفت عن ضعف الإمارة العسكري. وبطلب من السلطان مارس المبشرون الانكليز والأميركان نفوذهم على المسيحيين فرفضوا مقاتلة جيوش السلطان والانكى من كل ذلك ان ابن شقيق الامير بدرخان خان الأمانة مع عمه. وبعد مقاومة لا بطويلة ولا

شديدة إستسلم الامير بدرخان ليموت في منفاه في دمشق عام ١٨٦٨م.

إن حرب القرم عام ١٨٥٣ م اعطت يزدان شير فرصة لتنفيذ مخططه الرامي إلى تحقيق كوردستان مستقلة ويكون هو ملكاً عليها. بدأت الثورة ١٨٥٥م بالإستيلاء على بتليس بجيش قوامه ٢٠,٠٠٠ مقاتل فقط. ثم استولى على الموصل وعلى مستودعات السلاح فيها وغنم كمية من السلاح تكفي لتسليح جيش يزيد على ٣٠,٠٠٠ مقاتل. وتوجه بجيشه صوب مدينة سيرت واستولى عليها وسيرت مدينة ذات موقع ستراتيجي مهم على الجناح الايمن للجيش العثماني وتوالت إنتصاراته الواحدة تلو الأخرى، وبحلول فصل الشتاء وإنسحاب القوات الروسية تمكن العثمانيون من إخماد حركة يزدان شير بدون استخدام القوة إذ تدخل الدبلوماسيون الإنكليز في الأمر وكان هؤلاء يهتمون بحرب السلطان مع الروس.

إستقبل يزدان شير احد المبعوثين الانكليز وإستطاع هذا الدبلوماسي شراء ذمم عدد من زعماء العشائر الذين رفضوا قتال جيش السلطان مع يزدان شير وعلى أثر ذلك دخل يزدان شير في مفاوضات مع الباب العالي بعد ان إنخدع بوعود الإنكليز الكاذبة وقبض عليه وأودع السجن في القسطنطينية.

أما ثورة الشيخ عبيد الله فقد كانت ذات طابع ديني اكثر منه عشائري ولكونه رئيس الطريقة النقشبندية إصطدم بالحكومة الإيرانية في ١٨٧٢م بعد أن فتحت الأخيرة مسألة التنازل عن ضريبة كان الشاه قد منحها لهم في عام ١٨٣٦م.

قام مبعوث سلطاني بحمل إعتراضات الشيخ عبيد الله إلى الإيرانيين ولم تحقق الوساطة هذه أية نتائج وأجبر الأهالي على دفع الضريبة إلى الحكومة بدلاً من دفعها إلى الشيخ كما كان ينص الإتفاق عليه. وبدأت

الإنتفاضة بعد حرب ١٨٧٧- ١٨٧٨م بين الروس والعثمانيين، تلك الحرب التي إشترك الشيخ فيها إلى جانب الخليفة. إن المجاعة التي أحدثها الفساد الإداري والحرب دفعا بالشيخ عبيد الله إلى العصيان والتمرد وتوجه الشيخ إلى شريف مكة وخديوي مصر طالبا مساعدتهما له. ثم توجه إلى الروس ولكن دون جدوى. وبعد ذلك توجه إلى البريطانيين الذين زودوه ببعض السلاح والاعتدة. وآثر العثمانيون عدم التدخل على أمل ان يكون هجوم الشيخ ضد الإيرانيين وليس العثمانيين. وفعلا وقع الهجوم على إيران ١٨٨٠ م واستولت قواته على مهاباد ومياندوباندMaindobad ولكن بدلاً من الذهاب للإستيلاء على تبريز إنشغلت قواته في أعمال النهب والسلب. وإستطاع شاه إيران إقناع السلطان العثماني للتعاون معه حيث أقنعه ان تمرداً كوردياً بهذا الحجم هو تهديد للدولتين وليس لإيران وحدها. وبعد ان وجد الشيخ عبيد الله نفسه عاجزاً عن مواجهة قوات مشتركة للدولتين اضطر للإنسحاب من إيران وأُلقي القبض عليه ووضع رهن الإعتقال المنزلي في إسطنبول. وبعد محاولة فاشلة لكسب تأييد الروس إنتهى به الأمر إلى المنفى في مكة.

ظهور القومية الكوردية

يمكن تلمس الروح القومية في أعمال الشاعر الكوردي احمد خاني الذي هو من ابرز أعلام الادب الكوردي والذي إحتفظ بشعبيته إلى يومنا هذا. حتى القرن العشرين كان النموذج والرمز لوحدة الكورد محصورين في حركة تديرها شخصية جذابة ليزول هذا النموذج لحظة ذهاب هذه الشخصية الساحرة. في القرن التاسع عشر عرضت القومية نفسها من خلال محاولاتها إنشاء إمارات مستقلة عن الحكومة المركزية تركية كانت هذه الحكومة ام إيرانية. إن الفراغ الذي أحدثه زوال الإمارات في منتصف القرن التاسع عشر تم ملؤه من قبل قادة جدد هم الشيوخ الذين سيكونون بدءاً من هذا التاريخ فصاعداً على رأس إنتفاضات مهمة. ونظراً لتمتعهم بشعبية كبيرة بين الفلاحين فقد كان لهذه الإنتفاضات صدى وطنياً كبيراً. هذه الثورات التي لم يحالفها الحظ أعطت إحساسا بالهوية الكوردية. وكانت مقدمة للإرتقاء بالقومية المعاصرة في القرن العشرين وبقيت متميزة بقادتها المنحدرين من عائلات دينية (البارزانيون والطالبانيون) والذين استفادوا من الولاءات العائلية والعداوات القديمة. ومهما يكن الأمر فان الحركة الكوردية وجدت نفسها اسيرة الخلافات الاجتماعية التي عصفت بها واحدثت فيها انقسامات خطيرة.

إن فكرة الأمة الكوردية فكرة حديثة العهد ظهرت بعد نضوب مفهوم الأمة المسلمة مثل الكورد كمثل الترك معظمهم منتمون إلى المذهب السني وهم يشعرون بصلة روحية تشدهم إلى الخلافة. ثم ان السلطان عبد

الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٨ م احسن الضرب على وتر التضامن هذا وأشرك الكورد في الحكومة عن طريق ميليشيات الحميدية. كان السلطان يرمي إلى ضمان أمن المنطقة في وجه الأرمن وكسب ولاءات شخصية. ونجحت سياسته هذه ولعبت الميليشيات دورا كبيراً في مجازر الأرمن في ١٨٩٥ و١٨٩٦م.

في عام ١٨٩١ أسس السلطان ميليشيات عشائرية اطلق عليها اسم الحميدية بقيادة رؤساء عشائر وكانت الغاية منها بسط سلطة الخليفة على المقاطعات الشرقية للإمبراطورية، وادت هذه الخطوة إلى تقوية نفوذ الزعماء العشائريين. وبمجيء الترك الشباب إلى الحكم في ١٩٠٨م تم تفكيك هذه التنظيمات ولكن ليعاد تشكيلها مرة أخرى لتشترك في حرب البلقان في ١٩١٢- ١٩١٣م.

القومية المعاصرة هي نتاج الفكر الأوروبي وظهرت في أواخر القرن الثامن عشر مع مجيء الثورة الفرنسية ووجدت طريقها إلى الطبقات المثقفة في المجتمع العثماني اثناء ثمانينيات القرن التاسع عشر. أول جريدة كوردية كانت باسم (كوردستان) وأُسست في ١٨٩٨م من قبل صيهاد بدرخان بك وكانت تطبع باللغتين التركية والكوردية، وهي نتاج ظروف سياسية كانت سائدة يومذاك. ظهرت في أوروبا اولاً ثم في القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٠٨م تشكلت جمعية (النهضة والتقدم) في كوردستان ومن بين مؤسسيها الجنرال شريف باشا وابن الشيخ عبيد الله. وإنتهت الجهود لإنشاء جمعية تعنى بالثقافة الكوردية بالفشل بسبب نشوب خلافات بين منظميها. إن ثورة الشباب الترك في ١٩٠٨م كانت ليبرالية وتبنّت السياسة العثمانية المنفتحة على المجتمعات المختلفة في الإمبراطورية ولكنها سرعان ما إن انزلقت لتقع

في حبائل القومية التركية المتعصبة.

أما في كوردستان نفسها فقد تجمع القوميون الكورد الشباب في النوادي في بتليس وموش (Mus) وديار بكر وارضروم وموصل ولكن تقدم الحركة الكوردية توقف بسبب الإجراءات القمعية التي إتخذها الشباب الترك في بداية ١٩٠٩م وأُعتقل قادة بارزون في المعركة وتم إعدام عدد منهم. وكانت هذه الفترة ملائمة لقيام إنتفاضات كوردية وكذلك عربية وأرمنية. وبعد تبدل سياسة الشباب الترك ظهرت جمعية (أمل الكورد) وكانت حتى ذلك الوقت تعمل بشكل سري. وتحت قيادة خليل حسن موكتي المعارض للسياسة التركية في صهر الأقليات وأصدرت الجمعية جريدة (يوم الكورد).

الكورد في تركيا

ايديولوجية الدولة- النموذج الكمالي

إن ايديولوجية الدولة بقيت على حالها دون إن يطرأ عليها اي تغيير يذكر منذ عهد مصطفى كمال مؤسس تركيا الحديثة. كانت سياسة الإمبراطورية العثمانية التقليدية تتلخص في دمج المجتمعات الدينية مثل الأرمن والآشوريين واليونانيين واليهود في الملة (MILLET) وتفاقم الأمر بشكل خطير في عهد عبد الحميد الثاني ١٨٧٦- ١٩٠٨م حيث إتبع سياسة دينية شاملة وتردت الأوضاع ونشأت الصراعات وخاصة الأحداث التي رافقت مجازر الأرمن الأولى في ١٨٩٥- ١٨٩م. إن الشعور القومي التركي ظهر منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر. رغم تعاونهم في البداية مع الأقليات وخاصة الأرمن فان مجيء الشباب الترك في ١٩٠٨م دشن بداية مرحلة جديدة لسيطرة الفكر القومي المتعصب في تركيا.

بعد الحرب الأولى ورث الكماليون الكثير من سياسة وفكر الشباب الترك المعادين للأرمن. أما سياستهم نحو الكورد فكانت غامضة بعض الشيء. بعد طرد اليونانيين ومجازر الأرمن، بقي الكورد الأقلية الوحيدة التي لا يزال لها شأن في تركيا. وكانت سياسة الدولة العثمانية نحو الكورد تتلخص في بسط سيطرتها على المناطق الكوردية وليس تتريك الكورد.

بين عامي ١٩١٩- ١٩٢٣م بدأ الكماليون وكأنهم يتّبعون النهج ذاته مع الكورد ولكن ظهر بعد فترة وجيزة إن ذلك كان محض تحالف تكتيكي لا أكثر. وساعدهم هذا التكتيك على السيطرة على ست ولايات يسكنها الكورد. لقد كان النصر السياسي الاول لكمال أتاتورك في مؤتمر ارضروم (تموز ١٩١٩ م) ذلك المؤتمر الذي حضره أيضاً اكثر من ٥٤ مندوباً كوردياً من أرضروم وبتليس ووان وموشى وارزنكان حيث تمكن من تمرير سياسة برنامج إسلامي شامل معادي لأماني الأرمن. إشترك الكورد بكل قوة وحماس في الحرب ضد اليونان عندما هاجمت الأخيرة الاناضول. وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٢٢م بعد إنتصاره على اليونان أعلن اتاتورك أمام البرلمان أن الدولة هي تركيا ولا وجود لغير الترك على أراضيها وبدأت حملات القمع ضد الكورد- الأقلية العرقية الوحيدة التي بقيت تهدد تركيا كدولة قومية متجانسة.

إن إلغاء الخلافة في عام ١٩٢٤م والتهجم على الإسلام عندما حاول ان يكون إسلاماً سياسياً قطعا آخر رابطة كانت تربط الكورد بالحكومة المركزية. إن قومية كوردية محاطة بهالة دينية ازدهرت في هذه الفترة الإرتجاعية. وبدا رجال الدين بمساندة الحركات الكوردية على أساس انها معارضة للعلمانية الكمالية. إن سياسة التحديث التي انتهجها كمال اتاتورك اصطدمت بالتركيبة الإجتماعية التقليدية للمجتمع الكوردي. إن محاولة كمال حقق أُمةً تركية وتاريخاً تركياً أسطوريين دفعته إلى قلب الحقائق بحيث اصبح الترك الذين جاؤوا من آسيا الوسطى أجداداً للسومريين والبابليين والحيثيين في آسيا الوسطى وفي بلاد مابين النهرين. بهذه النظرة القومية الإستعلائية الشوفينية اصبح الكورد لا وجود لهم على الإطلاق وحسب اقوال وإجتهادات المؤرخين الكماليين

الرسميين فإن الكورد طورانيون جاؤوا من منطقة سفانا في اسيا الوسطى قبل ٥٠٠٠ سنة وان لغتهم ما هي إلا مزيج من التركية والفارسية والعربية.

في عام ١٩٦١م وبعد الإنقلاب العسكري الذي جاء به إلى الحكم صرح كورسيل إن الكورد هم من اصل تركي ودأب القادة العسكريون الذين عادةً ينصبون انفسهم حماة الإرث الكمالي على مقاومة فكرة وجود قومية كوردية بشكل مستمر. وبقي مصطلح (أتراك الجبل) الذي اطلقه الترك الشوفينيون على الكورد قيد الإستعمال لعقود طويلة.

التشريعات والإجراءات المتخذة
ضد الكورد في تركيا

إن معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣م أعطت تركيا ولادة جديدة حيث وقّع المشاركون على المعاهدة وهم البريطانيون والفرنسيون والطليان واليابانيون والصرب وتركيا ورسموا إطارا قانونياً لتركيا ولازالت بنود هذه المعاهدة قانونية إلى يومنا هذا. والقسم الثالث من المعاهدة والذي يضم المواد (٣٧- ٤٤) يختص بطريقة حماية الأقليات إذ تنص هذه المواد على عدم وضع قيود على أية أقلية في إستخدامها بصورة حرة للغتها في المخاطبات العامة وفي التجارة والدين وفي الصحافة والنشر وفي الإجتماعات العامة وعلى الحكومة تقديم التسهيلات للمواطنين من غير الأتراك لغرض تمكينهم من إستعمال لغتهم أمام المحاكم. ولكن هذه المواد التي تتعلق بالحريات للأقليات خصت الأقليات الدينية اليهودية والمسيحية ولم تتطرق إلى حقوق الأقليات العرقية مثل الكورد.

في هذه الفترة كان هنالك ٧٥ كوردياً في المجلس الوطني في انقرة. ومنذ آذار ١٩٢٤م منع التحدث والنشر بالكوردية وكرس الدستور الجديد نظرية كمال اتاتورك القائلة بأن تركيا هي تركية محضة. والدستور الحالي الذي شرع بعد انقلاب ايلول ١٩٨٥ ينص في مقدمته على عدم إعطاء حماية للأفكار والآراء التي تعارض المصالح القومية التركية او تسيء إلى مبدأ وجود تركيا موحدة شعباً وارضاً او إلى القيم القومية التركية والى مبدأ التحديث الكمالي. ورفض الدستور اي اعتراض بهوية

او ثقافة كوردية. وفي الدستور مادتان تمنعان التكلم والنشر بالكوردية دون التطرق إليهما بشكل مباشر. المادة ٢٦ من الدستور فقد منحت حق التعبير ونشر الافكار والآراء تكلما وكتابة وكذلك بواسطة الصورة ووسائل الإعلام بشكل فردي وجماعي. وتحظر المادة استعمال أية لغة منعت بموجب القانون في التعبير والنشر وتجيز مصادرة كل الوثائق والمطبوعات والتسجيلات بقرار من الحاكم او اي شخص مخول بذلك.

أما المادة ٢٨ فقد نصت على ان الصحافة حرة ولا يجوز ممارسة الرقابة عليها وان تأسيس دار للطباعة لا يتطلب ترخيصا مسبقاً او إيداع تأمينات مالية.

أما فيما يتعلق بالكورد فان القانون ٧٦٥ الصادر في الثالث من آذار عام ١٩٢٦م (المواد ١٤١ و ١٤٢) منع اي تنظيم او إتحاد له صلة بالكورد وتحويان جملة من القيود. فالفقرة ٤ من المادة ١٤١ تنص على ان أية محاولة على أساس عرقي وتهدف إلى طمس الحقوق المنصوص عليها في الدستور او عمل منظمات تهدف إلى إضعاف الروح القومية فان قيادات وإدارات هذه التنظيمات تعتبر مسؤولة أمام القانون ويعاقب اصحابها بالسجن لفترة من ٨- ١٥ سنة. الفقرة ٥ من المادة ١٤١ فإنها نصت على ان العضوية في هذه التنظيمات تعتبر جريمة يعاقب القانون مرتكبيها بالسجن من ٥- ١٢ سنة.

اما الفقرة ٦ من المادة ١٤١ فقد نصت على ان مدة العقوبة تزداد بمقدار الثلث إذا ارتكبت هذه الجرائم داخل مؤسسات الدولة وقاعات المدينة او المدارس والمعاهد العليا وفي الإتحادات التجارية والعمالية او داخل مباني يتم تمويلها بشكل جزئي او كلي من قبل الدولة او إذا ارتكبت من قبل العاملين في هذه المؤسسات والمباني.

أما الفقرة ٨ من المادة ١٤١ فإنها عرفت التنظيم بكل تجمع يتكون

من شخصين او اكثر ويجمعهم هدف واحد مشترك.

والفقرة ٣ من المادة ١٤٢ تنص على ان أي شخص يحاول على أساس عرقي غامض او محو الحقوق المنصوص عليها بموجب الدستور أو يحاول إضعاف الحس القومي سيعرض نفسه لعقوبة السجن من ٥- ١٠ سنوات.

أما الفقرة ٤ من المادة ١٤٢ فقد نصت على أن أي شخص يقوم بتمجيد الاعمال المذكورة في القانون والمحظورة فانه يعاقب بالسجن لفترة تتراوح بين ٢- ٥ سنوات.

أما الفقرة ٥ من المادة ذاتها فنصت على زيادة مدة العقوبة بنسبة الثلث إذا ارتكبت هذه الجرائم في الظروف المذكورة في المادة ١٤١ الفقرة ٦ منها.

أما الفقرة ٦ من المادة ١٤٢ فتنص على ان الجرائم المذكورة آنفاً إذا ارتكبت عن طريق الطبع فان مدة محكوميتها ستزداد بمقدار النصف. إن حق تشكيل احزاب كوردية مرتبط بحق إقامة الإتحادات الذي منع بموجب القانون المرقم ٢٨٢٠ المتعلق بالاحزاب السياسية المنشور في ٢٤ نيسان ١٩٨٣م والمادة ٨١ من القانون المذكور متعلقة بهذا الأمر.

أ- لا توجد على الأرض التركية أقلية ثقافية او قومية او دينية او طائفية او لغوية.

ب- لا يمكن ان يكون ضمن اهدافها إضعاف الوحدة القومية بمحاولة إيجاد اقليات على ارض الجمهورية التركية او نشر لغة او ثقافة غير التركية.

ج- لا يمكن ان تقوم بوضع برامجها بلغة غير تركية وكذلك الحال بالنسبة لمؤتمراتها واجتماعاتها ونشر دعايتها. ولا يجوز رفع لافتات او إذاعة تسجيلات او وضع بوسترات وعمل افلام او وضع كراسات

بلغة غير التركية ولا يسمح لها بالوقوف موقف اللامبالاة وهي ترى هذه الاعمال ترتكب من قبل غيرها. لها حق ترجمة برامجها إلى لغات اجنبية غير التي منعت بموجب القانون. وتم تعزيز هذا الشرط بقانون آخر حمل رقم ٢٣٩٢ وهو يخص النشر باللغات الأخرى غير التركية والمنشور في ٢٢ تشرين الاول ١٩٨٣.

ومنعت المادة من القانون نشر او طبع أيةِ اراء او افكار بأيةِ لغة غير اللغة الرسمية الرئيسة للدول المعترف بها من قبل الجمهورية التركية. هذا الشرط يتعلق باللغة الكوردية التي اعترف بها كلغة رسمية ثانية في العراق بعد اتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠م ومنعت المادة تداول اي مطبوع باللغة الكوردية قادم من العراق.

أما المادة ٣ فتتعلق بجوهر الفكر الكمالي وتنص على ان لغة الام للمواطن في تركيا هي التركية ومنعت استعمال أيةِ لغة كلغة الام سوى التركية ومنعت المادة رفع اللوحات والشعارات والملصقات وما شابه مكتوبة بلغة غير التركية وان كانت هذه اللغة غير محظورة إلا بعد استحصال موافقة السلطات العليا بذلك ومنع القانون استعمال الأقراص والتسجيلات والأفلام وما إلى ذلك للتعبير بهذه اللغات. ونص القانون على ان المخالف يعاقب بالسجن من ٨ اشهر إلى سنتين وبغرامة قدرها ١٠,٠٠٠ ليرة ويمكن فرض عقوبة إضافية من ٥- ١٠ سنوات في السجن إذا جرى خرق المادة ٣- ١٤٢ من قانون العقوبات الجنائية. وفي السياق ذاته فان مرسوماً حكومياً يحمل الرقم ٨٣/٧٠٠٦ والمنشور في الثاني من كانون الاول ١٩٨٣ حظر جميع الأفلام التي ترمي إلى زعزعة الوحدة الوطنية وذلك بخلق خلافات لغوية او عرقية او دينية او طائفية ولا يزال العمل جارياً بهذا التشريع. وبعد التصريحات الرسمية التي صدرت

عن قادة اتراك كبار حول حقيقة الوجود الكوردي في تركيا فان إعادة صياغة هذه التشريعات التي مرَّ ذكرها يفترض بها ان تكون على رأس اولويات الدولة.

تطبيقات لهذه التشريعات

في عـام ١٩٦٦ م قـام امين بوزارسـلان بطبـع الف باء كـوردية للاطفـال الكورد فـي تركيـا وفي الحـال منع تداول الكتـاب هـذا. وفي آذار ١٩٧٣ سـجن فـرانزرايسك وهو من العـاملـين في شـركـة لوفت هـانزا للطيـران لظهـور كلمـة كـوردسـتـان عن طـريق الخطـأ في كـراس للدعـاية للشـركـة. وفريق من اطبـاء بلا حدود قضـوا محكوميه في السجن لمدة ٨ اشـهر لانه وجد في حوزة الفريق شـريط مسجل بالتركيـة ووثيقة بـالفرنسيـة حـول الكورد. ولا يزال تسـجيل للموسيقى الكوردية التقليدية صادر من منظمة اليونسكو العالمية ممنوعاً من الإستعمال في تركيا.

إن قضية عالم الاجتماع إسماعيل بيشكجي وهـو غير كوردي لا تزال تسلط الاضواء على تفاهة وسخف النظام الاستبدادي. قضى هذا الرجل ١٠ سنوات في السجن بسبب كتاباته عن الكورد. وبيشكجي هذا هو من مواليد ١٩٣٦م ودرس في معهد العلوم السياسية في انقرة وبعد إلتحاقه بالخدمة العسكرية في شرق الاناضـول عمل بحثاً وأهداه إلى الكورد. وفي سنة ١٩٦٦م طبع بحثه الذي حمل عنوان (المؤسسـات الإقتصـادية والاجتماعية والقومية في الاناضـول الشرقية). ورغم إن بحثه لم يسـبب أية إثارة او نقاش علمي فانه طرد من وظيفته في جامعة ارضروم وأودع السجن بدعوى نشره دعاية للشيوعية وللكورد. إنتهت فترة سجنه الأولى عام ١٩٧٤م بمرسـوم من بولند اجاويد. اما نشره لثلاث مطبوعات عن الكورد والمسألة الكوردية قـد ادى به الدخـول إلى السـجن من ١٩٧٩-

١٩٨١. واوقف للمرة الثالثة بعد خروجه من السجن بشهرين لإرساله رسالة إلى إتحاد الكتاب السويسريين ناقش فيها مدى قانونية السياسة الرسمية للدولة التركية حيال الكورد وبقي في السجن حتى ١٩٨٧م واعتبرته منظمة العفو الدولية سجينا من سجناء الضمير. أما جريدة (الوطن المتقدم) فقد تعرض مديرها و٥٠ من كوادرها للإعتقال لتطرقها للأوضاع الصعبة لسكان شرق الاناضول.

وفي السبعينيات من القرن العشرين اودت محاولة إصدار جريدة كوردية باسم شمس الوطن (Roja Walete) بصاحبها إلى السجن لاثنتي عشرة سنة ووجهت إليها تهمة العلاقة بـ SPIK وتمت محاكمة مدير التحرير والصحفي محمد علي بيراند الذي اجرى مقابلة مع عبد الله اوجلان زعيم الـ PKK بموجب المادة ١٤٢ من قانون الجنايات وافرج عنهما في ١٩٨٩.

ومنذ عام ١٩٨٢ والحكومة التركية تمنع الاسماء الكوردية. ففي السادس من مايس ايار ١٩٨٣ منعت المحكمة في اكرا (Agra) إسمين كورديين تحت ذريعة ان تثبيتهما سيؤثر على مصالح الجمهورية التركية. والسياسيون أيضاً لم ينجوا من طائلة العقاب.

ففي آذار عام ١٩٨١ حكم على سيراف الدين آلجي بالسجن للفترة من ١٩٨١- , ١٩٨٤ وسيراف الدين هذا كان وزيراً سابقاً للأشغال في حكومة بولند اجاويد وكان عضواً سابقاً في البرلمان عن ماردين. وسبب محاكمته وإيداعه السجن هو ان سيراف الدين وفي احد مجالسه الخاصة قد قال بأنه كردي. وهناك قصة مشابهة لقصته وتلك هي قصة مهدي زانا الذي أنتخب رئيسا لبلدية ديار بكر في ١٩٧٩.

وفي عام ١٩٨٠ حكم عليه بالسجن لمدة ٣٢ سنة و ٨ اشهر. وفي عام

١٩٨٧ وبعد زيارة لوفد اوروبي والإتحاد الدولي لحقوق الإنسان خفضت المدة إلى ٢٦ سنة. أما الجريمة التي ارتكبها مهدي زانا واستحق عليها كل هذا الحكم القاسي فهي استخدامه للغة الكوردية أثناء تصريف اعمال البلدية وأُطلق سراحه سنة ١٩٩١. أما كمال بريلي فقد استغل الحصانة التي تمتع بها كمحامي ونائب عن اورفة فطبع كراساً للنحو الكوردي.

إدارة المنطقة الشرقية

منذ العهد الكمالي كشف النظام الإداري ما كان ينظره ويخفيه الحديث الرسمي والمسؤولون. فقد فرضت المحاكم العرفية على الولايات الشرقية في مرحلة مبكرة. فالمحاكم العسكرية المتجولة لها حق استصدار احكام الإعدام دون تصديق من البرلمان. وجرى انتقاد شديد لهذه المحاكم لتفشي الفساد فيها. وكان واجب هذه المحاكم الاول القضاء على كل معارضة لسياسة تحديث الدولة. أما الشيء الثاني المهم فهو عسكرة الإدارة في الولايات الشرقية حيث تم إنشاء مفتشية عامة في العشرينيات وتم إنشاء اثنتين أخريين بعدة سنوات بعد الأولى.

المفتش العام الذي هو عادة من العسكر له صلاحيات تتجاوز صلاحيات المسؤول الإداري ولأنه معين من قبل اتاتورك فانه لا يخضع لأيةِ محاسبة عن اعماله أمام البرلمان. ولقد تم إنشاء ولايات عدة بقرارات من أناس عسكريين وكان في هذا الوقت يرابط حوالي ٥٠,٠٠٠ جندي شرق الاناضول. في ١٩٤٣م تمت تبرئة احد الجنرالات عن قتل ٣٣ كوردياً بضغط من الجيش على المحكمة. واعتبرت القيادة التركية الجيش افضل وسيلة للحفاظ على وحدة البلاد وانجع بودقة لصهر الأقليات على غرار ما كان يفعله الجيش الاحمر الشيوعي في الإتحاد السوفيتي. اليوم يمثل الوالي السياسة العليا والسلطة الإدارية في الدولة. وحددت صلاحياته بمرسوم في ١٦ كانون الاول ١٩٩٠م وبموجبه يحق له حظر النشر حتى بدون قرار سابق من محكمة عرفية شريطة إصدار إنذار قبل

تنفيذ الحظر. ويحق له غلق المطابع لمدة عشرة ايام ثم لمدة شهر إذا تكررت المخالفة. والمعلوم ان هذه الصلاحية هي اقل من صلاحية سابقة في نيسان ١٩٩٠م والتي كانت تخول الوالي غلق المطابع لمدة غير محددة والوالي غير مسؤول أمام البرلمان عن اعماله. وفي استطاعة الشرطة أخذ أي شخص إلى المركز للتحقيق معه. في عام ١٩٦٦م قامت قوات المغاوير بمحاصرة القرى الكوردية وتفتيش القرويين واورد شهود عيان ان رجال الجيش ارتكبوا اعمال قتل وسلب وتعذيب واغتصاب اثناء هذه الحملات. وفي انقلاب ١٩٧١ عاد المتشددون إلى الحكم وفي الفترة بين ١٩٧١ و ١٩٧٣ اصدرت المحكمة العسكرية في ديار بكر احكاما لمدد مختلفة بحق ١٠٠٠ كوردي وبعد ١٩٨٦ تجددت هجمات حزب العمال الكوردي وقابلها عمليات للجيش والشرطة السرية والجندرمة ولازالت مستمرة حتى اليوم. واصبح الجيش عنصرا فاعلاً جداً في الحياة السياسية في البلاد بسبب المسألة الكوردية. بلغت تكاليف الحرب في العشرينيات والثلاثينيات حوالي ربع الميزانية العامة للدولة. وبسبب الانتفاضات الكوردية قامت الحكومة بمد خطوط سكك الحديد الإستراتيجية لربط مدن انقرة وسيفاس وفوزي باشا وديار بكر. ويشرف الجيش على هذه الخطوط التي تسهل عملية تحريك القوات العسكرية. ان حماية الحدود لمنع تسلل عناصر حزب العمال الكوردي تطلبت مبالغ طائلة. فالحدود مع سورية محصنة بأربعة خطوط مكهربة مع وجود ابراج للمراقبة يبعد الواحد عن الآخر بحوالي ٢٠٠ م. أما إلى الشرق فإن وعورة المنطقة مع الطرق لا تسمح بمثل هذا الإجراء واستعيض عنه بدوريات متحركة ونظام ميليشيات حيث يوجد في كل قرية اثنان او ثلاثة من عناصرها ويبلغ إجمالي اعداد هذه الميليشيات عدة آلاف وهي مسلحة من قبل الحكومة ويتقاضون رواتب وواجبهم منع التسلل عبر

الحدود وهم وعائلاتهم اهداف مستمرة لمقاتلي حزب العمال الكوردي. ولكن يستحيل ضبط حدود طويلة ووعرة كهذه من دون تعاون جاد بين دول الجوار. لقد اتبعت الدولة في كوردستان نوعين من السياسات وهما التهجير والتتريك. بدأت الاولى منذ عام ١٩٢٧م بعد القضاء على ثورة شيخ سعيد بيران حيث تم نقل اعداد كبيرة من الكورد إلى غرب تركيا وحتى عام ١٩٣٤م كانت عمليات الترحيل تتم بإشراف الجيش ويشرف عليها المفتش العام وأصبحت هذه العمليات رسمية في ١٩٣٤ بموجب قانون ينظم نشر الثقافة التركية وترحيل الكورد. في الاربعينيات والخمسينيات أصبحت لها أهدافاً أخرى محددة. في ١٩٨٠ صدر قانون يخول ترحيل كل أقرباء السجين السياسي كما بدأت الحكومة بإخلاء المناطق الإستراتيجية من سكانها وللوالي تقديم محفزات مالية لإفراغ هذه المناطق. تم إجلاء سكان ٤٣ قرية مقابل تعويضات مالية كما تم نقل ٥٠,٠٠٠ كوردي من إقليم كارس المحاذي للحدود السوفيتية وكذلك القرويين الساكنين بالقرب من الحدود السورية والعراقية.

أما سياسة التتريك فقد أخذت نهجاً منتظماً حيث عمدت الحكومة إلى تغيير أسماء المدن والقرى وغيّر وزير الداخلية اسماء ١٢,٨٦١ قرية من اصل ٣٤,٩٣٧ قرية وطالت ٨٠ ٪ من هذه التغييرات مناطق شرق تركيا. التعليم عامل مهم في عملية التتريك وخاصة في المدن. أما في الريف فإن نسبة الأطفال في المدارس قليلة ومن الصعب التحقق من مدى نجاح هذه السياسة ولكن نقل الكورد إلى المدن كان عاملا مهما في ظهور قادة كورد قوميين رغم اندماج الكورد في المجتمع التركي. هزت ثلاث ثورات الأناضول الشرقية بين ١٩٢٥ و ١٩٣٨ كرد فعل على سياسة التتريك الكمالية وخلفت وراءها إرثا لايزال باقيا.

ثورة شيخ سعيد بيران ١٩٢٥

وزعيمها رجل دين من الطريقة النقشبندية وساعد نفوذه الديني على حشد زعماء العشائر للاشتراك في الإنتفاضة واضفى هذا القدر الكبير من النفوذ غموضا على الثورة التي بدت وكأنها دينية وعشائرية في آن واحد. إن الدعاية الدينية التي رافقت الثورة ساعدت على استقطاب عدد من ضباط الجيش الأمر الذي قض مضاجع الساسة الأتراك. طالب الشيخ بدولة تقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية وتبنى سياسة الهجوم المباشر على المدن الرئيسة وكان يهدف من وراء ذلك إقامة إدارة ولو بسيطة ودولة مستقلة بسرعة لاستحصال الاعتراف الدولي بها. إن النجاحات المتتالية والسريعة وحجم القوات المشتركة كل ذلك اذهل الساسة واطاح بالصواب من رؤوسهم.

قامت الحكومة بتحشيد ١٠,٠٠٠ جندي مع ٢٣ طائرة في الهجوم على قوات الشيخ سعيد. إن هزيمة قواته في ديار بكر كانت نقطة تحول في مسار الحرب. اضطر المقاتلون إلى ترك المدن واللجوء إلى الشمال الشرقي من البلاد وهرب عدد من رؤساء العشائر إلى إيران حيث إستقبلهم سمكو بالحفاوة والتكريم. وتم إلقاء القبض على البعض الآخر منهم ومن ضمنهم شيخ سعيد واعدموا جميعا في ٢٥ ايلول ١٩٢٥ في ديار بكر وبلغ عدد الذين اعدموا ٥٢ رئيساً.

وأدانت المحاكم العسكرية المئات من الكورد وعددا من الأتراك الذين اتهموا بالتواطؤ مع الثورة. رغم إدعاءات الأتراك بتدخل انكليزي قامت

فرنسا بالسماح للجيش التركي باستخدام سكك حديد في شمال سوريا لنقل القوات ومحاصرة القوات الكوردية حول ديار بكر وبذلك وجهوا ضربة قاتلة إلى حركة الشيخ سعيد. ومهما يكن الأمر فان الحركة لم تسحق بالكامل وقام عدد من رؤساء العشائر من امثال يادو في بالو وعلي يونس في ساسون بشن حرب عصابات واوقعوا خسائر ليست بجسيمة في القوات التركية. وقامت السلطات بحملة انتقامية على شكل عمليات تهجير جماعية أودت بحياة عشرات الآلاف من الكورد.

ثورة ارارات عام ١٩٣٠

إن لجوء المقاتلين الكورد إلى الشمال الشرقي جعل من منطقة ارارات منطقة غير آمنة للقوات الحكومية حيث كانت القوافل العسكرية ومنذ ١٩٢٧ تهاجم بشكل منتظم من قبل القوات الكوردية. أما في الخارج فقد تأسست رابطة كوردية باسم (خويبون) الاستقلال وعقدت مؤتمرها التاسيسي في ١٩٢٧ وضمّت الرابطة عدداً من التنظيمات الكوردية وحضر المؤتمر أيضاً زعيم حركة طاشناق الأرمنية فاهان بابازيان وكان معظم القادة من المنتمين إلى عائلات عشائرية إقطاعية.

إن منظمة طاشناق التي كافحت ضد محاولات السوفييت ضم ارمينيا مثل انفتاحا على الغرب (بريطانيا وفرنسا) ويأتي اختيار منطقة ارارات تفسيرا وثمرة هذا التحالف الكوردي- الأرمني الذي لقي بعض المساندة من شاه إيران.

بحلول عام ١٩٣٠ (الكاتب ذكر ١٩٢٠) كان الجنرال نوري باشا قائد المقاتلين الكورد قد احتل المنطقة الواقعة بين ارارات وشمال وان وبتليس وبعد ذلك بدأت المفاوضات مع الحكومة التي استيقنت في ذلك الوقت من قوة الحركة الكوردية. وفي ١٩٣٠ وبالتحديد في شهر مايس حشدت الحكومة قواتها للهجوم على معاقل الثوار ولكن ولأسباب سياسية واجتماعية فان التعبئة سارت بشكل بطيء وأخيراً وفي شهر حزيران شنّت الحكومة هجومها بعد ان حشدت له ٦٥,٠٠٠ جندي ولكن مقاومة المقاتلين الشديدة ووقوع مئات الجنود في اسر القوات الكوردية. كل ذلك

اقنع الحكومة بضرورة إيجاد تفاهم مع الحكومة الإيرانية لمعالجة الثورة الكوردية. أوقف شاه إيران مساعداته عن الكورد وسمح للقوات التركية باستخدام الأراضي الإيرانية للالتفاف على القوات الكوردية ومهاجمتهم في مؤخرتهم. وبات واضحا لدى المقاتلين ان لا قبل لهم في مقاومة دولتين وخاصة إنهم لم يستطيعوا إقناع الكورد في إيران للقتال إلى جانبهم وتمزق شملهم ولجأ عدد منهم إلى إيران وعقب الهزيمة قمع وتنكيل وتشريد واعتبرت الحكومة جميع اعمال القتل والسلب والتعذيب التي ارتكبتها السلطات والمتعاونين معها من مدنيين وميليشيات من تاريخ ٢٠ حزيران وحتى ١٠ كانون الاول في كل من ارسيس وزيلان واكري داغ وارزكان وبولومر اعمالا لا يحاسب عليها القانون حسب المادة (١) من القانون الصادر في ٢٩ تموز ١٩٣٠ وبعد انتهاء القتال حدث قمع وانتقام شمل الولايات الكوردية جميعها وليست فقط تلك التي اشتركت في الإنتفاضة وبدأت حملات التهجير الجماعي التي شملت اربع مناطق هي:

الأولى: وهي المناطق التي يراد لها كثافة سكانية اعلي من ذوي الثقافة التركية.

الثانية: وهي الاقاليم التي خطط لها دمج سكانها في الثقافة التركية.

الثالثة: وهي المناطق التي يمكن للمهاجرين الترك العيش فيها دون مساعدة من السلطات وهي المناطق الخصبة في كوردستان تركيا.

الرابعة : وهي المناطق الإستراتيجية التي يراد إخلاءها.

وفي شباط من عام ١٩٣٢ تم ترحيل عدد من الكورد إلى الأناضول وانتهت حملات الترحيل في ١٩٣٥ م.

ثورة ديرسيم ١٩٣٦- ١٩٣٨

هذه المنطقة الجبلية الوعرة كانت حتى هذا التاريخ خارج دائرة الثورات ولكنها كانت ترفض اي شكل من اشكال التعاون مع الحكومة المركزية كما إن قاطنيها لم يشتركوا في الميليشيات الحميدية. في الثلاثينيات كانت السياسة الكمالية نحو ديرسيم يكتنفها نوع من الغموض. هنالك تهديدات بهجوم عسكري عليها وتتخللها مفاوضات في انقرة مع زعماء ديرسيم. وطبقا لقانون ١٩٣٢ للمناطق فان ديرسيم هي ضمن المجموعة الرابعة المشمولة بالإخلاء التام. جرت محاولة لترحيل السكان ولكنها جوبهت بالمقاومة والرفض واشترك ٦٠,٠٠٠ جندي في العملية غير أن وعورة المنطقة جعلت من المقاومة طويلة وقوية ولم تهدأ الاحوال حتى تشرين الاول من عام ١٩٣٨ عندما دُمرت المنطقة بالكامل ومنع الاجانب من الدخول إليها مثل بقية اجزاء كوردستان الشرقية ونتيجة للقمع الوحشي جداً لم تستطع الحركات الكوردية من ممارسة اي نشاط إلى فترة الانفتاح النسبي في الخمسينيات من القرن العشرين. وهنالك اسباب داخلية وأخرى خارجية وراء فشل الثورات الكوردية في العشرينيات والثلاثينيات وأول هذه الاسباب هو ان الايديولوجية الكمالية اعطت الدولة إطاراً فكريا وقدرة على التعبئة وعزّزها وجود إدارة وجيش عريقين لهما جذور عميقة في التاريخ.

أما الاسباب الخارجية فتكمن في مواقف الدول العظمى. ففرنسا كانت متلهفة لترضية تركيا. أما بريطانيا فإنها كانت تريد للأوضاع في العراق

ان تبقى مستقرة فلم تعط الكورد أيةِ آذان صاغية. أما فيما يتعلق بإيران فإنها تجمعها بتركيا مصالح مشتركة وظهر ذلك جليا عند تبادل المناطق بين الدولتين في معاهدة ١٩٣٢. وفي حالة إجراء مقارنة بين الحركة الكوردية والحركات التركية الأرمنية فان الحركة الكوردية جاءت متأخرة عنهما ولم تستطع إفراز النخبة القادرة على إدارة الحركة القومية. كما ان غياب الحس القومي في المجتمع الكوردي حال دون توسع الحركة وانتشارها. وفي مجتمع منقسم على نفسه تكون للارتباطات المحلية اهمية اكثر من المفهوم القومي العام.

السكان

إن تقييماً سكانياً للكورد في تركيا ليس بالأمر السهل. فإحصاء عام ١٩٦٥ الذي اخذ اللغة بنظر الاعتبار قلل من اعداد الكورد وخاصة اعداد اولئك الذين استوطنوا المدن. فكثيرون منهم لم يرغبوا في إظهار هويتهم القومية. أما تقديرات الـ (CIA) لسنة ١٩٧٩ فهي ٤- ٦ ملايين. أما الصحافة فقدرت عدد الكورد بحوالي ٨ ملايين في عام ١٩٨٩ م. أما كيندل نزان فقد قدر نفوسهم بحوالي ١٢ مليون في عام ١٩٨٧م اي نسبة ٢٤ ٪ من مجموع السكان البالغ يومئذ بـ ٥٢ مليون. أما بروينسن فقدر العدد ب ٧,٥ مليون في عام ١٩٧٥م. إن التباين في التقديرات مرده وجود اعداد كبيرة من الكورد خارج منطقة كوردستان ومن المحتمل جداً انهم لم يدخلوا في هذه التقديرات.؟ أما توركوت اوزال رئيس الجمهورية فقد ذكر في ١٩٩١ إن هنالك ١٢ مليون كوردي في تركيا اي ما يقارب نسبة ٢٠ ٪ من مجموع سكان تركيا. إن الهجرة من الريف إلى المدينة في الستينيات جاءت بسبب سوء الاحوال الإقتصادية والسياسية. وازدادت هذه الهجرة اكثر في السبعينيات والثمانينيات. فقد كانت نسبة السكان في الريف عام ١٩٦٥ تبلغ ٧٢,٢ ٪ من مجموع السكان الكورد وهبطت في ١٩٨٠ إلى ٦١,٥ واخيرا لتصبح في ١٩٩١ حوالي ٥٥ ٪. إن جزءا من هذه الهجرة كان نحو العواصم الإقليمية مثل ديار بكر ووان وسيرت وبتليس. غير إن ضعف إمكانيات هذه المدن الإقتصادية والصناعية أُجبرت الاغلبية على التوجه نحو الغرب الصناعي فأصبحت اسطنبول على سبيل المثال مدينة كوردية رئيسة وذلك بوجود

٨٠٠,٠٠٠ كوردي فيها. إن ١/٣ الولادات الكوردية اليوم هو في مناطق يسودها التكلم بالتركية. وبسبب هذه الهجرة ولأول مرة منذ الاربعينيات أصبح معدل النمو السكاني في ولايات تونجلي (ديرسم) وكارس وارزنكان سالبا وحتى إن نسبة النمو قد بلغ الصفر في اورفة وكانت النسبة اقل من المعدل العام في عموم تركيا. إن هذا التدني مرشح للاستمرار حتى ولو استكمل بناء السد المزمع إنشاؤه على الفرات والذي قد يغير من منحني الانخفاض في المناطق المجاورة للسد. الكورد متواجدون في ١٨ إقليم وهذه الولايات هي : اديامان، اكري Agri بنغول ذ بتليس، ديار بكر، الازك، ارزنكان، ارضروم، غازي، هكاري، كارس، ماله تاي، ماردين، موش ذ تونجلي (ديرسم)، وان . وهنالك مناطق كوردية الحقت بمقاطعات تركية في هتايا ومارس وسيفاس حيث ان ١/٣ من سكان هذه المناطق هم من الكورد. وتوجد تجمعات كوردية وسط الاناضول منذ العهد العثماني والاتاتوركي مثل انقرة وكولو و هيمانة.

والجدير بالذكر ان المناطق الشرقية هي ليست كوردية خالصة فالترك والعرب والآذريون يشكلون حوالي ٢٠ ٪ من مجموع سكانها. حتى الستينيات من القرن العشرين كان الاقتصاد في المناطق الكوردية مكتفيا اكتفاءً ذاتيا يعتمد على الزراعة التقليدية بأساليب قديمة وعلى تربية الأغنام.

الروابط الإقتصادية كانت مع العراق وسوريا وشكّلَ التهريب دوراً مهما فيه. الزراعة بقيت متخلفة لرداءة الطرق وقلة رؤوس الاموال المستثمرة فيها باستثناء الاستثمارات العسكرية وسياسة الدولة كانت تعتمد على عدم التدخل في الاقتصاد على الاقل في المناطق الكوردية إذ انها كانت سباقة إلى التدخل في المناطق غير الكوردية بشكل مبرمج

ومنتظم. عدد الاطباء في المناطق الكوردية هو ١/٤ عددهم في المناطق الأخرى حيث إن العاملين في الحقل الصحي غير متحمسين للعمل في هذه المناطق لقلة الحوافز المادية اولا ولغياب الحياة المدنية فيها ثانيا. العمل المصرفي متخلف والقروض تقدم من قبل الافراد بمعدلات سعر فائدة عالية .الأمر الذي أبطأ من عملية التنمية. رجال الاعمال راغبون عن توظيف رؤوس اموالهم في الشرق الكوردي لانعدام الامن ولكون البنية التحتية فيها ضعيفة والبرجوازيون المحليون يفضلون تشغيل اموالهم في الغرب المزدهر حيث فرص النجاح أوفر.اقل من ١٠ ٪ من السكان يعملون في الصناعة والولايات الكوردية الـ ١٨ تساهم بمعدل ٣ ٪ من مجمل الإنتاج الصناعي ومساهمة ست ولايات منها هي صفر ٪. والصناعة إذا ما وجدت فهي صناعة مواد البناء وهنالك صناعة استخراج بعض المعادن مثل الفوسفات والكروم والحديد والفحم ويتم تصنيع المواد المستخرجة خارج منطقة كوردستان.

وهنالك مشروع عملاق لتطوير المنطقة الجنوبية الشرقية ويتمثل في بناء سدود مائية كبيرة على نهري دجلة والفرات وعند اكتمال المشروع في ١٩٩٣ كماهو مخطط له (الكاتب وضع كتابه قبل هذا التاريخ) فانه سيحدث تغييرا جذريا في حياة السكان المحليين. وسيضم المشروع ٢١ سداً و١٧ محطة كهرومائية.

إن هجرة السكان من المنطقة الريفية بإتجاه المدن مستمرة رغم عدم توفر فرص العمل في هذه المدن. ونتيجة للبطالة المستشرية في هذه المدن فقد نشأت حركات إحتجاج فيها وأخذت بالإتساع يوماً بعد يوم بعيداً عن مراكز انطلاقها في المدن.

بعد الإنتخابات الحرة في ١٩٥٠ تنفس الناس الصعداء وحدث نوع من التطور الزراعي في المنطقة الكوردية جنبا إلى جنب مع هبوب نسيم

الحرية النسبية. تم إدخال زراعة منتوجات زراعية صناعية مثل القطن والبنجر والتبوغ وتم تصديرها إلى الأسواق المحلية والخارجية على حد سواء. بيد ان تدخل الحكومة واحتكارها الاتجار بهذه المنتوجات وتسعيرها وعلى الاخص التبغ اثر سلبا على عملية إنتاجها. والجدير بالذكر إن منتجي التبوغ في مناطق بحر إيجة والبحر الاسود لا يخضعون لمثل هذه الإجراءات. وبدأت الزراعة تدريجيا تعتمد على المكننة الزراعية الحديثة ولو بنسبة أقل عن المعدل الوطني العام. إن توزيع الأراضي الزراعية تم بشكل غير عادل ومنصف إذ ان ١/٦ من الملاكين يستحوذون على ٣/٤ من الأراضي الصالحة للزراعة والخصبة وهذا الإجراء وان ساعد على التحديث فأنه اجبر صغار الملاكين الذين لم يستطيعوا مجاراة الكبار والتكيُّف مع متطلبات الوضع الجديد على الهجرة وترك الارض. إن الملكيات الكبيرة نشأت بعد قيام الدولة بتوزيع الأراضي الأميرية التي هي ملك الدولة وكانت تدار في السابق من قبل رجال الدين على رؤساء العشائر. وبمرور الأيام ومع حدوث التطورات والتحولات الاجتماعية والإقتصادية التي أثرت على التركيبة العشائرية نزح العديد من هؤلاء الرؤساء إلى المدن واستقروا فيها.

وبعد نزوح الآغوات والشيوخ إلى المدينة بدأت قبضتهم على القرويين تضعف وبدأت الضرائب التي كانوا يستوفونها من القرويين تذهب إلى التنظيمات السياسية. وتدهور حالة الإستثمار من سيء إلى أسوأ لسببين رئيسيين. الأول أن الدولة ومنذ ١٩٨٧م بدأت بإتباع سياسة الخصخصة وابعدت بنفسها عن سياسة التنصل التي كانت متبعة منذ ايام اتاتورك. أما السبب الثاني فهو إن عمليات الاغتيال والنهب والتخريب ونشاطات أخرى لحزب العمال الكوردي شكلت مخاطرا تهدد رأس مال المستثمر. وطبقا لمسح قامت به غرفة صناعة اسطنبول فان ١٤

ولاية من اصل ١٨ ولاية كوردية احتلت أوطأ الدرجات في سلم توزيع الدخل القومي للفترة من ١٩٧٩- ١٩٨٦م إذ بلغ معدل دخل الفرد فيها ١٥/١ من معدل دخل الفرد في اسطنبول او أزمير مثلا. ويستثنى من ذلك الازك و مالاتيا لوجود معدن الكروم في الأولى ووجود زراعة جيدة وحركة تجارية قوية في الثانية. واحتلت ولاية هكاري اسفل السلم إذ بلغ معدل دخل الفرد فيها ١٠٠ دولار سنوياً.

التعليم في المناطق الكوردية

جهاز التعليم في كوردستان تركيا متأخر ويعاني نقصاً كبيراً في المواد والكادر. في عام ١٩٨٠ بلغ عدد المتعلمين من الذكور الذين هم فوق سن السادسة ٣٣٪ وعدد المتعلمات ١٩٪. التخلف كبير إذا قورنت النسبة مع المعدل العام حيث تبلغ نسبة المتعلمين والمتعلمات ٦٠٪ ولا توجد في كل كوردستان سوى عشر مؤسسات للتعليم العالي. وبما ان اللغة الكوردية ممنوعة في الاستعمال منذ ١٩٢٤ فإن المفكرين والمثقفين الكورد يعبرون عن انفسهم بالتركية. الروائي الكوردي الأصل يشار كمال ومخرج الأفلام الكوردي يلماز كوني كلاهما إستخدما التركية في اعمالهما. إن ٢/٣من كورد المنطقة الشرقية يتكلمون التركية بشكل رديء. ومنذ الخمسينيات اصبح التكلم بالكوردية جائزا غير ان الطبع والنشر وامتلاك المطبوعات الكوردية جميعها بقي محظورا. وبشكل عام فان الوضع في السنوات الأخيرة بدأ يميل إلى التحسن غير أن الأمر كله لم يصل بعد إلى درجة السماح الرسمي بخصوص الطبع. وكما أسلفنا في الصفحات السابقة فان سياسة الدولة كانت مع مبدأ التتريك لأسماء المدن والقرى الكوردية واليوم نجد مصطلح الاناضول الشرقية او المنطقة الشرقية بدلا عن كوردستان. كما إن ديرسيم أصبحت تدعى تونجلي (ديرسم) وكان من بين المراسيم الصادرة من المجلس الوطني المنبثق من انقلاب ١٩٦٧ مرسوم متعلق بأسماء المدن والقرى الكوردية.

كانت الموسيقى الكوردية تتمتع بشعبية ومكانة مرموقة وكانت جديرة

بالاهتمام والدراسة ولكنها عبر العقود الماضية افرغت من عذوبتها وخاصة بعد منع المدارس الموسيقية الكوردية التقليدية. كما إن الزي الكوردي التقليدي الزاهي المكون من قميص وسروال كبير وفضفاض منع إبان فترات القمع الرهيب ولكنه اليوم بدأ بالظهور من جديد بسبب سياسة الإعتدال المرنة المتبعة حاليا. إن تدمير الرموز والنصب والمعالم التاريخية الكوردية التي تشير إلى الهوية الكوردية وامجادهم ورجالاتهم كان يسير بشكل مبرمج. وأصبحت القلاع والمباني التي تروي قصص الأمراء الكورد اهدافا للسلطات لتقوم بإزالتها. لقد سوي القصر الشهير المسمى القصر الابيض والاسود(برجا يلاك) الذي شيده الامير بدرخان على نهر دجلة بالارض واصبح اثرا بعد عين. وفي السنوات الأخيرة أُزيلت كنائس الأرمن من الاناضول الشرقية. لقد لعب الملالي دورا مميزا في حياة القرية الكوردية بشكل خاص والحياة الكوردية بشكل عام. فكانوا يعلمون الصغار مبادئ الدين وشيئا من نظم الشعر والادب. في ١٩٦٣م اصدرت الدولة قانونا تم بموجبه دمج الملالي في الخدمة الحكومية وفقد الملالي الذين بدؤا يتخرجون من مدارس حكومية مصداقيتهم بين القرويين وبدأ الاهالي ينظرون إليهم في كثير من الاحيان بعين الريبة والشك وعلى أساس أنهم عملاء للدولة. لقد أصبحت سياسات الحكومات اكثر اعتدالا. في عام ١٩٩١م اصدرت الحكومة قانوناً ينسخ به القانون الصادر في ١٩٨٣ والذي كان يحظر التكلم باللغة الكوردية بشكل علني ونعيد إلى اذهان القارئ ما قاله السيد اوزال إلى احد الصحفيين من ان بين كل ستة من الأتراك نجد كورديا في تركيا. وبما ان القانون الذي يسمح للكورد بالتكلم بلغتهم لم يلق معارضة تذكر فان هذا يعتبر مؤشرا ايجابيا على روح الاعتدال التي

بدأت تسود في المجتمع. وحتى السيد كنعان افرين احد ابرز قادة انقلاب ١٩٨٠ أبدى تأييده لهذا القانون السمح والمعارضة الوحيدة التي ظهرت كانت من الجناح اليميني المتطرف للحزب الذي يترأسه ام توركس. ولقد مهد لهذا الاعتدال الحكومي التطور الذي حدث في اتحاد الاحزاب السياسية مثل حزب الشعب الديمقراطي الاشتراكي.

في التاسع من نيسان ١٩٩١ دعا زعيم الحزب السيد اينونو إلى إنشاء معهد كوردي ضمن إطار الجامعات التركية. جاء تصريحه هذا في مدينة وان في اعقاب حصول حزبه على نتائج متدنية فأراد اينونو بتصريحه هذا كسب ود الناخب الكوردي. إن الموروث الثقافي الكوردي بات اليوم يعاني من الإهمال المتعمد له بسبب انقطاعه عن منابعه الاصلية ولكون التركية هي الغالبة وأصبحت الكوردية مقصوصة الجناحين.

اليوم وعندما يرقص احدنا على لحن كوردي فلا ننسى بأن الكلمات المغناة المرافقة لهذا اللحن العذب هي كلمات تركية وليست كوردية ويخشى على اللغة الكوردية إذا ما استمر بها الحال على هذا النحو المزري ان تتحول على مرّ الأيام إلى فلكلور ثقافي يثير فضول دارس من الدارسين لاغير.

الحياة السياسية للكورد في تركيا

إن دخول الكورد معترك السياسة في تركيا بدأ بعد الحرب الثانية. إن الصعوبات الإقتصادية ومجاعة اعوام ١٩٤٠- ١٩٤٥م أثارت موجة من الغضب والتذمر مما حدا بعصمت اينونو إلى القيام بتغيير الحكم. في عام ١٩٤٩م تم تأسيس عدد من الاحزاب ومن بينها الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي فاز في انتخابات ١٩٥٠م ومن قادة الحزب عدنان مندرس وجلال بايار الذي شغل منصب رئيس الوزراء أيام كمال اتاتورك. وعليه فانه بدا ان الحزب لن ينأى بنفسه عن النهج الكمالي. ومع مجيء الحزب إلى السلطة سادت فترة من الاعتدال والديمقراطية وكان الكورد المستفيد الاكبر منها وخاصة وإنهم صوتوا بكل قوة وبأعداد كبيرة لصالح هذا الحزب.

خف القمع البوليسي وعاد عدد من المبعدين الكورد إلى كوردستان واعيدت إليهم ممتلكاتهم التي صودرت وكان غالبية العائدين من رؤساء العشائر. ونجح الحزب في كسب الكورد إلى جانبه بعد ان قام بفتح بعض الطرق وتأسيس بعض المستشفيات في المناطق الكوردية. لم ترق هذه الإجراءات لأنصار مبدأ كمال اتاتورك كما ان قادة الجيش شعروا بالاستياء لتهميش دورهم واتخذوا من الصعوبات الإقتصادية ذريعة لإنقلابهم في ١٩٦٠.

وصرح مندرس بأن الكورد استغلوا وجودهم في الحزب الديمقراطي لتحقيق استقلال كوردستان.وفي حزيران من عام ١٩٦٠ قامت السلطات

الحكومية باعتقال ٤٨٥ مواطنا كورديا واودعهم السجون. وتم نفي ٥٥ من البارزين فيهم إلى غرب البلاد لمدة سنتين وكانوا جميعاً أعضاء في حزب مندرس.

في مايس ١٩٦١م خرجت مظاهرات في المدن الكوردية الرئيسية ديار بكر ووان وبتليس ردا على عودة العسكر إلى النهج الكمالي الصارم في الحكم. ورفع المتظاهرون لافتات تطالب بالاعتراف بالهوية الكوردية. وشكلت هذه المظاهرات والاحتجاجات انبعاثا جديدا للحركة القومية الكوردية التي قطع منها الرأس قبل الحرب.

إن دستور عام ١٩٦١م الذي أعاد الإدارة المدنية لم يرفع الحظر المفروض على الاحزاب الإقليمية غير ان الانفتاح السياسي اعطى الكورد متنفسا للتعبير عن انفسهم.

بعد منتصف شباط ١٩٦١ جاءت ولادة ثلاثة أحزاب هي حزب العدالة وحزب تركيا الجديدة وحزب العمال التركي. لم يستطع اي من هذه الأحزاب الثلاثة إحراز الفوز بأغلبية الاصوات غير إن حزب العدالة تصدر هذه الاحزاب وتقاسم هو وحزب تركيا الجديدة اصوات الناخبين في الشرق واصبح احد قادة حزب تركيا الجديدة يوسف اوغلو الكوردي الاصل وزيرا للصحة في حكومة عصمت اينونو. وعرف اوغلو بنشاطه وحيويته فأقام المستشفيات والمستوصفات في شرق البلاد الأمر الذي اثار حفيظة وزير الداخلية المقرب إلى عصمت اينونو فأوغر الأخير صدر عصمت على اوغلو واتهمه بالنزعة الإقليمية الكوردية مما حدا بالأخير إلى تقديم إستقالته. إن منع الكورد من تأسيس أحزاب خاصة بهم ومعارضتهم للنهج الكمالي المتعصب دفع بالعديد منهم إلى التوجه إلى الأحزاب اليسارية واصبح وجود الكورد فيها صفة مميزة لها. حدث هذا

مع حزب العمال التركي الماركسي وكان زعيمه الثاني محمد علي اصلان كوردياً من ارارات وقام في ١٩٦٦ بإصدار مجلة كوردية صدرت منها اربعة اعداد فقط وكانت المجلة سبباً في منيّته. وضع الحزب حلولاً للمسألة الكوردية وفق المنظور الماركسي وفتح له عدة فروع في المدن الكوردية غير ان المسألة الكوردية ونشوب خلافات داخلية فيه قضيا على الحزب. اثناء انعقاد مؤتمره في تشرين الاول عام ١٩٧٠ تبنى الحزب قراراً يعترف بالشعب الكوردي. كانت هذه أول مرة في تاريخ تركيا يقوم حزب ممثل في البرلمان (كان له ١٥ مقعدا من مجموع ٤٥٠ مقعد) بمثل هذه الخطوة الجريئة. كان رد فعل حكومة نيهاد ايرم سريعاً إذ فرض حظراً عليه وتم إلقاء القبض على زعماء الحزب وحكم عليهم بالسجن لمدة ١٢ سنة وافرج عنهم في ١٩٧٤ بعفو حكومي بعد انتخابات عام ١٩٧٣.

نمو الاحزاب الكوردية

بعد إنقلاب ١٩٧١ قام عدد من المقاتلين الكورد في حزب العمال التركي (TWP) بتشكيل حزب سري جديد اطلق عليه اسم الحزب الاشتراكي الكوردستاني (SPTK) وجعلت اهداف الحزب منه حزباً محظوراً واصدر الحزب مجلة بلغتين سميت بـ(يوم الحرية) (Roja Azadi) كواجهة رسمية له. وظهرت في هذا الوقت منظمات شبابية عرفت بالإتحادات الثقافية الثورية وسرعان ما بلغ عددها في كوردستان والاناضول ٢٠ منظمة.

في عام ١٩٧٧ ظهرت جريدة باللغتين التركية والكوردية تحت اسم (ارض الآباء) ولكنها منعت من الصدور بعد أشهر قليلة على صدورها. وجاء انقلاب ١٩٨٠ ليضع حداً لنشاط حزب العمال الاشتراكي الكوردستاني السري واعتقل عدد من قادته. غير ان سكرتير الحزب كمال بوركاي تمكن من الهرب إلى خارج تركيا ليواصل إصدار جريدة طريق الحرية من جديد. إن حزب SPTK حزب ماركسي موالي للسوفيت. حاول الحزب جمع القوى السياسية في تركيا في جبهة واحدة ضد الإستعمار ونادى بإيجاد دولتين اشتراكيتين احداهما تركية والأخرى كوردية وكان يؤمن بأهمية تأثير الإيديولوجية ولم يكن في منهج الحزب مخطط للكفاح المسلح.

في الثمانينيات وقع SPTK إتفاقا مع حركتين اخريين تتبنيان نهجا ماركسيا وهما الحزب الديمقراطي الثوري وحزب انصار التحرير القومي لكوردستان. وكان الحزب الديمقراطي الكوردستاني قد تأسس عام

١٩٦٥ على نهج واسلوب الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق من قبل فائق بوجك وهو محامي ونائب عن اورفة.في عام ١٩٦٩ وعندما كان الفصيل المؤيد للبارزاني مسيطرا على الحزب حدث انشقاق فيه إذ قام الدكتور سيوان بتأسيس حزب جديد حمل نفس الإسم ولكن ليصبح في ١٩٧٧ حزب العمال الكوردستاني وبعد ذلك بمدة اخذ اسم طلائع عمال كوردستان في ١٩٨٣. ولكن ظهور الحزب الاشتراكي الكوردستاني SPTK على مسرح الاحداث اضعف الحزب الديمقراطي الكوردستاني KDP التركي وحدث انشقاق آخر فيه في عام ١٩٧٩ واسس المنشقون حزبا تحت اسم (انصار تحرير كوردستان) وما تبقى من (KDP) كان نواة صغيرة بقيت وفية للبارزاني. وكان ينهج سياسة محافظة رغم تودده إلى الماركسيين في مؤتمره عام ١٩٧٧. ودعا KDP إلى استقلال كوردستان وليس إلى الحكم الذاتي. أما حزب طلائع عمال كوردستان فقد بقي سريا وعقد مؤتمره الاول في عام ١٩٧٥. أما الحزب الاشتراكي الكوردستاني فكانت إستراتيجيته تقوم على أساس الاعتماد على التنظيمات النسوية والشبابية واتخاذها واجهة له. إن هذه التنظيمات كانت معروفة وشعبية اكثر من الحزب. في عام ١٩٨٢ حدث فيه انشقاق وبسببه وبسبب موجة الاعتقالات التي طالت الحزب بعد انقلاب ١٩٨٠ اعتراه ضعف كبير وبقي الحزب الذي ضم معلمين وطلابا مواليا للماركسية والإتحاد السوفيتي. تشكل حزب انصار تحرير كوردستان في ١٩٧٩- ١٩٨٠ بعد حدوث الانشقاق في KDPT وكان يؤيد استقلال كوردستان ولا يناصر الماركسية وضم في صفوفه عناصر شابة جاؤوا من رحم مجتمع يمر في مخاض عسير. وكانت هنالك احزاب صغيرة مثل التحرير (رزكاري) وله ميول ماركسية و يطالب بكوردستان مستقلة.

وكان هنالك أيضاً حزب راية الحرية (آلاي رزكاري) وهو فصيل منشق من حزب التحرير وكان هنالك حزب كاوة وله ميول ماوية وظهر حزب صغير اخر يدعى (الكفاح) واخيرا وفي عام ١٩٨٨ ظهر الحزب الإسلامي الكوردستاني ويؤمن بدولة كوردية إسلامية موحدة واختار اعضاءه من بين الطبقة المثقفة ومن الطريقة النقشبندية وناصر الاحزاب الدينية المجازة. وهو من منتقدي الثورة الإسلامية الإيرانية ويوالي السعودية الممول الرئيس له. وظهور حزب إسلامي في كوردستان كان شيئا جديدا على الساحة إذ كانت كوردستان حكرا على الاحزاب اليسارية. إن الايدلوجية الإسلامية اليوم تطرح نفسها كبديل قوي محتمل للنهج الكمالي الذي ظل مهيمنا على الحياة السياسية في تركيا إلى يومنا هذا.

إن PKK يعتبر الاقوى في كوردستان اليوم وبداياته تعود إلى تجمع طلابي عقد في جامعة انقرة ومنذ تلك الساعة فرض عبد الله اوجلان نفسه زعيما للحركة. واوجلان هذا كان طالبا في معهد العلوم السياسية والكنية التي اشتهر بها هي آبو (Apo) وإستراتيجية المجموعة هي الابتعاد بنفسها عن الحركات الأخرى التي اتهمتها بالعمالة والارتباط بالحكومة بشكل او بآخر. وبدأ الحزب ينشر دعوته في ١٩٧٥ وانطلق اوجلان بنشاطه من مسقط رأسه اورفه وذهب الآخرون من اعضاء الحزب إلى ديرسيم وتركزت انشطته على اللقاءات السرية مع الطلاب والشبان. واستشف من لحن دعايته على انه حزب قومي عنيف ووزعت منشوراته (طريق الثورة الكوردية) في عام ١٩٧٥ وحملت بشدة على البرجوازية الكوردية واتهمتها بالخيانة والتواطؤ مع الدولة. الحزب ماركسي والإتحاد السوفيتي مثله وحل تقديره وبرامجه راديكالية تدعو إلى استقلال كوردستان وإنشاء دولة شيوعية من خلال القضاء على

الطبقة الوسطى وبعد سيطرة العمال والفلاحين على السلطة. في عام ١٩٧٧ حدث انشقاق فيه حيث اختلف تنظيم ولاية غازي عينتاب مع اوجلان الذي اصدر أوامره في الحال بقتل جميع قادة التنظيم هناك وكان بينهم علي ياي ومحمد اوزون وآخرون. وانصب جل العنف المستخدم من قبل الحزب على المتعاونين مع الحكومة وعلى الاحزاب الأخرى وليس على الحكومة.

تأسس PKK بشكل رسمي في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٩٧٨ في مكان قرب ديار بكر وتم اختيار اوجلان سكرتيرا له على رأس لجنة مركزية مؤلفة من ٧ أعضاء كان واحد منهم فقط من اللجنة التأسيسية عام ١٩٧٤. ولأجل تسليط الأضواء على الحزب وضع اوجلان خطة لاغتيال محمد جلال بوجك الذي كان ملاكا كبيرا في سيفرك وكان من المتعاونين مع الحكومة ويقود مجموعة من الميليشيات. نجى محمد جلال من محاولة الإغتيال وبدأت الميليشيات التابعة له حملة لمطاردة عناصر الـ PKK ولأجل السيطرة على المنطقة وليكون الفارس المهيمن على الساحة بدأ اوجلان بالهجوم على اتباع حزب انصار تحرير كوردستان الذي كان له إنتشار واسع بين الأوساط المحلية وخلفت الحرب بين الحزبين عدداً كبيراً من الضحايا. وعند وقوع انقلاب ١٩٨٠ كان الحزب يتمركز في١- غازي عينتاب ومالاتيا ٢-اورفة وماردين وديار بكر ٣- الازك وتونجلي (ديرسم) وبنغول. وفي فترة الفوضى التي عمت المنطقة في السبعينيات كان PKK يمول نشاطه من الهجمات على البنوك ومن تجارة السلاح والمخدرات.

من المحتمل ان اوجلان توقع انقلاب عام ١٩٨٠ فهرب إلى سوريا وهو موجود فيها إلى يومنا هذا ولحق به معظم قادة الحزب وعقد الحزب مؤتمره الاول عند الحدود السورية اللبنانية وقام احد الاعضاء في الوفود

المشاركة بالمناقشة ووضع اوجلان في موقف محرج. ولكن اوجلان وبعد مدة قصيرة انتقم منه وذلك بقتله وبقي هو القائد الأوحد بدون منازع. وفي مؤتمر الحزب الثاني تبنى الحزب اسلوب الترهيب والعنف ضد الحكومة وضد المتعاونين معها. وفي مايس ١٩٨٣ قتل ثلاثة جنود ترك في كمين نصب لهم، ورد الجيش التركي بحملة واسعة بحثاً عن عناصر PKK في المناطق الكوردية داخل الأراضي العراقية. وبعد مدة ابرم اتفاق تحالف بين PKK والحزب الديمقراطي الكوردستانيKDP بقيادة مسعود البارزاني. كان البارزاني يبحث عن حليف جديد بعد انحسار نفوذ حزب انصار تحرير كوردستان الذي كان احد اهم حلفاء البارزاني. سمح هذا الاتفاق لـ PKK بالإقامة في شمال العراق وكان إلى هذا التاريخ يجري PKK تدريب عناصره في سوريا وسهل البقاع. كان PKK أثناء جولات اعضائه يأخذ اطباء لمعالجة السكان المحليين لكسب ودّهم على غرار ما كانت تفعله تنظيمات الفييت كونغ الشيوعية في فيتنام. كان عباس قلقان أحد أبرز قادة PKK ولكنه أنشق عنه وهو معتقل الآن في المانيا. إستمرت هجمات PKK في ١٩٨٤ ولكنها تناقصت كثيراً في ١٩٨٥.

في آب ١٩٨٦ جرت عملية كبيرة قتل فيها ١٢ من أفراد الجندرمة في ولاية هكاري وانتقاماً لمقتلهم شن الجيش التركي حملة عسكرية قصف معسكرات حزب العمال الكردي داخل العراق بالمدفعية مخلفا ١٥٠ إصابة بينها إصابات في صفوف KDPI) الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق). وبدأ البارزاني بالإبتعاد عن اوجلان. وفي هذه الفترة ركز حزب العمال الكوردي هجماته على المتعاونين مع الحكومة. وبسبب العنف الذي لازم عملياته خسر الحزب الكثير من عطف وتأييد الجماهير له واثار نقمة الأحزاب السياسية الأخرى عليه. في ٢٠

حزيران ١٩٨٧ وفي هجوم له على قرية بنارجك في ماردين بعد اتهام سكانها بالتعاون مع الحكومة قتل ٣٠ شخصا، ببينهم ١٦ طفلا و٨ نساء. إن نجاحات حرب العصابات في ١٩٨٧ تزامنت مع إنتهاء عقد التحالف المبرم مع مسعود البارزاني الذي اكتشف خطورة التحالف مع حزب موغل في الإرهاب واصبح يشكل خطراً يهدد الحزب الديمقراطي الكوردستاني نفسه. كما إن علاقاته مع الأحزاب الأخرى سيئة للغاية. وتشكلت جبهة مناوئة لحزب العمال الكوردي مكونة من ٨ احزاب سميت (الحركة) وتزعمها كمال يوركي وتؤيد الاستقلال ولكنها تنبذ العنف والإرهاب. ومما زاد الطين بلة لحزب العمال الكوردي حدوث انشقاق آخر فيه إذ قام المحامي حسين يلدريم بتأسيس حزب جديد سماه حزب العمال الثوري الكوردستاني.

وبمساعدة عدد من الاعضاء في الحزب تمكنت الشرطة من تفكيك جزء مهم من تركيبة PKK .وفي عام ١٩٨٩ تم إلقاء القبض على ٢ من قادة الحزب المحليين وهما كارزان ومحمد امين كاراتاي من ماردين. وفي هذا الوقت تم تغيير إستراتيجية حزب العمال الكوردي بعد سلسلة من الانتكاسات التي إصابته حيث تم إيقاف الهجمات على المدنيين وأستعيض عنها بأخرى على أهداف إقتصادية. وأول تطبيق لهذه الإستراتيجية الجديدة جاء على شكل هجوم على منجم الفحم في سيرت في مايس عام ١٩٨٩ حيث قامت وحدة من حزب العمال الكوردي بالسيطرة على المنجم مستغلاً الخلاف الموجود بين القرويين وإدارة المنجم. كان حزب العمال الكوردي يبحث عن حلفاء جدد والتقارب الذي حصل مع الطالباني كان تعويضاً عن خسارته لحليفه السابق مسعود البارزاني. كما بدأ التعاون مع احزاب صغيرة يسارية مثل (اليسار الثوري) والحزب الشيوعي الماركسي التركي وساعدته هذه التحالفات

على التزود بالمعلومات والمساعدة اللوجستية. في ١٩٩٠ حدثت سلسلة من الإحتجاجات في المدن حيث قام عدد من الشبان والصبية برشق الشرطة بالحجارة وفي ٢٣ آذار عام ١٩٩٠ خرج الألوف في ماردين وهم يرددون الهتافات.لقد نجح PKK في إيجاد قاعدة له في المدن وذلك بعد ان اوقف هجماته ضد المدنيين وبدا وكأن PKK قد بدأ بكسب شعبية بين الجماهير وان سبع سنوات من حرب العصابات خلفت وراءها آلاف الضحايا من المدنيين والعسكريين وبين صفوف حزب العمال الكوردي أيضاً. وازداد عدد الضحايا يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة. منذ عام ١٩٨٣ قام الجيش التركي بعبور الحدود إلى داخل العراق عدة مرات بحثا عن عناصر الحزب وفي كل مرة كان عدد من الكورد العراقيين يلقى القبض عليهم.

الكورد في العراق

العراق هو من صنع بريطانيا. إن تفكيك الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب الأولى سمح لبريطانيا بالإستيلاء على ولايتي البصرة وبغداد وهو ما يعرف بجنوب بلاد مابين النهرين (ميسوبوتاميا) أما ولاية الموصل ذات الأغلبية الكوردية فقد إرتبط مصيرها بوجود النفط فيها. وبعد هدنة مدراس في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩١٨ قامت بريطانيا بالاستيلاء عليها وكان هذا الاستيلاء جزئيا. إذ كان الشيخ محمود يسيطر على السليمانية منها. إن حركة الشيخ محمود التي قضى عليها الانكليز رفضت السيطرة التركية كما انها رفضت التبعية لدولة عربية.

ولغرض تشكيل الدولة العراقية استدعت بريطانيا الامير فيصل الذي سبق له وان طورد من قبل الفرنسيين من دمشق عام ١٩٢٠. وسمحت معاهدة سيفرز للجنرال شريف باشا الذي كان ضابطا كورديا في الجيش العثماني ثم اصبح سفيرا لتركيا لدى السويد أن يقدم مطالب الكورد. وفي الحقيقة توقعت المعاهدة قيام دولة كوردية على المناطق الكوردية التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية. المادة ٦٤ من المعاهدة دعت إلى إتحاد طوعي لسكان ولاية الموصل. إن هذا الشرط ألزم بريطانيا التي وضعت خططها لإنشاء دولة عراقية بإجراء استفتاء في ولاية الموصل. وفي مايس نظمت بريطانيا حملة اقتراع لمعرفة رأي السكان وكانت نسبة المشاركة واطئة جدا إذ ان الإستفتاء نظم على اسس تملك الارض. واستغلت بريطانيا غياب موقف جاد و موحد من قبل

الكورد والحقت ولاية الموصل بولايتي البصرة وبغداد. وجرت عملية اقتراع ثانية حدث فيها تلاعب في الاصوات وتم اختيار فيصل ملكا على عرش العراق. وما ان اعتلى فيصل عرش العراق حتى حاول بسط سيطرته على كل مملكته. كان فيصل سنّيا وغالبية شعبه شيعة غير موالين له. وبذل فيصل كل ما في وسعه للفوز بولاية الموصل التي كانت تحت سيطرة الانكليز ولم تكن هنالك حدود عراقية كوردية مرسومة. ومع مجيء الكماليين في ١٩٢٢ اعيد فتح ملف ولاية الموصل من قبل الأتراك الذين طالبوا بإعادة الولاية إليهم وبدأوا بإثارة القلاقل والفتن وتضاعف عدد حالات التمرد بإشراف ضابط تركي يدعى علي شفيق. واجبرت هذه القلاقل الانكليز على الرحيل من السليمانية في ايلول ولأجل إيقاف التقدم التركي لجأت بريطانيا إلى استخدام الشيخ محمود الحفيد لإعادة السيطرة إلى المنطقة الأمر الذي سيوفر عليها الجهد والمال. وحال عودته في تشرين الاول ١٩٢٢ إلى السليمانية اعلن الشيخ محمود تشكيل حكومته ونصب نفسه ملكا على كوردستان في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢.

وتم تشكيل إدارة مبسطة واصدر جريدة (كوردستان) وبدأت علاقاته مع الانكليز بالتدهور. وظهر محوران للخلاف وهما وضع كركوك التي أراد الشيخ محمود ضمها لمملكته خلاف رغبة الانكليز الذين أرادوا إلحاقها بحكومة بغداد. أما المحور الثاني للخلاف هو ان الشيخ محمود بدلاً من ضرب القوات التركية كما خطط له الانكليز بدأ بتأليب الدولتين الواحدة على الأخرى طمعا بتقوية مركزه غير ان هذا لم يرق للبريطانيين وقد سبق لبريطانيا وان اعلنت في بيان مشترك مع الحكومة العراقية في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٢ إعطاء الكورد حق إقامة حكم ذاتي لهم ضمن حدود العراق. غير إن فشل مؤتمر لوزان جعل بريطانيا تتنصل من إلتزاماتها السابقة فغيرت من موقفها واتهمت الشيخ محمود بإثارة القلاقل وإجراء

اتصـالات مـع المتـمـردين الشـيـعـة في جنوب العـراق والقت الطائرات البريطانيـة المنشورات على السليمانية تطلب من الشيخ محـمـود تسليم نفسه. ترك الشيخ محمود السليمانية في الرابع من آذار ١٩٢٣ ولجأ إلى الجبـال المجـاورة مـع عـدد من أنصـاره لمواصلة الكفـاح وشنت القـوات البريطانية هجومـها لمنع الشيخ محمود من الالتحاق بالقوات التركية التي انسحبت من رواندوز بدون قتـال واضطر الشيخ محـمود إلى الهرب إلى إيران. لقد كان من العسير استثمار هذا النصر العسكري سياسيا نظرا لمعـارضـة القـادة الكورد تولي الملك فـيصـل عرش العـراق وبسـبب النفـوذ الذي كان يتمـتـع به الشيخ محـمـود بين الكورد رغم فراره إلى إيران. وبما إن الانكليز كانوا متـأكدين من عودة الشيخ محـمود إلى السليمانيـة فانهم عمـدوا إلى إلحـاق عدة منـاطق كوردية بالدولة العـراقيـة لإفـراغ اي حكم ذاتي كوردي من معناه.

وعندمـا حـاول الشـيـخ مـحـمـود مـد نفـوذه إلى داخل المناطق الكوردية عـاود الانكليـز قصـفـهم الجـوي في كانون الاول من عـام ١٩٢٣. وحـدثت اضطرابات وقـلاقل في ولاية الموصل بعد الإنتخـابات التشـريعية في آذار عام ١٩٢٤ ثم اعقبتـها غارات جوية للانكليز على السليمانية وبعدها جاء الاحتلال الانكليزي لمدينة السليمانية في تموز ١٩٢٤.

بعـد مـعـاهدة لوزان في تموز ١٩٢٣ ارسل مـجلس عـصـبـة الأمم بعثـة دوليـة لتقـصـي الحقـائق عن وضـع ولايـة الموصل وبقـيت اللجنة فـيـهـا من كـانون الثـاني إلى شـهـر آذار وتأكـدت اللجـنة بالدليل القـاطـع والبـرهـان السـاطـع وجـود اللغـة الكوردية وهيـمنة الهـوية الكوردية عليـهـا. وفي ١٦ كـانون الاول عـام ١٩٢٥ قـرر مـجلس عـصـبـة الأمم نزولا لرغبـة بريطانـيـا إلحـاق ولاية الموصل بـدولة العـراق وتـم تثبيت الحـدود بين العـراق وتركـيـا بشكل نـهـائي ولكون بـريطانيـا راعيـة الانتـداب طلب منـهـا رفـع تقـرير عن

الوضع الإداري لولاية الموصل إلى عصبة الأمم وان تعلن عن حكم ذاتي والاعتراف بحقوق الكورد. لقد كان التطبيق الوحيد لهذا القرار إعلان حكومة بغداد قانون اللغات المحلية الذي سمح للاكراد في السليمانية واربيل التعليم الابتدائي بلغتهم وطبع الكتب باللغة الكوردية.

وعلى الرغم من وجود الشيخ محمود خارج السليمانية فانه لم يكن غائبا ابدا عن المسرح السياسي. ففي عام ١٩٢٥ طاردت الحكومة العراقية الهاربين الذين وجدوا ملاذا لهم بين عشائر إيرانية صديقة. وفي ١٩٢٦ قامت الحكومة بعملية مطاردة ثانية وفي هذه المرة بمساعدة إيرانية ولكنها تكبدت خسائر فادحة فاضطرت إلى التراجع مرة أخرى يتدخل الانكليز ويجبرون الشيخ محمود على التفاوض ولكن المفاوضات التي اجراها الشيخ محمود مع مبعوث بريطاني في خريف ١٩٢٦ لم تسفر عن أيةِ نتائج. في هذه الفترة رفضت كوردستان بكاملها الإدارة العربية لها رغم وعود الحكومة بجعل الكوردية لغة رسمية في العراق. تأسست جمعيات ثقافية كوردية عديدة بين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ وأصبحت ولاية الموصل لبعض الوقت محور نشاط الحركة القومية الكوردية واخيرا وبمساعدة إنكليزية قامت الشرطة العراقية بالقضاء على التنظيمات السرية.

رغم صدور قرار مجلس عصبة الأمم في عام ١٩٢٥ ووضعه حلا للمسألة فأن سيطرة بغداد على كوردستان لم تتحقق عند حصول العراق على استقلاله في عام ١٩٣٠. المعاهدة الانكلوعراقية التي انهت الوصاية البريطانية لم تتطرق للحقوق الكوردية. وكرد على هذا الإغفال لحقوقهم قام الوجهاء الكورد في السليمانية برفع عرائض إلى السلطة في بغداد والى الانكليز يذكرونهم فيها بقرار عصبة الأمم في كانون الاول ١٩٢٥. لم تجد هذه المطالب آذاناً صاغية وتوترت الأوضاع في السليمانية. وفي

السادس من ايلول ١٩٣٠ قامت الشرطة بفتح النار على حشود المحتجين ووقع جراء ذلك عشرات القتلى وشنت السلطات حملات اعتقال واسعة شملت عددا من القوميين الكورد.

نظم الشيخ محمود حملة تقديم العرائض إلى عصبة الأمم ولكنها لم تحرز اي قدر من النجاح. شن الشيخ محمود حملة على بينجوين للاستيلاء عليها ولكنها باءت بالفشل. رفضت عصبة الأمم الطلبات الكوردية بتأثير من بريطانيا. وفي نيسان عام ١٩٣١ تكبدت قوات الشيخ محمود خسائر كبيرة وعبر هو الحدود إلى إيران غير ان السلطات الإيرانية اجبرته على تسليم نفسه إلى حكومة بغداد التي وضعته رهن الاعتقال المنزلي إلى ان وافته المنية في منفاه عام ١٩٥٦ ونقل جثمانه إلى السليمانية ليدفن فيها.

ثورات بارزان ١٩٤٣- ١٩٤٥

إن عائلة شيوخ بارزان لعبت دورا مركزيا في الحركة القومية الكوردية وابتداء من الثلاثينيات والى يومنا هذا. واول ثورة اكسبتهم الشهرة هي تلك التي حدثت في العهد العثماني على يد الشيخ عبد السلام البارزاني والتي انتهت بالقبض عليه وإعدامه وبقي شقيقه الشيخ احمد يتزعم الحركة التي استمرت حتى عام ١٩٣٤ وانتهت بنفي افراد العائلة جميعا. في عام ١٩٢٧ أراد الشيخ احمد توسيع منطقة نفوذه واصطدم بالقوات البريطانية التي كانت تقوم بتشييد قلعة لها على مقربة من بارزان وكان شيخ احمد يومئذ يتمتع بنفوذ كبير. غير ان الثورة الحقيقية بدأت في ١٩٣١ عندما ارسل الشيخ احمد عدة مئات من المقاتلين لإسناد ثورة ارارات التي كانت تعاني من الإرباك والفوضى. اغاظ هذا العمل السلطات التركية التي طلبت من الحكومة العراقية التدخل لوقف هذا الدعم. أما العراق وبدلا من التدخل المباشر شجعت الشيخ رشيد الذي تجاور عشيرته عشيرة بارزان على التحرك ضد الشيخ احمد. ولكن عشيرة شيخ رشيد منيت بخسارة فادحة وعلى اثر ذلك تدخلت الحكومة عسكريً من ١٩٣١- ١٩٣٢م وساعدها في الهجوم الطيران الانكليزي وتمكنت من القضاء على التمرد ونفي الشيخ احمد إلى السليمانية. غير إن اثنين من اشقائه واصلا حرب العصابات التي ابقت على المنطقة في حالة عدم استقرار إلى عام ١٩٣٤. وتزامنا مع هذه الإحداث ظهر حزب في عام ١٩٤١ اطلق عليه اسم الامل (هيوا) وهو في الحقيقة نتاج دمج

لتنظيمين كانا يتمتعان بتأييد القوميين الكورد. فقد كان هنالك تنظيم الإخـوة (برايەتى) الذي تأسس على نهج نوادي اسطنبـول وضمّ في صفوفه الوجهاء والمثقفين وكان يتزعمها الشيخ لطيف احد ابناء الشيخ محمود (المؤلف يذكر شيخ احمد) وكان هنالك تنظيم آخر هو تنظيم العامل (كاركر) وضم عناصر شابة تقدميين كانوا مرتبطين بالحزب الشيوعي العراقي. ولم يمنع هذا الدمج اتكاء طرف على طرف معين او على آخر وخاصة اولئك الذين كانت لهم ميول ماركسية. تاسس الحزب في بغداد وأوجد له فروعا في مدن كوردستان. واصبح هيوا القاعدة التنظيمية لزعيمه القادم من بارزان الملا مصطفى البارزاني. كان الملا مصطفى رهن الاعتقال المنزلي مع شقيقه الاكبر الشيخ احمد في السليمانية. وعندما وجد نفسه في ضائقة مالية لعدم اهتمام الحكومة بهم فكر في الهرب في عام ١٩٤١ وعاد إلى مسقط رأسه في قرية بارزان. وفتح الشيخ الثائر قنوات التفاوض مع الحكومة دون جدوى وبمرور الزمن ازداد عدد الحوادث وبدأ الوضع بالاضطراب. استطاع البارزاني طيلة عام ١٩٤٣ من صد كل هجمات الجيش العراقي. كما انه كان يأمل في تدخل بريطاني لصالحه. وفي الحقيقة مارست بريطانيا ضغوطا على رجل بغداد القوي نوري السعيد. وبما ان نوري سعيد كان على علم بضعف الحكومة آنذاك فقد وافق على التفاوض وحققت المفاوضات نتائج ملموسة حيث صدر عفو عام عن المتمردين وإنسحب الجيش العراقي من المنطقة. وفي شباط من عام ١٩٤٤ توجه البارزاني إلى بغداد على رأس وفد من وجهاء الكورد ولكن المفاوضات لم تحقق أيةِ نتيجة ولم يتم التوصل إلى تسوية للمسألة. في هذا الوقت قاربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها فتوقف البريطانيون من لعب دور الوسيط الأمر الذي قلل من

فرص التوصل إلى حل وبدأ القتال من جديد في صيف ١٩٤٥ وازداد الوضع تازماً بعد رفض بريطانيا التدخل. وبسبب خيانة بعض العشائر الكوردية للبارزاني وخاصة الزيباريين منهم إضطر البارزاني ومعه مئات من اعوانه إلى الالتجاء إلى إيران وهناك التحق بجمهورية مهاباد وتولى قيادة قواتها برتبة جنرال. وبعد سقوط الجمهورية التي لم تدم طويلا شق البارزاني طريقه إلى الإتحاد السوفيتي وبقي هناك لأكثر من ١١ سنة.

يعزى فشل حركة البارزاني إلى التركيبة العشائرية للمجتمع الكوردي وعلاقاته مع حزب هيوا الذي كان واقعاً تحت تأثير جناحه اليساري الذي كان ينتهج خطاً موالياً لموسكو ومعادياً للامبريالية (بريطانيا) في الوقت الذي كان البارزاني يراهن على علاقات جيدة مع بريطانيا على امل الحصول على مساندة دولية كان الكورد في امس الحاجة إليها. ادى انهيار حركة البارزاني إلى حدوث انشقاق في حزب هيوا حيث كان احد الفصائل فيه يريد التقرب إلى الحزب الشيوعي بينما كان فصيل آخر يتحفظ على ذلك.

عندما كان البارزاني في مهاباد بادر إلى تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي على نمط ونهج الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني.. وفي ١٦ آب من عام ١٩٤٦ عقد الحزب مؤتمره الأول بشكل سري في بغداد وتم تشكيل لجنة مركزية ومكتب سياسي وصا غ برامجه بوحي من شبان تقدميين فيه. ولبقاء الحزب بدون قائد لوجود البارزاني في الخارج فقد كان للقمع البوليسي اثر بالغ عليه. وما تبقى منه بعد القمع وقع تحت تاثير وسيطرة الحزب الشيوعي العراقي واصبح KDPI ماركسيا يوالي موسكو ويناضل ضد الامبريالية. وحلت اولوية الكفاح ضد الامبريالية محل النضال القومي وتبنى الحزب طروحات الحزب

الشيوعي التي تدعو إلى إقامة حكم ذاتي مع نبذ كل فكر انفصالي.

في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ استولى الجنرال عبدالكريم قاسم على السلطة في بغداد وبعث هذا الحدث الأمل في نفوس الكورد من جديد وخاصة ان الدستور المؤقت الصادر في ١٧ تموز (الكاتب ذكر ٧ تموز) إعترف بأن العرب والكورد شركاء في العراق واعترف بحقوق الكورد ضمن وحدة العراق وذراعا الجمهورية الجديدة كانتا مكونتين من سيف عربي يقاطعه خنجر كوردي. غير إن المادة (٢) من الدستور نص على ان العراق جزء من الامة العربية. ولم تنظر الأقلية الكوردية بعين الرضى إلى هذا النص كما إنها لم تشعر بالإرتياح تجاه عبد السلام عارف الرجل القوي الثاني بعد قاسم والذي كان ينادي للوحدة مع سوريا ومصر. وبإسناد من الكورد ومن الحزب الشيوعي تمكن قاسم من فرض نفسه كزعيم أوحد للثورة، بسقوط الملكية وقيام النظام الجمهوري عاد البارزاني إلى العراق وعند مروره بالقاهرة في طريق العودة إلى العراق استقبل استقبال الإبطال والتقى بجمال عبد الناصر. عاد إلى مسقط رأسه في بارزان والتقى بشقيقه الاكبر الشيخ احمد وكان البارزاني في هذا الوقت ينتهج خطا مواليا للسوفيت وبذلك فهو يجاري الحزب الشيوعي العراقي. في آذار عام ١٩٥٩ وبمساعدة من الميليشيات الكوردية استطاع قاسم من القضاء على تمرد حصل في مدينة الموصل ومؤيد لعبد السلام عارف. وبعد فترة ليست بطويلة اسدل الستار على التحالف بين قاسم من جهة وبين KDPI والحزب الشيوعي من جهة أخرى. في هذا الوقت حدث تغيير مفاجئ اثر على نمط وطبيعة علاقة البارزاني بالحزب الشيوعي العراقي. في مايس ١٩٥٩ حدث تمرد من عشائر تقطن في منطقة رواندوز افزعها قانون الإصلاح الزراعي

وممارسات ميليشيات الحزب الشيوعي. تدفقت ميليشيات الحزب الشيوعي ومعها انصار الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى المنطقة وتم القضاء على التمرد ولكن قرابة ٢٠,٠٠٠ كوردي اضطر إلى النزوح إلى إيران هربا من معاملة الميليشيات الشيوعية. احس البارزاني بالقبضة الحديدية الخانقة للحزب الشيوعي على مقدرات الحزب الديمقراطي الكوردستاني فقرر ان يأخذ الأمور بيده وان يتولى قيادة الحزب بنفسه. اتهم الحزب الشيوعي بمحاولة اغتياله واتخذ من ذلك سبباً لطرد الموالين للحزب الشيوعي من صفوف الحزب وفتح المجال أمام مجموعة جديدة من المثقفين الشباب من امثال إبراهيم احمد وجلال طالباني. كان هذا الإجراء واحداً من جملة الإجراءات التي ستطال الحزب الشيوعي. بعد اشهر قليلة فرض قاسم الحظر على الحزب الشيوعي وسمح لجماعة منشقة عنه بالعمل مكانه (جماعة داوود الصائغ. المترجم) ولكنKDPI استمر كحزب رسمي رغم توتر العلاقة بين قاسم والبارزاني. اراد قاسم محو كل إشارة او تلميح إلى حكم ذاتي في كوردستان من برامج KDPI ولكن الحزب رفض ذلك. حاول البارزاني الحصول على تأييد موسكو التي زارها في ١٩٦١ وقضى فيها شهرين التقى خلالهما بخروشوف زعيم الحزب الشيوعي وبحث معه قضايا عدة. واخيرا حصلت القطيعة مع قاسم الذي منع الجرائد الكوردية من الصدور واعتقل قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ولجأ البارزاني إلى مسقط رأسه في بارزان. بدأ قاسم بانتهاج سياسة قومية وخاصة نحو الكويت وتأزمت الأوضاع بشكل كبير وخرج مارد الحرب من قمقمه وانطلقت شرارة الحرب وهي لاتزال مستمرة إلى يومنا هذا رغم وجود فترات هدنة قصيرة. لقد أعاد تاريخ كوردستان نفسه خلال هذه السنوات حيث إن الحكومات المتعاقبة

تقدم التنازلات للكورد إن هي احست في نفسها ضعفا وعندما تجد الفرصة ملائمة فإنها تدير ظهرها للاتفاقات المبرمة مع الكورد وتبدأ بالهجوم متهمة الكورد بنزعة الانفصال. هذه هي طبيعة جملة من الاتفاقات التي لم تحترم ولم تعد كونها مجرد فترات هدنة ولكنها في ذات الوقت مؤشرات على عدم استطاعة الحكومات حل المسألة الكوردية حلاً عسكرياً.

في كوردستان وقعت مصادمات مسلحة بين البارزانيين والزيباريين المنافسين لهم وكانت الغلبة للبارزانيين واعقب ذلك حدوث قلاقل واتخذت منها الحكومة ذريعة وارسلت قواتها في ايلول ١٩٦١ إلى كوردستان. اراد KDP تهميش دور البارزاني ورفض القتال إلى جانبه ضد قاسم إلى عام ١٩٦٢ عندما غير من موقفه وانضم إلى البارزاني. إن غياب الحزب في ١٩٦١ ربما يفسر جملة الانتكاسات التي تكبدها الكورد والبارزاني. ترك البارزاني ومعه عدة مئات من اتباعه بارزان واتجه إلى جبال منطقة زاخو ريثما يجد فيها ملاذا ونقطة انطلاق جديدة. لقد قوي جانب الحركة بدخول KDPI ساحة المعركة مع البارزاني. غير إن الحركة بقيت منقسمة على نفسها فالبارزاني يسيطر على الجزء الشمالي من كوردستان و KDPI على جنوبها. إضافة إلى ذلك رفض البارزاني الذي كان يشغل رسميا زعامة الحزب أية علاقة بالحزب. فما كان من إبراهيم احمد وجلال الطالباني إلا ان توليا قيادة الحزب وعارضا سلطة البارزاني. غير إن مكانة وشخصية البارزاني فرضتا نفسيهما على الموقف واصبح البارزاني رمز المقاومة الكوردية واضطر KDPI إلى التنازل له واعترف به زعيما كرهاً او طوعاً. أما علاقات البارزاني مع الإتحاد السوفيتي فقد انتابها الفتور وتدهورت اكثر عندما طلبت منه موسكو توجيه الحزب الديمقراطي الكوردستاني لضرب تركيا وإيران

لزعزعة الأوضاع فيهما ورفض البارزاني القيام بذلك. رفض البارزاني ذلك لأنه كان يدرك بان تعميم النضال وتوسيعه على هذا النحو سيؤدي إلى نهاية محزنة وكان يعلم أيضاً إن الإتحاد السوفيتي هو المورد الرئيس للسلاح إلى العراق. إن عام ١٩٦٢ كان عام نجاحات للكورد الذين تمكنوا من السيطرة على كل شمال كوردستان من زاخو إلى الحدود الإيرانية من كوردستان العراق. إذا وضعنا الكفاءة القتالية للبيشمركة جانبا فانه يمكن تفسير هذه النجاحات العسكرية للقوات الكوردية بوجود عسكري عراقي كبير وغير مؤثر على الإطلاق في جنوب البلاد على مقربة من الكويت. كما ان تأثير الميليشيات الكوردية المعروفة باسم (الجحوش) والتي تمت تعبئتها من العشائر الكوردية المناوئة للبارزانيين كان بسيطا جدا ويمكن القول بان هذا التأثير لم يتعد نطاق حدود العشيرة تقريبا. وحتى نهاية ١٩٦٢م كان الجيش العراقي ينفذ عملياته في المناطق السهلية من كوردستان معتمدا على الضربات الجوية لحماية الأماكن الإستراتيجية مثل حقول النفط في كركوك. إن هذه الإخفاقات العسكرية سببت تذمرا في اوساط الجيش وكانت قاتلة بالنسبة إلى قاسم. أما المعارضون لحكم قاسم فقد اتصلوا بقادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعرضوا عليهم حكما ذاتيا في كوردستان. لقد قربت نهاية قاسم إذ حدث انقلاب عسكري في ٨ شباط وبعد محاكمة صورية قصيرة اعدم قاسم أمام عدسات التلفزة.

١٩٦٣-١٩٦٨ الحرب البعثية الأولى والفترة القومية لعائلة عارف

إن مجيء حزب البعث إلى الحكم تميّز بملاحقة الشيوعيين وقتلهم اينما ثقفوا ودخل القادمون الجدد بسرعة في مفاوضات مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني من خلال وساطة جلال الطالباني. وعلى عكس ما توقعه البعثيون فقد اعرب جمال عبد الناصر عن تأييده للحركة الكوردية. هذا التأييد من عبد الناصر للاكراد جعل بغداد التي ظلت تحوم وتراوغ حول الموضوع لكسب الوقت تعترف بحقوق الكورد على أساس اللامركزية في الحكم. ولم يكن الاتفاق إلا مقدمة لتفجر الوضع بعد شهر من إبرامه في نيسان ١٩٦٣ حيث ادت الأحداث المتلاحقة إلى الحرب التي استمرت من حزيران إلى تشرين الثاني ١٩٦٣. وتزامن مع الحرب الإعلان عن جملة من الإصلاحات الإدارية قسمت كوردستان إلى منطقتين إداريتين هما السليمانية وكركوك. و بدأست الحرب بنهب المدن والبلدات الكوردية من قبل الجيش وقتل المئات من المدنيين في السليمانية حيث اكتشفت جثثهم في قبر جماعي بعد فترة. تميّز تولي البعث السلطة بميزتين : اولاً هما ضرب مكثف وشديد لدحر البيشمركة وثانيهما سياسة تعريب المناطق الكوردية حول كركوك لوجود النفط فيها وتم طرد ٤٠,٠٠٠ شخص من المنطقة. أما القوات الكوردية التي وجدت نفسها عاجزة أمام جيش عصري جرار فقد إلتجأت إلى الجبال للتقليل من خسائرها. أما على النطاق الخارجي فان إشتراك لواء من الجيش

السوري إلى جانب الجيش العراقي ضد الكورد عزّز من موقف بغداد ورفع من معنوياتها. أما الدول المجاورة للعراق والواقعة إلى الغرب منه فإنها أبدت ارتياحها لذهاب قاسم الذي اعتبرته تلك الدول مواليا للشيوعية وهي بذلك إتبعت سياسة معتدلة نحو بغداد ولم تعترض على عملياتها ضد الكورد في العراق.أما الإتحاد السوفيتي الذي كان مهتماً بهذه الحملة الدموية ضد الشيوعيين ولخسارته لنفوذه بعد رحيل قاسم فقد بدأ بتأييد الكورد دبلوماسياً. وعندما واجه معارضة عربية شديدة تخلى عن خططه لعرض المسألة الكوردية على مجلس الأمن. إن محاولات الحكومة العراقية لسحق الحركة الكوردية عسكرياً برهن على انه ضرب من المستحيل ووصلت الحرب إلى نقطة الجمود مرة أخرى ولم تحل العقدة إلا بسقوط حزب البعث في تشرين الثاني عقب إنقسامات داخلية عصفت به. إن الرجل القوي الجديد عبد السلام عارف فاوض البارزاني على وقف لإطلاق النار لقاء وعد غامض بحكم ذاتي لكوردستان. وجه انتقاد شديد إلى البارزاني لهذا الاتفاق من قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذين استبعدوا من المفاوضات وتحول الخلاف بين إبراهيم احمد وجلال الطالباني من جهة وبين البارزاني من جهة أخرى إلى ازمة حقيقية. بعد اعتقال عدد من اعضاء الوفود إلى المؤتمر في ١٩٦٤ فان إبراهيم احمد وجلال الطالباني اللذان لم يكونا يملكان قوات كافية لمواجهة ١٥,٠٠٠ من رجال البيشمركة آثرا اللجوء إلى إيران وبقيا فيها إلى عام ١٩٦٥. أما البارزاني فقد تمت له السيطرة على KDPI وافلح في إزالة كل إشارة إلى الماركسية في منهج الحزب.

إن اتفاقية وقف إطلاق النار التي كانت السبب في استفحال الخلافات الداخلية في الحزب الديمقراطي الكوردستاني لم تدم طويلا. تمكن خلالها الطرفان الكوردي والحكومي من بناء قواتهما. بدأت الحرب من

جديد في نيسان ١٩٦٥. وفي الفترة ما بين الهدنة واستئناف المعارك استطاع البارزاني من إقامة حصن حصين له وبقي هذا الحصن صامدا حتى عام ١٩٧٥. إن وعورة المنطقة الجبلية التي تجاور الحدود التركية وفي قسم منها مع الحدود الإيرانية كانت تحت سيطرة البارزاني المطلقة. ومنذ السبعينيات اصبح نجلاه مسعود وإدريس من بين العدد المحدود لقادة الحزب.

في نهاية ١٩٦٤ حدثت اشتباكات محدودة بين البيشمركة والجيش الذي حاول اعادة تمركزه في كوردستان. إن حلول فصل الشتاء حال دون إندلاع المعارك على نطاق واسع وبعد انقضاء فصل الشتاء وتحديداً في نيسان شن الجيش هجوماً كبيراً اشترك فيه ٥٠,٠٠٠ جندي. وإذا كان في مقدور الكورد صده فالفضل في ذلك يعود إلى الإيرانيين الذين زودوا الكورد ببعض الاسلحة الثقيلة. واستطاعت قوات البيشمركة من الاحتفاظ بمواقعها واستمرت الحرب في الشتاء وحتى سنة ١٩٦٦. جاء العون الإيراني اولا من كورد إيران المتعاطفين مع الكورد في العراق ثم اخذ هذا التعاون ابعادا جديدة عندما قرر شاه إيران في صيف ١٩٦٥ مساندة البارزاني رغم اعتراضات الدول العربية.

في بداية ١٩٦٦ قام جلال الطالباني و معه عدد من قادة KDPالسابقين بالإنضمام إلى حكومة بغداد واستعانت بهم الحكومة في تأسيس ميليشيات يربو عددها على ٢٠,٠٠٠ رجل إلى جانب الجحوش من العشائر المناوئة للبارزاني. وتحت قيادة إبراهيم احمد وجلال طالباني وعلي عسكري وحلمي شريف وعمر دبابة واجهت هذه الميليشيات قوات البارزاني. وكان يكمن وراء هذا الخلاف تنافس مرير على مراكز القوى ولعبت الدوافع الشخصية دورا اكبر من الايديولوجية الفكرية. أما على ارض المعارك فانه ورغم الهجمات القوية فان القوات

الكوردية وطيلة ايام الصيف في ١٩٦٦ استطاعت الاحتفاظ بجبل هندرين الإستراتيجي إذ ان السيطرة عليه تعني الوصول والسيطرة على طريق هاملتون الحيوي الذي يربط كوردستان العراق بإيران. إن إرادة الصمود وتصميم المقاتلين مكّنا الكورد من ردع الهجمات المتكررة وإجبار قطعات الجيش على التقهقر. هذا الفشل وموت عارف قبل بدء الهجوم بايام هيئا مناخا ملائما لبدء مفاوضات انتهت في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ بوقف لإطلاق النار واعتراف بالحقوق القومية للكورد وصدر مرسوم جمهوري يعطي عفوا عاما ويعترف باللغة الكوردية لغة رسمية في العراق وباعتراف بوجود البيشمركة ولو لوقت محدد. هذه الاتفاقات كانت اقرب إلى سلم مسلح منه إلى حل جذري للمسألة الكوردية. منذ عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٦٩ ساعد الحكم الذاتي في كوردستان البارزاني على انتهاج سياسة مستقلة. فعلى سبيل المثال واثناء الحرب العربية الإسرائيلية رفض البارزاني إرسال عدد من البيشمركة ولو بشكل رمزي للقتال إلى جانب الجيش العراقي في فلسطين. كما جرت اتصالات بين البارزاني وجهات إسرائيلية ومن المحتمل ان تلكم الجهات قامت بتزويد بعض الاسلحة إلى المقاتلين الكورد وعزز البارزاني علاقاته مع شاه إيران الذي طلب من البارزاني بالمقابل قطع كل انواع الدعم عن الحركات الكوردية الإيرانية. وفي نيسان من ١٩٦٨ اغتيل عضوان من المجلس الثوري وهما موعيني وجوباج اللذان حاولا شن حرب عصابات منطلقين من قواعد داخل كوردستان العراق.

الحرب البعثية الثانية وإتفاقات ١١ آذار ١٩٧٠

لقد ترك حزب البعث ذكريات مُرّة عن تجربتهِ الأولى. في هذه المرة حاول الظهور بمظهر من يريد الحوار وينبذ المواجهة فعين كرديين مواليين للبارزاني في الحكومة ولكن في نفس الوقت كان جلال طالباني وإبراهيم احمد يشنان حملات صحفية في جريدة الثورة على البارزاني (الكاتب يذكر جريدة النور) واستمرا في تلقي المساعدات من الحكومة. أما فيما بعد وعلى امل إضعاف خصمها البارزاني فقد بدأت الحكومة بممارسة الضغط على مجموعة جلال الطالباني وإبراهيم احمد لشن هجمات على قوات البارزاني في كوردستان.

أما قوات البيشمركة فقد أخذت زمام المبادرة بيدها وشنّت هجوما وخرجت الحرب من عِقالها. في ١٩٦٩ قامت القوات الكوردية بضرب المنشات النفطية في كركوك. هذه العملية الاستباقية لم تعط الثمار المرجوة منها إذ ارسلت بغداد اربع فرق عسكرية لمهاجمة كوردستان. وعلى الرغم من ضخامة حجم الهجوم فانه لم يحقق نتائج حاسمة. أما بغداد وبعد تحليل نتائج الهجوم واستيقانها من قوة المقاتلين وخشية الوقوع في مستنقع عميق فإنها آثرت أسلوب التفاوض رغم بعض المعارضة من قبل بعض القادة العسكريين والح صدام على وجوب التوصل إلى اتفاق مع البارزاني وبالفعل تم الاتفاق على اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠. اثناء الاشهر القليلة من القتال شن الجيش هجمات ضد المدنيين. في التاسع عشر من آب ١٩٦٩ اختنق ٦٧ إمرأة وطفل ومسن في دوكان

في قضاء الشيخان (كما قال المؤلف) عندما أشعل الجنود النار بشكل متعمد عند مدخل احد الكهوف الذي كان يأوي هؤلاء الضحايا. وفي ايلول ١٩٦٩ احاطت دبابات الجيش بقرية سيرجه في قضاء زاخو ودمرتها ولم ينج احد من سكانها المسيحيين الكلدان.

طبقاً لما ورد في التقرير الصادر من المجلس الأقتصادي والإجتماعي التابع للأمم المتحدة الذي اجرى تحقيقا في كوردستان في تشرين الاول ١٩٧٠ فان ٣٠٠ قرية تأثرت بالحرب وان ٤٠,٠٠٠ منزل هدم وان ٣٠٠,٠٠٠ شخص باتوا بدون مأوى. وبعد فترة وجيزة من التوقيع على الإتفاقية تم إجازة حزب KDPI وحلت ميليشيات إبراهيم احمد وجلال الطالباني وصدر عفو عام. واشترطت الإتفاقية إجراء إحصاء سكاني ولم يتحقق ذلك أبداً. إن منطقة كركوك التي رفضت بغداد شمولها في كوردستان أصبحت سبباً بتجدد النزاع بين البعث والكورد. وفي ١٩٧٢ كانت الحرب على وشك الإندلاع وأدت محاولة إغتيال البارزاني الفاشلة إلى القطيعة بين الطرفين. إن عقد معاهدة الصداقة والتعاون العراقية السوفيتية في نيسان ١٩٧٢ لم يترك فرصة للبارزاني للتقرب إلى السوفييت. فما كان منه إلا أن يجدد بل وان يعزز علاقاته السابقة مع شاه إيران. أما الحكومة الأمريكية وبعد ان ساورها القلق من سياسة صدام الموالية للسوفيت فإنها ارسلت ١٦ مليون دولار إلى البارزاني عن طريق الـ CIA بين آب وآذار من عام ١٩٧٥ وكانت هذه المعونة إلى البارزاني بمثابة ضمانة وإشارة للمساندة الاميركية. لقد برهنت الإحداث اللاحقة ان البارزاني في استخدامه للورقة الاميركية مثل استخدامه للورقة البريطانية دون فهم لطبيعة هذه المساعدة الخارجية اصبح بشكل كبير معتمداً على حلفائه. إن هذا الإتكال على الحلفاء وعلى سياسة

إيران ذات الوجهين غير الثابتة هما السببان اللذان اديا إلى إنهيار الحركة الكوردية في عام ١٩٧٥.

بعد المحاولة الثانية لإغتيال البارزاني في تموز ١٩٧٢ ترك الوزراء الكورد الخمسة في حكومة بغداد مناصبهم واتجهوا إلى كوردستان. ومنذ ذلك الوقت لم تكن هنالك مواصلات حرة وآمنة بين كوردستان وباقي اجزاء العراق. وازدادت نقاط التفتيش للامن العراقي بين بغداد وكركوك. وفي حزيران ١٩٧٣ قدم البارزاني نداء استغاثة إلى الولايات المتحدة عن طريق مجلة واشنطن بوست طالبا منها تقديم المساعدة إلى المقاتلين الكورد. وكان الأثر الوحيد للنداء هو قيام الولايات المتحدة بوقف مفاوضاتها مع بغداد ولم تفعل أي شيء آخر لكسر الطوق الذي فرضه صدام على الكورد ومما زاد في شدة العزلة هذه، ظهور بوادر تحالف جديد بين البعث والحزب الشيوعي. إن موقف (CP) هذا ادى إلى حدوث مصادمات بينه وبين الحزب الديمقراطي الكوردستاني وعندما كانت الحرب على وشك الاندلاع جاءت الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٧٣ لتعطي الكورد فترة وجيزة لترميم البيت الكوردي وإلتقاط بعض الأنفاس وعلى الرغم من إرسال البارزاني برقية تضامن إلى بغداد فإنه كان يرى في الأفق القريب بوادر حرب. ومع ذلك وعملا بنصيحة كيسنجر لم يبادر البارزاني إلى شن الحرب. كان كيسنجر يخشى من ان اي نصر للكورد على صدام سيكون سببا أيضاً لخلق مشاكل لحليفه الإيراني وتقويض مركزه. قبل القيام بمحاولة جس النبض لمعرفة قوة الخصم قام صدام بمناورة سياسية وذلك بفرض نوع من الحكم الذاتي في كوردستان بمباركة من الحزب الديمقراطي الكوردستاني او بدونها وذلك لاستمالة عدد من الوجهاء والسياسيين الكورد إلى النظام. إن المفاوضات الطويلة التي امتدت من حزيران ١٩٧٣ وحتى ربيع ١٩٧٤ لم

تسفر عن أيةِ نتائج واخيرا وصلت إلى طريقها المسدود رغم كل الزيارات التي قام بها نجل البارزاني إدريس إلى بغداد. إن هذا الفشل هو الذي كان يبتغيه صدام بل وخطط له. في آذار اعلن صدام صيغة الحكم الذاتي من جانب واحد ونجحت مناورته التكتيكية في كسب عدد من الشخصيات الكوردية إلى جانبه من امثال نجل البارزاني الاكبر عبيد الله وهاشم عقراوي الذي كان عضواً سابقاً في اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني وعزيز عقراوي الذي كان هو الآخر عضوا في المكتب السياسي للحزب واصبح الاخير رئيسا للحزب الموالي لبغداد وبقي في هذا المركز إلى عام ١٩٨٠ عندما انضم إلى المعارضة. إن الحزب الجديد لم يكن سوى نسخة من حزب البعث باسم كوردي وكان يأتمر بأوامر صدام وتوجيهاته.

حرب ١٩٧٤- ١٩٧٥

بدأت الحرب في شباط ١٩٧٤ بقصف مدفعي مكثف للمناطق الحدودية مع إيران وشن الجيش هجومه الكبير في نيسان ١٩٧٤. كانت الغاية منه فك الحصار عن حامية الجيش المحاصرة في زاخو وتم لهم ذلك بعد قتال مرير لعب فيه الطيران الحربي دورا كبيرا وخاصة طائرات توبوليف التي قادها طيارون سوفيت. وأخيراً حان موعد الهجوم الكبير المرتقب ضد معاقل البارزاني في صيف ١٩٧٤.

هاجمت عدة مئات من الدبابات كلا من رواندوز وقلعة دزة. وبما ان المقاتلين الكورد كانوا يفتقرون إلى مضادات جوية وأخرى ضد الدروع والدبابات فقد منيت قواتهم بخسائر فادحة في ١٩ آب في قلعة دزة وفي رواندوز في ٢٢ منه. إن ضراوة المعارك دفعت بعشرات الالوف من الكورد إلى ترك قراهم واللجوء إلى إيران ووافقت الأخيرة على إيواء ١١٠,٠٠٠ منهم على الحدود. غير إن العائقين الاستراتيجيين جبل هندرين وزوزك المهيمنان على طريق هاملتون الإستراتيجية والتي تربط كوردستان بإيران بقيا بأيدي البيشمركة. في ايلول احتشدت قرابة ٣٠٠ دبابة و٣٠,٠٠٠ جندي مع معظم المدفعية العراقية عند سفح زوزك استعدادا للهجوم الكاسح.

بعد قتال ضار وكر وفر للقوات تم الاستيلاء عليه وعلى وادي جومان في الثالث من تشرين الاول ١٩٧٤. في هذا الوقت كانت بغداد منهمكة في إقامة مؤسسات الحكم الذاتي بقيادة هاشم عقراوي. أما الوضع في الشمال الغربي من كوردستان العراق فقد كان سيئا للغاية بسبب

الحصار المفروض على السكان من قبل الحكومة التي منعت وصول المواد الغذائية والادوية إلى السكان ولقيام الحكومة التركية بالسيطرة على طرق الإمدادات على الجانب التركي من الحدود. وعلى الرغم من قيام المقاتلين بفتح طريق إلى بهدينان فان الحالة المعاشية والصحية للسكان كانت متدهورة في الخريف.

عند انهيار المقاومة الكوردية كان الدكتور الكسندر وهو هولندي الجنسية يعمل بين القرويين ويقدم لهم الإسعافات. القي القبض عليه وتم إعدامه بدعوى اصوله اليهودية. إن نقض التحالفات كان من اهم اسباب انهيار الحركة الكوردية. فإيران بمساعدتها البارزاني كانت تحاول ممارسة ضغوطات على الحكومة العراقية لمراجعة معاهدة ١٩٣٧ المتعلقة بشط العرب وجعلها تقدم تنازلات لها في المياه والارض. كما انها ارادت إضعاف قوة العراق العسكرية والإقتصادية باعتبار العراق القوة الإقليمية الوحيدة القادرة على الوقوف أمام إيران وطموحاتها.

في ١٩٧٥ ادرك شاه إيران ان الوقت قد حان لاقتطاف ثمار دبلوماسيته وسياسة تقديم المعونات إلى كورد العراق. لقد كان النظام العراقي متلهفا جدا للتوصل إلى اتفاق مع إيران يمكن بواسطته القضاء على الحركة الكوردية. بدأت الاتصالات بشكل مبكر ومنذ خريف ١٩٧٤ كانت هذه الاتصالات تجري برعايةس الرئيس الجزائري هواري بومدين وبمساندة من ملك الاردن وانور السادات رئيس مصر. واتخذت هذه الاتصالات طابعا جديا ومهما في قمة اوبك في الجزائر عندما التقى صدام بشاه إيران واتفقا على ضرورة السيطرة على الحدود المشتركة وتم تعديل الحدود النهرية والبرية لصالح إيران وفي اليوم نفسه سحبت إيران مدفعيتها ومضاداتها الجوية من كوردستان وظهرت بوادر انهيار المقاومة الكوردية جلية للعيان.

استمر القصف المدفعي العراقي بشدة وقاومت قوات البيشمركة ببسالة منقطعة النظير وحتى انها في قاطع راوندوز استطاعت من صد هجوم القوات العراقية. طلب شاه إيران من صدام ان يعلن وقف إطلاق النار وإصدار عفو عام ليتسنى للمقاتلين المجال لوضع اسلحتهم واللجوء إلى إيران.

تطورات الاحزاب الكوردية في الثمانينات

حتى عام ١٩٧٥ كان المسرح السياسي الكوردي يكاد يكون حكرا على KDPIوتهيمن عليه شخصية البارزاني. بعد هذا التاريخ طرأ تغيير كبير على الموقف السياسي. حدثت خلافات وصراعات بين العديد من الاحزاب التي خاصم الواحد منها الآخر حتى نشوب الحرب العراقية الإيرانية. إن الإتحاد الوطني الكوردستاني PUK الذي ظهر كتنظيم سياسي في صيف عام ١٩٧٧ واصبح فيما بعد احد منافسي الحزب الديمقراطي الكوردستاني KDP والبارزاني كان قد تشكل من اندماج عدد من التنظيمات السياسية وكان يجمعهم شيء واحد هو معارضة شخص البارزاني. كان الطالباني احد ابرز ابطال ازمة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في ١٩٦٤ قبل ذهابه إلى بغداد والتعاون معها من ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٠ وبعدها عاد إلى صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني ليصبح ممثل الحزب في دمشق ومن بعده ليكون زعيم الإتحاد الوطني الكوردستاني. في دمشق بدأ الطالباني تحضيراته لتنظيم لجنة تحضيرية للاتحاد الوطني ليضم بالإضافة إلى مجموعته مجموعتين اخريين هما(كومه‌له) وهي منظمة يسارية ماركسية كانت قد تشكلت في ١٩٧٠ من الحزب الشيوعي وبقيت سرية إلى العام ١٩٧٥. بدأ (كومه‌له) تشكيل مجموعات للمقاومة منذ حزيران ١٩٧٦. أما المجموعة الثانية فكانت الحزب الاشتراكي الكوردستاني بقيادة علي عسكري الذي كان سابقا ضمن مجموعة جلال الطالباني وإبراهيم احمد في KDPI وبقي على

علاقات جيدة مع جلال الطالباني.

في آب عام ١٩٧٧ توجه جلال إلى كوردستان ومع كومه له والحزب الاشتراكي شكل حزبا جديداً سمي الإتحاد الوطني الكوردستاني PUK . ويبدو للمتتبع للأحداث لأول وهلة ان الإتحاد الوطني سيتبع نهجا مناهضا للحزب الديمقراطي الكوردستاني وأنه سيتفاوض مع بغداد ليكون له قصب السبق في تسجيل النقاط على الغريم القديم البارزاني. في ١٩٧٨ وفي منطقة بهدينان جرت مصادمات بين الطرفين وقتل عدد من النشطاء من بينهم على عسكري. إتهم الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإتحاد الوطني الكوردستاني بإشعال نار الفتنة بمحاولته إخراج KDPI من مواقعه هناك. وفي تشرين الاول تم وقف إطلاق النار بين بغداد و الإتحاد الوطني الكوردستاني بوساطة من قاسملو.

منذ كانون الاول ١٩٨٣ وحتى تشرين الاول ١٩٨٤ تفاوض PUK مع بغداد حول عضويته في الجبهة الوطنية التقدمية (جبهة حزب البعث) وتعاون مع بغداد في مواجهة الهجمات الإيرانية. في هذا الوقت كانت الحكومة تسيطر على المدن المهمة والطرق الرئيسة في كوردستان. أما الأجزاء الأخرى فقد كانت بيد البيشمركة. وفي الأخير فشل PUK في عقد اتفاق مع بغداد.

في ١٩٧٦ ولد KDPI ولادة جديدة بقيادة نجلي البارزاني مسعود وإدريس. تبنى الحزب خطا ماركسيا لينينيا وايد أية الله خميني لسياسته المعادية للامبريالية وتم عقد تحالف جديد مع طهران في الوقت الذي كان KDP الإيراني ينسق مع PUKالمعارض القوي لـKDPI بزعامة البارزانيين. وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٠ تم تشكيل جبهة وطنية مع الحزب الشيوعي الذي تمرد على النظام مرة أخرى والتجا اعضاء

قـيـاديون فـيـه إلى كـوردسـتـان في الثـمـانينات ظهـر عـدد من الاحـزاب الإسـلامـيـة الصـغـيرة التي انبثقت من الثورة الإسـلامـيـة بقيـادات سنيـة. رئيس حزب الله كان الشيخ محمد خالد نجل الشيخ احمد وحزب جيش كوردستان الإسلامي والحركة الإسلامية لكوردستان العراق.

في تشـرين الثـاني ١٩٨٦ وقع كل من الإتحـاد الوطني الكوردسـتـاني والحزب الديمقراطي الكوردستاني اتفاقا مشتركا مع النظام الإيراني كما ازداد التقارب بين الحزبين بعد مجزرة حلبجة في آذار ١٩٨٨ حيث قتل ما يقارب ٥,٠٠٠ مواطن مدني في هجمات بالسلاح الكيمياوي من قبل قوات صدام. تم تشكيل جبهة كوردستان الموحدة في ٢ مايس ١٩٨٨ وضـمت بالإضـافـة إلى الديمقـراطي الكوردسـتـاني والوطني الكوردسـتـاني، الحـزب الاشـتـراكي الكوردسـتـاني والحـزب الشـيـوعي والحزب الديمقراطي الشعبي لكوردستان. وترتبت على وقف إطلاق النار بين العـراق وإيران في آب ١٩٨٨ نتـائج مـهـمـة منهـا انتـهـاء التـحـالف الإيراني مع الاحزاب الكوردية وتفرغ الجيش العراقي بشكل تام للمسألة الكوردية. شن الجيش هجوما عنيفا على المناطق الكوردية على الحدود التركية واستمر من ٢٥ آب وحتى ١٥ ايلول وحشد العراق له ٦٠,٠٠٠ جندي وعددا كبيرا من الطائرات الحربية ودمرت ٤٧٨ قرية وقصفت ٧٧ قرية بالغازات السامة الأمر الذي ادى إلى فرار ١٥٠,٠٠٠ كوردي إلى إيران وتركيا وخيمت على المنطقة فترة من الرعب الشديد.

الأحوال الاجتماعية في كوردستان العراق

كوردستان العراق ارض غنية ورغم إزالة الاشجار من الغابات فلازالت توجد مناطق مغطاة بالاشجار بشكل جيد. مناخها ممطر في الشتاء وفيها انهار عديدة مثل ديالى والزاب الكبير والصغير ومساحتها تشكل ١٧٪ من مساحة العراق وتبلغ ٧٤,٠٠٠ كيلومتر مربع وكثافة السكان فيها اعلى من المعدل العام في العراق ورغم عدم وجود ارقام دقيقة للسكان فان عددهم يقدر ب ٢٥٪ من مجموع سكان العراق. في ١٩٧٥ جرى تقييم لعدد السكان واعطي الرقم ٣ ملايين كوردي من مجموع السكان البالغ آنذاك ١١ مليون نسمة. رغم اعتراف حكومات بغداد المتعاقبة بوجود أقلية كوردية فانه لم يجر إحصاء والمعلوم إن اتفاقية ١١ آذار لعام ١٩٧٠ اشترطت إجراء مثل هذا الإحصاء.

إن مساحة منطقة الحكم الذاتي المعترفة بها من قبل بغداد هي ٢/١ المساحة التي تقطنها غالبية كوردية في عموم العراق حسب إدعاءات القوميين الكورد. كما ان أعداداً كبيرة منهم يقطنون خارج منطقة كوردستان حيث يقيم ٣٠٠,٠٠٠ كوردي في بغداد و ١٠٠,٠٠٠ في جنوب البلاد بعد نقلهم إليه في السبعينات. ويعيش حوالي ٢٥٠,٠٠٠ كوردي في المدن ولايزال المجتمع الكوردي يعتبر قروياً ولكن الرحل منهم قد اختفوا بسبب التحولات الإقتصادية وحدوث الحروب التي وقعت في المنطقة. وفي قسم من المدن والبلدات يعيش الكورد والتركمان والعرب سوية وبدون مشاكل واهم التجمعات المدنية هي في كركوك إذ يعيش فيها نحو ٥٨٠,٠٠٠ شخص ثم السليمانية وفيها ٨٠٠,٠٠٠ وهي ذات

طابع كوردي متميز وهي مركز مدني مهم في كوردستان وكانت مزدهرة في زمن سابق وسط منطقة سهلية وزراعية كبيرة وبعدها تأتي مدينة أربيل وهي عاصمة منطقة الحكم الذاتي ولها مجتمع مدني أقل تطوراً من المدينتين السابقتين.

إن سياسة بغداد نحو كوردستان كانت تميل إلى تهميشها. منذ ١٩٧٠ وحتى ١٩٧٤ كانت كوردستان تتلقى ٧- ١٢ ٪ من المساعدات التنموية ومن مجموع ١٥٠ مشروع حكومي كان نصيب كوردستان منها ٤ مشاريع فقط. يستخرج خام الحديد في كوردستان ولكنه ينقل إلى خارج منطقة كوردستان حيث تجري عليه عمليات التنقية والتحويل. كما ان النفط المستخرج من حقول كركوك ينقل إلى معامل التكرير في حمام العليل وبيجي رغم ان عملية النقل هذه تزيد من التكلفة بمقدار ٢٠ ٪. أما في حقل الزراعة فان منتوج التبغ خاضع لإحتكار الدولة التي تضع قيوداً على الإنتاج والتسويق والأسعار. ومهما يكن الأمر فان المورد الرئيسي في كوردستان هو النفط. وفي الستينيات كانت الكميات المستخرجة في كركوك وخانقين وعين زالة تشكل ٨٠٪ من الإنتاج الكلي للنفط في العراق. ثم هبط إلى ٧٠٪ وكان لايزال يمثل نصف الدخل القومي. وفي ١٩٦٤ اممت الحكومة المناطق النفطية غير المستثمرة وعند مجيء البعث في ١٩٦٨ وفي الاول من حزيران ١٩٧٢ تم تأميم جميع شركات النفط في العراق وبحلول ١٩٧٣ كان العراق يسيطر على ٨٥٪ من الإنتاج. وأدى ارتفاع اسعار النفط في السوق العالمية إلى مضاعفة الدخل القومي. وهذه الوفرة من الأموال التي تدفقت على العراق من تجارة النفط هي التي مكنت الحكومة من مواصلة الحرب ضد الحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٧٤.

أما في الجانب الثقافي فأن بغداد وفي فترات مختلفة حاولت إحياء وتنشيط الحرية التي تتمتع بها الأقلية الكوردية. فمثلاً تأسس معهد كوردي في بغداد وجامعة في السليمانية ولكن الاول اغلق في نفس سنة تأسيسه وأما الجامعة فإنها نقلت من السليمانية إلى اربيل واخذت تسمية جديدة هي جامعة صلاح الدين وهي اليوم صرح مميز من صروح الثقافة في كوردستان خاصة وفي العراق بشكل عام.

منذ ١٩٧٠ وحتى ١٩٨٣ صدرت ٢٨ مطبوعة كوردية اثنتان منها في كركوك وستة في اربيل واربعة في السليمانية وستة عشر في بغداد. كما ان إذاعة بغداد بدأت تبث برامج بالكوردية والتركمانية والآشورية. ومن ناحية أخرى فان المدارس الكوردية ومنذ ١٩٨١ في كل من دهوك وكركوك و خانقين والموصل اخذت تعلم بالعربية وليس بالكوردية. في ١٩٨٣ وفي ذروة الحرب مع إيران قامت بغداد بنوع من الانفتاح على الكورد فبدلاً من إستعمال مصطلح منطقة الحكم الذاتي الذي درجت على إطلاقه على المنطقة بدأت تسمي المنطقة بـ(منطقة الحكم الذاتي في كوردستان) من جديد.

وفي آذار من عام ١٩٨٣ دب النشاط من جديد في المعهد الكوردي للثقافة والنشر وصدر مرسوم جمهوري يؤجل تدريس العربية في المعاهد العليا. وعندما كان البيشمركة تقوم بهجمات مشتركة مع الحرس الثوري الإيراني كانت الاحتفالات الثقافية والمناسبات القومية الكوردية تقام في معظم المدن الكوردية.

إن هذه الفترات من الانفتاح النسبي المتصنع يجب إن لا تحجب من اذهاننا التمييز الثقافي الحقيقي حيث كان عدد طلاب الجامعات الكورد في ١٩٧١- ١٩٧٤ هو ٦٪ من المجموع الكلي في العراق.

أما في التعيينات الإدارية فنسبة الكورد كانت واطئة وفي الكلية العسكرية لتخريج الضباط وكلية الشرطة فان نسبة الكورد فيها هي ٢ ٪. وهنالك ١٠ دبلوماسيين كورد فقط من مجموع ٥٠٠. لا تمنح الجنسية العراقية للكورد حتى ولو مرت عليهم عقود من الزمن في السكنى في العراق في وقت يسهل الحصول عليها بالإقامة او الزواج من عراقي او عراقية.

سياسات بغداد تجاه الكورد

قانون الحكم الذاتي جاء ثمرة لإتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ وصاغ وضعاً جديداً لكوردستان ضمن إطار الدستور العراقي. فقد نصت المادة (٥) على إن العراق جزء من الامة العربية وان الشعب العراقي مكون من قوميتين هما العربية والكوردية وصان القانون حقوق الكورد واعترف بهذه الحقوق ضمن حدود الوحدة العراقية. أما الاحكام العامة فقد تحددت بالقرار ٢٢٨ الصادر من مجلس قيادة الثورة العراقي الذي اشترط وجود نائب كوردي لرئيس الجمهورية وموظفين إداريين يتحدثون اللغة الكوردية في المناطق التي غالبية سكانها من الكورد وعدم التمييز في الوظائف العامة.

وطبقا للقانون ٣٧ في ١٩٧٤ الذي يعالج هيكلة مؤسسات الحكم الذاتي فان كوردستان تتكون من محافظات السليمانية واربيل ودهوك ومدينة اربيل هي المركز الإداري لمنطقة الحكم الذاتي. وفي ١٩٨٣ صرح صدام بان اربيل هي العاصمة الصيفية للعراق وذلك اثناء حملة لجمع الذهب والمجوهرات للمساهمة في الحرب ضد إيران. واشترط القانون إن تكون اللغة الكوردية لغة رسمية في الإقليم إلى جانب اللغة العربية وان تستخدم كل من العربية والكوردية في مراحل التعليم كافة.

وينص القانون أيضاً على وجود مؤسستين لإدارة الإقليم وهما المجلس التشريعي والمجلس التنفيذي وبموجب القانون المرقم ٣٣ لسنة ١٩٧٤ فأن المجلس التشريعي يتمتع بالصلاحيات الآتية :

١- إصدار التشريعات الضرورية لتقدم وتطوير المنطقة من ناحية

الخدمات الاجتماعية والثقافية والإقتصادية ضمن الإطار العام للدولة.

٢- إستصدار التشريعات التي من شأنها الإرتقاء بالثقافة والخصوصيات القومية لمواطني الإقليم.

٣- تبني الخطط التفصيلية المقدمة من المجلس التنفيذي للمشاريع الاجتماعية والإقتصادية وكذلك المتعلقة بتطوير التعليم والصحة والتوظيف وفق ضوابط الخطة المركزية.

٤- المصادقة على الميزانية الاعتيادية للإقليم بعد إقرارها من قبل المجلس التنفيذي.

٥- تبني القوانين المتعلقة بالمنظمات غير الحكومية.

٦- إجراء التعديلات على الميزانية، وضمن المبالغ التي رصدت والاهداف المقررة حسب القوانين المعمول بها.

٧- مساءلة المجلس التنفيذي حول الأمور والتشريعات الصادرة.

٨- وضع ألية عمل المجلس.

أما تركيبة المجلس فانها تقررت بموجب القانون المرقم ٥٦ في١٥ آذار ١٩٨٠. اعضاؤه ينتخبون بالاقتراع السري المباشر بمعدل عضو واحد عن كل ٣٠,٠٠٠ مواطن ويكون مجموع الاعضاء ٥٨ عضوا في انتخابات عام ١٩٨٣.

أما من الناحية العملية فان حزب البعث يسيطر على معظم مقاعده وان KDPIالموالي للحكومة ممثل فيه. يعقد المجلس دورتين في السنة امد كل منهما ستة اشهر وينعقد بمرسوم رئاسي او بغالبية عدد الاصوات. المجلس يقترح ويصوت على القوانين الخاصة بمنطقة الحكم الذاتي وله ان يراقب المجلس التنفيذي. أما المجلس التنفيذي فانه الجهاز المنفذ للمجلس التشريعي ويتكون من رئيس ونائب للرئيس و٩ أمناء عامين. شؤون الري هي من صلاحية الحكومة المركزية.

ويتولى المجلس التنفيذي شؤون الإدارة اليومية ويقدم تقريرا سنويا إلى رئيس الجمهورية. السلطات مقسمة بين الدولة والإقليم طبقا للتشريعات المركزية للدولة باستثناء التشريعات التي تحدد صلاحيات الإقليم. رئيس المجلس التنفيذي يحضر اجتماعات مجلس الوزراء. في آب من عام ١٩٨٦ حضر صدام حسين الدورة الأولى للمجلس التشريعي والقى خطابا اثنى فيه على الحكم الذاتي. ومهما يكن الأمر فإن جميع اعضاء المجلس ومعهم رئيس المجلس التنفيذي معينون من قبل صدام ولكلا المجلسين تاثير طفيف على مجريات الأمور في الإقليم. بغداد هي التي تقرر الميزانية وتستطيع الحكومة المركزية نقض قرارات المجلس. في ١٩٨٦ اصدرت بغداد قانونا ينص على ضرورة تزكية المرشحين للمجلس التشريعي من قبل حزب البعث. ويجدر بنا الذكر انه وطيلة فترة ممارسة المجلسين لاعمالهما لم يحصل انخفاض في عدد حالات الاعتقال الكيفي وحالات التعذيب. إن استعادة الجيش لمواقعه في كوردستان في عام ١٩٨٨ سمح لصدام التنصل من سياسة الانفتاح.

سياسة ترحيل السكان

عقب الإطاحة بنظام البعث في عام ١٩٦٣ حاول عارف إتباع سياسة تعريب كوردستان وبدأ بتقديم المحفزات إلى العرب لتشجيعهم على السكنى في الأراضي المتاخمة للحدود مع الكورد. وبمرور الايام اشتدت هذه السياسة وبعزم اكبر. بعد حرب ١٩٧٤- ١٩٧٥ بدأت الحكومة بترحيل الكورد والآشوريين إلى المناطق الصحراوية في الجنوب وادخلت التعريب إلى ثلاث مناطق هي سنجار وكركوك وخانقين ودمرت القرى في هذه المناطق واعطت سندات تملك الأراضي إلى الفلاحين العرب فقط. بعد ذلك بعدة سنوات سمحت الحكومة بعودة بعضهم إلى كوردستان دون السماح لهم في الإقامة في مناطقهم الاصلية التي رحلوا منها واستقر هؤلاء في مدن السليمانية واربيل ودهوك. كما اقيمت مجمعات سكنية للمرحلين تكون قريبة من الطرق الرئيسة ومعسكرات الجيش وادت الاحوال المعيشية والصحية السيئة لسكان هذه المجمعات إلى قيام موجة من التذمر والاحتجاجات في ١٩٧٨ و١٩٧٩.

في هذا الوقت بدأت الحكومة بتخلية المناطق الحدودية من سكانها. وفي الفترة من ١٩٧٨- ١٩٧٩ تم إعادة إسكان ٢٥٠,٠٠٠ قروي في مجمعات سكنية جديدة. في ٢٦ حزيران ١٩٨٩ صدر إعلان رسمي يشرح مبررات هذه التنقلات السكانية بإيجاد شريط حدودي بعرض ٣٠ كم خال من السكان على امتداد الحدود مع تركيا وإيران. وجاءت الحرب العراقية الإيرانية لتضع حداً لهذه التنقلات السكانية. وفي عام ١٩٨٥

وبعد فشل المفاوضات بين الطالباني وبغداد اعلنت الأخيرة عن خطة لإسكان ٥٠٠,٠٠٠ شخص. دمرت قرى بأكملها واعيد إسكان القرويين في مجمعات سكنية بالقرب من الطرق الرئيسة ومعسكرات الجيش لتعطي السلطات مجالا ارحب للسيطرة عليها. في حزيران عام ١٩٨٩ اخليت مدينة قلعة دزة الواقعة إلى الشمال من مدينة السليمانية وهي تبعد ١٠ كم عن الحدود الإيرانية. إن سكانها البالغ عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة تلقوا إشعارا بالمغادرة مع اخذ ما يستطيعون حمله فقط.في ٢٩ آذار رفض الاهالي الإذعان للأمر وارسلوا وفداً عنهم لمقابلة صدام. ترأس الوفد ملا محمد دلكاي الذي اودع السجن. واخيرا اخليت المدينة من سكانها في حزيران بعد تطويقها من قبل الجيش وسويت بيوتها مع الأرض ورحل سكانها إلى مخيمات في السليمانية واربيل.

يختلف عدد القرى المدمرة من تقرير إلى آخر حيث لاتوجد إحصائيات رسمية. المصادر الكوردية تقدر العدد بحوالي ٣,٥٠٠ قرية من اصل ٥٠٠٠ قرية اي بنسبة ٧٠٪. أما وزارة الخارجية الاميركية فإنها قدرت العدد بحوالي ١,٢٠٠ قرية لكنها تعترف بان الارقام هي اعتباطية. إن المنطقة الجبلية الكوردية هي عمليا خالية من السكان الأمر الذي يخلق مشاكل لوجستية وتموينية ومعلوماتية للبيشمركة.

لقد تم إسكان الناجين من مجزرة حلبجة في مجمع سكني جديد يبعد ٢٠ كم عن مدينة حلبجة الاصلية واطلق عليه اسم (صدامية حلبجة) تكريماً لأسم صدام الذي قصف اهل حلبجة بالغازات السامة. إن سكان المجمعات عادة يكونون عاطلين عن العمل وظروفهم المعاشية تكون صعبة. إن اعتمادهم على الدولة سهل على السلطات تجنيد اعداد كبيرة منهم في الميليشيات او كمخبرين سريين. ومن تبقى من المهجرين فقد ذهبوا إلى مدن السليمانية واربيل ودهوك وأرسل البعض منهم إلى

معسكرات في جنوب العراق. وجاء في الانباء ذكر اربعة معسكرات هي نقرة السلمان و اور و حتبة. وفي عام ١٩٨٩ اتخذ النظام إجراءات ضد اولئك الذين سكنوا المدن حيث منعوا من شراء وبيع الدور وطلب من الذين سكنوا هذه المدن بعد ١٩٧٥ تسجيل أسمائِهم لدى مراكز الشرطة.

الاسلحة الكيمياوية

إن استعمال الغازات ضد الكورد في ١٩٨٨ لم يكن المرة الأولى التي استخدمت بغداد فيها مثل هذا السلاح فقد كان هنالك في ١٩٨٣ قصف مشابه اثناء الحرب مع إيران. ورغم شجب الأمم المتحدة للعراق فقد استمر الاخير في إستعمالها بشكل منتظم. وقدرت إيران عدد من ماتوا بهذه الغازات بين ١٩٨٣ و ١٩٨٨ بحوالي ٥٠,٠٠٠، وفي عام ١٩٨٨ انكر العراق مرة أخرى إستعماله أية أسلحة كيمياوية.

في الحقيقة باشر العراق إنتاج الغازات السامة على نطاق واسع منذ عام ١٩٧٤. وهو أمر يخالف بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ الذي يندد باستخدامها وليس بإنتاجها. ومنذ عام ١٩٨٥ انتج العراق كميات كبيرة من غاز الخردل ونوعين من غاز الاعصاب وهذا يضع العراق على رأس دول العالم الثالث من حيث ترسانته للمواد الكيمياوية. في ١٥ و ١٦ نيسان ١٩٨٧ شن العراق هجمات بالغازات على القرى الكوردية في مناطق من السليمانية واربيل وقتل وجرح حوالي ٣٠٠ شخص. وتذكر مصادر معينة إن حوالي ٣٨٠ مصابا توجهوا إلى المستشفيات الحكومية لتلقي العلاج ولكنهم قبض عليهم واعدموا من قبل الجيش لإخفاء اثار الجريمة. حدثت هجمات أخرى في مايس وحزيران وايلول ١٩٨٧. إن قصف حلبجة في ١٦ و ١٧ آذار١٩٨٨ هو الذي لفت انظار العالم إلى الموضوع. إن حضور طواقم شبكات التلفزة العالمية وعرضها جثث الضحايا أثار إهتمام العالم المتحضر وأحدث صدى كبيراً لدى الرأي العالم العالمي. إن استيلاء الإيرانيين على حلبجة هو الذي دفع بالعراق

إلى إرتكاب هذه المجزرة التي يندى لها جبين كل غيور. وجدت إيران في هذا العمل الوحشي ضالتها وفرصتها الذهبية لفضح عدوها اللدود وقدمت تقريرا إلى الأمم المتحدة اوضحت فيه إن الضحايا يحملون آثار السلاح الكيمياوي ومعظمهم من المدنيين وبينهم اعداد كبيرة من الاطفال والنساء. كان نفوس حلبجة ساعة ضربها حوالي ٥٠,٠٠٠ نسمة نظرا لنزوح اعداد كبيرة من القرويين إليها. كان من الصعب إحصاء عدد الضحايا وقدر العدد بحوالي ٥٠٠٠ شخص. على الرغم من تنديد العالم ومجلس الامن في ٩ مايس و٢٦ آب ١٩٨٨ لاستخدام العراق للغازات فان بغداد استمرت في ضرب القرى الكوردية بها وخاصة في ايلول موقعة آلاف الضحايا.

أما تركيا التي استقبلت افواج اللاجئين الهاربين من قوات صدام فإنها تبنّت موقفا مشابها لموقف العراق عندما انكرت قيام العراق باستخدام السلاح الكيمياوي ضد الكورد. الاطباء الكورد (ربما قصد الكاتب الترك) الذين فحصوا اللاجئين لم يجدوا عليهم اثرا للسلاح الكيمياوي. وفي ١٩٨٢ وقعت تركيا مع العراق اتفاقية تسمح لتركيا مطاردة المقاتلين الكورد إلى داخل العراق. والمعروف إن العراق هو المجهز الرئيس لتركيا بالنفط ولذلك فانه لا يمكن لتركيا إلا إن تكون حليفا ضامناً للعراق.

في ايلول ١٩٨٨ رفض العراق وتركيا معا مقترحاً من الأمين العام للأمم المتحدة ديكويلار إستقبال فريق من الخبراء للتحقيق في هذه المزاعم. أما ممثل الجامعة العربية لدى الأمم المتحدة وفي معرض رده على التهم الموجهة إلى العراق قال إن بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ لا ينطبق على حالة العراق. واستطرد مندوب الجامعة قائلا إن بروتوكول جنيف يخص الحروب بين الدول وليس النشاطات الداخلية لدولة ذات

سيادة. وصرح وزير الدفاع العراقي في ١٥ ايلول ١٩٨٨ بأنه لا يوجد مبرر مسوغ لاستعمال الغازات في منطقة جبلية وحيث يكون استعمال الغازات غير عملي. الحقيقة إن الغازات استعملت بشكل رئيسي لخلق حالة من الذعر بين السكان ولإخراج مئات الالوف منهم إلى العراء وحسب تفسير الصداميين للامور فان هذا الاسلوب سيسهل عملية التعريب التي تبقى هدفا من اهداف سياسته.

اللاجئون

لقد دفعت الحرب في كوردستان العراق الكثيرين من الكورد إلى مغادرة ارض كوردستان وقدر عددهم بحوالي ٤٠٠,٠٠٠ اي حوالي ١٠٪ من مجموع الكورد في العراق. ويعيش نحو ٣٧٠,٠٠٠ منهم في إيران. و ٢٨,٠٠٠ في تركيا و ٣,٠٠٠ في باكستان وحوالي ٢,٥٠٠ في اوروبا الغربية. لقد كان هناك لاجئون كورد في إيران منذ عام ١٩٧١ وإزداد هذا العدد بشكل مطرد بعد إستخدام السلاح الكيمياوي في ١٩٨٨ و ١٩٨٩ وهم موزعون على مخيمات في كوردستان إيران وهم لا يتمتعون بميزة لاجئ وليس لهم إمتياز الحماية من قبل المنظمات الدولية وإزدادت أوضاعهم الصحية سوءا بسبب الظروف الجوية المعاشية. في آب وايلول هرب نحو ٥٥,٠٠٠ كوردي عراقي إلى تركيا ورفضت الحكومة منحهم فيزة لاجيء علما إن تركيا هي من بين الدول الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة بخصوص اللاجئين في ١٩٥١. ثم إن تركيا ما هي إلا منطقة عبور للاّجئين الذين ينتظرون قبولهم من قبل دولة ثالثة.

منذ أيلول ١٩٨٨ اصدرت الحكومة العراقية خمسة قرارات للعفو العام عن الخصوم السياسيين واثنين من هذه القرارات كانا يتعلقان بالكورد. على أيةِ حال فإنه ولغاية نهاية عام ١٩٨٨ رفض العراق السماح للجنة من الصليب الاحمر الدولية لإعادة اللاجئين بالقيام بهذه المهمة والإشراف عليها. وطبقا لارقام اصدرتها الحكومة العراقية فان ٧,٦٤٤ شخصا استفادوا من العفو العام وبلغ إجمالي من عاد ٨١٢٩ شخصا.

والحقيقة إن العدد الذي عاد اكبر من العدد الذي ذكرته الحكومة العراقية إذ بلغ العدد حوالي ١٠,٠٠٠ شخص منذ ايلول عام ١٩٨٨. إن عودة اللاجئين الكورد تمت على أساس ثنائي بين تركيا والعراق دون وجود طرف دولي ثالث معني بشؤون اللاجئين. واشارت منظمة العفو الدولية إلى حالات إعادة حصلت بشكل قسري. إضافة إلى ذلك فان حكومة بغداد لم تنفذ قرارات العفو العام بشكل صحيح حيث وردت معلومات عن حالات اختفاء وتعذيب وإعدامات لعدد من العائدين.

كورد إيران

إن تقسيم الإمبراطورية العثمانية ومع ضعف الدولة الفارسية في العشرينيات من القرن العشرين فتح الباب أمام ظهور المشاعر القومية الكوردية في كوردستان إيران. اول من قاد حركات التمرد هو سمكو- احد ابناء محمد آغا رئيس عشيرة شكاك الكبيرة. بعد اغتيال شقيقة الاكبر من قبل حاكم تبريز حمل سمكو في قلبه الضغينة والعداء للفرس وحاول التحالف مع الترك والانكليز. في ١٩١٨ رفض سمكو الإنضمام إلى الأرمن لمقاومة الترك وقام باغتيال البطريارك الاشوري مار شمعون. وفي نفس العام قام باحتلال المنطقة الكائنة بين بحيرة اورمية و الحدود التركية. إن اغتياله للبطريارك الآشوري واعمال العنف الأخرى التي ارتكبها بحق الآشوريين اكسباه لقب قاطع الطرق في نظر الغربيين وزاد هذا العمل من عزلته الدولية. في البداية حاولت طهران التخلص منه بالمكيدة فأرسلت إليه طرداً ملغوما قتل احد أشقائه ولم يصب سمكو نفسه بأذى. وفي صيف ١٩١٩ استولت قواته على الرضائية وتم نهب المدينة من قبل أتباعه. قام لواء من القوزاق الإيرانيين بقيادة فيليبوف بالهجوم على قوات سمكو التي اصيبت بخسائر كبيرة ولكنها لم تسحق بالكامل وتلت الهجوم مفاوضات وبقي الوضع هادئا إلى تشرين الاول عام ١٩٢١ عندما تفاجا سمكو بوصول قوات من طهران. قرر سمكو أخذ زمام المبادرة بنفسه فهاجم مهاباد واستولى عليها وقتل نحو ٤٠٠ شرطي كانوا متواجدين فيها. رافقت عملية الإستيلاء هذه أعمال نهب

وسلب وقتل عدد من وجهاء المدينة على أيدي قوات سمكو. إن هذا السلوك اللا منضبط واللا مسؤول قلل من شعبية سمكو وابتعاد السكان عنه. لقد كان سمكو في ذروة انتصاراته وقوته وقد نجح في دحر القوات التي ارسلت لمقاتلته. لقد كان اكثر من كونه رئيس عشيرة إلا انه كانت تنقصه فنون السياسة. لا غبار على مشاعره القومية ولكنه في المناطق التي سيطر عليها لم يحاول إقامة جهاز إداري من اي نوع فيها الأمر الذي كان وبدون شك سيسانده في تحقيق طموحاته لتأسيس دولة مستقلة. بعد مجيء رضا خان إلى سدة الحكم حاول سمكو الحصول على مساندة البريطانيين وذلك لتفادي مواجهة عنيفة مع الحكم الجديد. رفضت بريطانيا التعاون معه ومنذ ذلك اليوم تم تهميش الحركة وصدر عليها الحكم بالانتهاء. إن المعاهدة التركية الإيرانية في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٢ زادت من عزلة سمكو حيث وضعت الاتفاقية نهاية للمساعدة التركية له وجاءت ساعة الحسم في ٢٥ تموز ١٩٢٢ في شكالايازي. واجهت قواته جيشاً مسلحاً تسليحاً جيداً وسحقت قواته هذه المرة سحقاً تاماً. وبعشرة آلاف مقاتل دخل بهم المعركة خرج منها ومعه فقط ١٠٠٠ مقاتل وجلهم من أبناء عشيرته ليواصل بهم حربا غير متكافئة. غادر سمكو إلى العراق ومنه إلى تركيا لتنتهي رحلة إسفاره في ١٩٣٠ عندما عينه الشاه حاكماً على اكنوفيا ثم ليغتاله بعد ذلك بعدة أيام من تعيينه.

جمهورية مهاباد

تبقى جمهورية مهاباد المثل الوحيد لأي إستقلال كوردي. دامت الجمهورية من ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ إلى كانون الاول من السنة نفسها. ويتساءل المرء كيف إن منطقة تتمتع بإستقلال تام امكن إيجادها في جزء من كوردستان بعد الحرب الثانية. نجم هذا من الإحتلال المزدوج لإيران من قبل كل من بريطانيا والإتحاد السوفيتي بين آب ١٩٤١ و ١٩٤٥. إن منطقة مهاباد عملت كمنطقة ردع بين الأقاليم المحتلة من قبل الدولتين المتحالفتين في الحرب. ففي الوقت الذي كان البريطانيون يريدون الحفاظ على وحدة إيران الإقليمية لعمل حاجز أمام التوسع السوفيتي نحو الخليج كانت موسكو تريد الحصول على مناطق نفوذ جديدة وذلك عن طريق تقطيع أوصال إيران. وجاءت فكرة توحيد اذربيجان على رأس أولويات سياستها. ولكن الا يمكن للكورد إن يكونوا عامل تمزيق لوحدة إيران أيضاً ؟. في تشرين الثاني ١٩٤١ دعا ضابطان اذريان سوفيتيان ثلاثين من وجهاء الكورد إلى باكو وكان بين هؤلاء القاضي محمد الرئيس القادم لجمهورية مهاباد. حاول قاضي محمد الاتصال بالانكليز غير إن العوامل الجغرافية والبشرية والإقتصادية وليس الدافع السياسي هي التي دفعته نحو التعاون مع السوفييت. وفي باكو تجنب باكيروف رئيس جمهورية اذربيجان إعطاء أيةِ وعود قوية للكورد وكان على درجة عالية من الحذر حيال مطالب الوجهاء الكورد بينما كان في غاية السخاء تجاه توحيد اذربيجان برعاية

سوفيتية. خلال السنوات الأولى لاحتلال الحلفاء لإيران اظهر القاضي محمد براعة في القيادة وحظي على احترام الجميع له.

ولد قاضي محمد في ١٩٠٠ في عائلة معروفة في مهاباد وإمتاز بقوة شخصيته وثقافته الواسعة وكان يجيد التحدث بالإنكليزية والفرنسية والتركية والعربية والفارسية إضافةً إلى لغته الأم اللغة الكوردية.

إن حزب إحياء الكورد (كومەله زيانەوەى كورد) كان قد تأسس في أيلول ١٩٤٢ في وقت كانت الفوضى تسود كوردستان التي لم تكن تخضع لأية قوة محتلة. تأسست (كومەله) من قبل ١٥ شخصية من مهاباد وتوسعت إلى خارج حدود المدينة بعد انضمام عدد من زعماء العشائر إليها بإستثناء العشائر الشيعية حيث لم تستطع الحركة كسبهم إلى جانبها. في مايس ١٩٤٣ هاجم الأهالي مركز شرطة مهاباد وتم إستقلال المدينة. لم ينضم قاضي محمد إلى كومەله إلا في تشرين الاول من عام ١٩٤٤ وسرعان ما أصبح الشخصية المهيمنة فيها. بين آب وتشرين الأول تغير إسم كومەله ليصبح الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني.

كان منهاج الحزب يتسم بالإعتدال فهو يدعو إلى حكم ذاتي ضمن إطار الدولة الإيرانية مع إعتراف بالحقوق الثقافية للكورد. ولكن الأمور تغيرت بسرعة في ظل المستجدات التي حصلت بانتهاء الحرب العالمية الثانية. في ايلول ١٩٤٥ جاءت الزيارة الثانية للقادة الكورد إلى باكو للتأكد من إستمرار الدعم السوفيتي لهم. غير أن السوفيت لم تكن لهم أيةِ نية لاحترام الاتفاقيات التي تشترط انسحابهم من إيران خلال ستة اشهر بعد زوال العداء. في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ تم الإعلان عن إستقلال اذربيجان وبعد يومين من إستقلالها تم الإعلان من قبل الكورد

عن استقلال مهاباد. في الحقيقة كان قاضي محمد يحتفظ بعلاقات مع طهران وكان يؤكد لهم رغبته في إعلان حكم ذاتي وليس الاستقلال. قاضي محمد الذي كان واثقا من تأييد السوفييت له اعلن عن قيام جمهورية مهاباد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ وبحضور الملا مصطفى البارزاني الذي كان قد وصل مؤخرا من العراق وقاد جيش مهاباد برتبة جنرال. وتشكلت حكومة من التجار ورؤساء عشائر على عجل. أما المعونة السوفيتية فقد كانت شحيحة للغاية ورغم وجود ضباط سوفيت لتدريب القوات الكوردية فأنهم لم يقدموا لهم أية اسلحة. وحدث النزا ع بين الجمهورية الآذرية والكوردية حول ترسيم الحدود بينهما فقد الحقت عدة مدن وبلدات كوردية بأذربيجان على حساب الكورد. تدخل السوفييت وتوسطوا في الخلاف وتم التوصل إلى اتفاقية في ٢٣ نيسان ١٩٤٦. أما المفاوضات بين طهران وتبريز فقد إنتهت في حزيران ١٩٤٦ باتفاقية اعترف فيها الآذريون بكونهم جزء من إيران دون التطرق إلى ذكر الجمهورية الكوردية.

إن انسحاب السوفييت من إيران في مايس ١٩٤٦ كان بمثابة إصدار شهادة الوفاة لجمهورية مهاباد. بدأت طهران هجومها في تشرين الثاني ١٩٤٦ بإعادة السيطرة على اذربيجان ومما سهل للإيرانيين تحقيق هذا النصر السريع كره الأهالي لنظام البلشفي الشيوعي الستاليني. واستسلم الكورد وتم إلقاء القبض بعد فترة على قاضي محمد وأُعدم مع عدد من قادة الجمهورية في آذار ١٩٤٧. أما البارزانيون وبقيادة الملا مصطفى البارزاني فقد شقوا طريقهم إلى الإتحاد السوفيتي. لقد استطاعت جمهورية مهاباد خلال الأشهر القليلة من عمرها من وضع أسس إدارة كوردية واصبح التعليم باللغة الكوردية كما بدأت صحافة

كوردية بالظهور. وعلى النقيض لما حصل في اذربيجان فان البنية التحتية في مهاباد لم تُصب بأضرار ولم يحدث تأميم للممتلكات واحترمت الحكومة الحريات الأساسية. وكما هي العادة في التاريخ الكوردي في القرن العشرين فإن جمهورية مهاباد سقطت نتيجة لتوقف المساعدة من قوة إقليمية وفي هذه المرة كان الإتحاد السوفيتي الذي رضي بتنازلات نفطية زهيدة في شمال إيران لقاء تخليه عن مساعدة حلفائه الآذريين والكورد. بالإضافة إلى هذا العامل فان عدداً من زعماء العشائر الكوردية الذين كانوا يعتمدون في معيشتهم على إنتاج التبوغ تأثروا بانخفاض مداخليهم لخسارة سوق التبوغ الإيرانية فأنقلبوا وبكل بساطة ويسر على الجمهورية وأداروا ظهورهم لها.

مهما قيل وكتب عنها فان جمهورية مهاباد ستبقى لحظة هامة في التاريخ السياسي الكوردي وعلى الأخص في دورها في تأسيسKDP الإيراني وعن طريق البارزاني KDP العراقي. الحزبان اللذان بقيا في صلب النضال القومي في كل من إيران والعراق والى يومنا هذا.

تطور الحركة الكوردية من ١٩٤٦ إلى ١٩٨٠

مع إختفاء جمهورية مهاباد تكون الحركة الكوردية عمليا قد انزوت وتفككت. إن KDP الإيراني اعاد بناء نفسه في السنوات الأولى من الخمسينيات وذلك بمجيء مصدق إلى الحكم. كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني في هذه الفترة يتخذ موقفاً ونهجاً يسارياً بزعامة عزيز يوسف وغني بولوريان. في انتخابات ١٩٥٢ اي بعد ست سنوات على سقوط جمهورية مهاباد حصل مرشح الحزب على ٨٠- ٩٠ ٪ من اصوات الناخبين في مهاباد والمناطق المحيطة بها. تم إلغاء هذه النتائج وتم تعيين رجل دين مندوباً عن مهاباد في البرلمان. وفي نفس السنة قاد الحزب فلاحي بوكان في إنتفاضة ضد ممارسات الشرطة والملاكين الكبار وإتسع نطاق الإنتفاضة غير انه تم القضاء عليها بمساعدة الجيش وتعاون عدد من رؤساء العشائر الكوردية.

بعد سقوط مصدّق في أب ١٩٥٣ في انقلاب دبرته الـ CIA ازداد قمع الحكومة للكورد. وفي ١٩٥٥ وقّعت كل من العراق وإيران وتركيا وباكستان وبريطانيا معاهدة حلف بغداد.

ولو إن الهدف الظاهري له كان الوقوف بوجه التوسع السوفيتي نحو الخليج إلا أن مواجهة الخطر الكوردي لم تكن غائبة عن ذهن الموقعين عليها. طال القمع اولاً عشيرة جوانرو الكوردية الإيرانية شمال كرمنشاه والتي كانت تتمتع بنوع من الإستقلالية لموقعها الإستراتيجي على الحدود مع العراق. إن وجود إيران في الحلف شجع شاه إيران على شن هجومه

ضدها في ٤ شباط ١٩٥٦. تخلى افراد العشيرة عن حصنهم الذي كان يمثل رمز إستقلالهم وإلتجأوا إلى الجبال.

لقد أبيد الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني بصدق وتأثر بشكل بليغ بالقمع الذي اعقب الإطاحة بحكومة مصدق. وبعد تفكيك تنظيماته الداخلية المركزية أعاد الحزب تنظيم نفسه واعتمد على اللجان المحلية. في ١٩٥٥ و ١٩٥٨ اصبح عبد الرحمن قاسملو رئيساً للحزب وعمل بشكل وثيق مع الحزب الشيوعي الإيراني (تودة) وعلى مدى عقود من الزمن اصاب الحزب كثير من الهدم الداخلي وشهد انعقاد مؤتمره الثاني في العراق عام ١٩٦٤ عودة البارزاني كشخصية مركزية مهيمنة في الحركة الكوردية ومنع عدد من اعضاء المؤتمر من امثال قاسملو من الإشتراك في المناقشات الدائرة في المؤتمر.

نشب الخلاف حول التعاون بين KDPI بزعامة البارزاني وشاه إيران. تم تشكيل تنظيم جديد باسم اللجنة الثورية وتدهورت العلاقات بينKDP والتنظيم الجديد بسرعة. في عام ١٩٦٨ لقي خمسة من اعضاء اللجنة الثورية مصرعهم بعد إن منعهم البيشمركة من العبور إلى داخل العراق من إيران. كما اعتقل عضو سادس هو سليمان معيني واعدم وسلمت جثته إلى السلطات الإيرانية. بعد مؤتمره الاول لم يطرء تغيير على برامج الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني وبقي يدعو إلى مجتمع اشتراكي على نمط النموذج السوفيتي وهو يستلهم من الماركسية اللينينية وبقي الحزب علمانياً يدعو إلى إقامة حكم ذاتي في إيران ديمقراطية. وبمضي الأيام احتفظ الحزب بشعبيته واوقف كل تلميح إلى الماركسية في منهاجه مستغلاً ضعف الحزب الكوردستاني الإيراني. في نهاية الستينيات ظهر حزب جديد يستلهم الشيوعية الماوية الصينية

وعرف باسم (كومه‌له). أسس هذا الحزب في ١٩٦٩ عدد من الطلاب والعمال اليساريين وهو يعادي الحزب الشيوعي الإيراني وبذلك فهو يعادي الإتحاد السوفيتي. منذ عام ١٩٧٢ بدأ هذا الحزب بنشر دعايته بين الطلاب والعمال وخمد نشاطه بعد ١٩٧٥ بعد الإعتقالات التي شملت صفوف الحزب بعد إطلاق سراح عدد من النشطاء فيه استطاع الحزب عقد مؤتمره الأول في نفس السنة. طرأ بعض التغيير على برامجه فأصبح يدعو إلى إقامة حكم ذاتي في إيران اشتراكية وابدى رغبة في التعاون مع (تودة).

الحركة الكوردية بعد الثورة الإسلامية

إن سقوط الشاه في ١٩٧٨- ١٩٧٩ اتاح الفرصة أمام كوردستان إيران للحصول على حكم ذاتي منشق عن طهران. بعد فرار الشاه ارسلKDP مبعوثين إلى طهران للإعراب عن تأييد الحزب للنظام الجديد وأبدى رغبته للتفاوض معه على وضع كوردستان كإقليم بتمتع بحكم ذاتي. رفض أية الله خميني سماع أي شيء عن حكم ذاتي واعتبره بدعة منافية لتعاليم الإسلام. وادى فشل المفاوضات إلى قيام السلطات بإحكام الطوق على الأقليات وخصوصا منها الكورد والتركمان في ١٩٧٩. أما الحرس الثوري (باسداران) فقد تم إرسالهم إلى كوردستان بعد تصريحات الخميني. في آب ١٩٧٩ أصدر خميني فتوى بإعلان الجهاد ضد شعب كوردستان الكافر. أما الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي بدأ بمزاولة نشاطه جهراً منذ آذار ١٩٧٩ فانه أصبح مرةً أخرى حزباً غير قانوني. وفي الإستفتاء الذي جرى على الدستور كان الإقبال على صناديق الإقتراع فاتراً (اقل من ٥٠ ٪) وحدثت مصادمات مع الشرطة. بعد الانتهاء من عملية الاستفتاء قام الخميني بمفاتحة KDP في محاولة منه لوضع خطة للأقليات وتعثرت المباحثات بسبب الإشكال حول نزع اسلحة الحزب وهو الشرط الذي وضعه الخميني ورفضه KDP. في آذار ١٩٨٠ سنحت فرصة أخرى أمام الحزب الديمقراطي الكوردستاني لإظهار نفوذه بين الجماهير ومدى شعبيته وذلك اثناء الإنتخابات التي اجريت. حصل الحزب على ثمانين بالمائة من أصوات الناخبين في

كوردستان. غير أن هذا الإلتفاف الجماهيري حول الحزب لم يمنع بني صدر من إرسال قطعات من الجيش لمقاتلة البيشمركة. ساعد هذا الهجوم الحكومة على تعيين رجال دين شيعة في المناصب الإدارية الرئيسة رغم كون ٧٥ ٪ من السكان في كوردستان هم سنة بإستثناء منطقة كرمنشاه. إن تعصب رجال الدين الشيعة ادى إلى حدوث إضطرابات بين السكان وخاصة أن رجال الدين هؤلاء أخذوا جانب الملاكين الكبار لكونهم أعضاء في اللجان الثورية. وإستطاع الملاكون وبمساعدة باسداران من إستعادة أراضيهم بعد مصادمات مع الفلاحين الذين سبق وان أستولوا على حقول واسعة بعد هجرها اصحابها بعد سقوط الشاه.

بعد إنتخابات ١٩٨٠ عانى الحزب الديمقراطي الكوردستاني من عوامل الإنقسام الذي اضعفه كثيراً في أشد أوقاته حراجة. حدث الخلاف حول تقييم نظام الخميني. أن فصيلاً من الحزب يقوده الماركسي غني بلوريان حمل على قاسملو تعاونه مع بغداد وكان هذا الفصيل يدعو إلى التعاون والإعتراف بنظام الآيات. إن هذا التقييم اتفق مع رأي تودة القائل بأن نظام خميني هو ضد الإمبريالية (أميركا) وعليه يجب الحكم عليه بشيء من العقلانية السياسية وان الحكم الذاتي يمكن إستحصاله بالأساليب السلمية. وعندما قام خميني بحظر الحزب الشيوعي في مايس ١٩٨٣ أصبحت شجاعة إستراتيجية (بولاريان) على المحك. لجأ عدد من اعضاء تودة إلى المناطق التي هي بيّد الكورد وحيث يستطيع مزاولة نشاطه.

أما KDP وبعد إخراجه من المدن من قبل باسداران فقد حاول إقامة منطقة حكم ذاتي في المناطق الجبلية التي هي تحت سيطرته. فأقام

إدارة بسيطة مع ايلاء التعليم أهمية خاصة باللغة الكوردية وطبعت الكتب المدرسية في نهاية ١٩٨١. وكانت المساعدة وبشكل محدود تأتي من قبل منظمات غير حكومية مثل منظمة اطباء ودواء بلا حدود وكانت هذه بمثابة البديل عن أية رعاية صحية حكومية. كان الحزب الديمقراطي الكوردستاني يمتلك محطة للبث الإذاعي تبث مرتين في اليوم بالكوردية والآذرية والفارسية. أما عن علاقة الحزب مع (كومەله) فإنها كانت متوترة وحدثت بينهما مصادمات مسلحة حول السيطرة على مواقع معينة. في الفترة مابين ١٩٨٢- ١٩٨٣ وبعد إدراك الجميع للخطر المشترك المحدق بهم من الجيش تحولت المواجهات المسلحة إلى تعاون. إن محاولات KDP الرامية إلى إقامة حكم ذاتي باءت بالفشل بسبب الهجمات المتتالية للجيش إبتداءً من ١٩٨٣. استطاع الجيش السيطرة على منطقة حاج عمران الإستراتيجية التي يمكن أن تؤثر على حقول النفط في كركوك وساعدتهم على إيقاف المواصلات بين بيرام رواندوز. وبهذا قطع الجيش منافذ الإمدادات للكورد الذين إحتموا بالجبال واصبح البشمركة الهاربون من تركيا بدون ملاذ. وفي تشرين الأول وفي عملية (فجر ٤) إستطاع الإيرانيون من الاندفاع والتوغل في بينجوين والسيطرة على المرتفعات الإستراتيجية داخل كوردستان إيران ومنذ ذلك التاريخ لم يعد KDP يسيطر على أيّة منطقة. وفي كانون الثاني ١٩٨٤ واثناء انعقاد مؤتمره الرابع اعترف الحزب بإخفاقاته وقرر خوض حرب عصابات وتجنب المواجهة المباشرة مع الجيش. تم التأكيد على التحالف مع العراق لحاجة الحزب إلى المساعدة اللوجستية. إن الحزب الوحيد الذي ظل محتفظاً بعلاقات جيدة مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني هو حزب الإتحاد الوطني الكوردستاني الذي حاول التقرب إلى بغداد. واخيراً وخوفاً من أن يصبح حزباً مهمشاً قرر KDP الإنضمام

إلى مجلس المقاومة الوطنية وذلك في ٢٧ تشرين الاول ١٩٨١. غير إن مسعود رجوي رئيس مجاهدي خلق وضمن برامجه السياسية كان يهدف إلى تأسيس جمهورية إسلامية، الشيء الذي يتعارض مع مبادئ KDP العلمانية. ترك KDP حزب مسعود رجوي واقام له قواعد داخل العراق بفضل تحالفه مع بغداد. وبعد وقف إطلاق النار بين العراق وإيران ابدى قاسملو استعداده للتفاوض مع طهران حول صيغة للحكم الذاتي في كوردستان إيران من دون إن يعلم انه يسعى إلى حتفه على ايدي من وثق بهم وتفاوض معهم.

بعد جولة من المحادثات في فيينا في ٣٠ و ٣١ كانون الأول تبعتها جولة ثانية في نفس المدينة في ١٩ و ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٩ نشأ توتر داخل الحزب بسبب رغبة قاسملو الجامحة للتفاوض وانسحبت بعض الفصائل من الحزب وتوسط جلال الطالباني في الجولات الأولى من المفاوضات ولكن الذي حصل انه في ١٣ تموز ١٩٨٩ تم إغتيال قاسملو وممثله في أوروبا قادري ازار في فيينا على ايدي مبعوثين إيرانيين كانوا مشتركين في المفاوضات.

عبد الرحمن قاسملو ينتمي إلى عائلة معروفة وهو من مواليد ١٩٣٠ وابن لأحد رؤساء العشائر في الشمال الشرقي لكوردستان إيران. لجأ اولاً إلى فرنسا سنة ١٩٤٩ وبعدها سافر إلى جيكوسلوفاكيا حيث درس الاقتصاد وكان من النشطاء البارزين واصبح عضواً في الحزب الشيوعي الإيراني (تودة). قضى ١٥ عاماً في براغ، ترك صفوف تودة اثناء ربيع براغ ١٩٦٨ وكان مقتنعاً بإستحالة الحل العسكري للمسألة الكوردية وذهب ضحية اوهامه بأن في مقدوره إيصال المفاوضات مع طهران إلى نهاية مرضية.

دلت التحقيقات بوضوح على ضلوع المخابرات الإيرانية في إغتيال

قاسملو و صدرت مذكرات اعتقال بحق اثنين من الدبلوماسيين الإيرانيين اللذين غادرا النمسا على عجل بعيد إغتيال قاسملو. أما السلطات النمساوية فلم تشأ التورط في مسألة إغتيال قاسملو وسحبت نفسها من الموضوع. بذهاب قاسملو بقي KDP بدون ربان.

إيران مثلها مثل معظم الدول لا تثق بالبدو الرحل واستخدم رضا شاه الجيش لإسكان هذه القبائل ومعظمها غير كوردية لتستطيع الدولة السيطرة عليها. بالنسبة لعدد من العشائر الكوردية بدت هذه الإجراءات صارمة. أن عشيرة جلالي التي قسمت مناطقها بين إيران والإتحاد السوفييتي وتركيا رحلت قبل الحرب وأُبيدت. في ١٩٤١ عاد فقط ١٠,٠٠٠ شخص. أما عشيرة كالباغي التي رحلت إلى KDP همدان والمناطق المحيطة بها والى اصفهان فإنها حاولت التمرد عندما وزّعت الدولة اراضيها على المتكلمين بالتركية. إن هذه النهاية للعشائر الرحل وخاصة تلك التي تعبر الحدود في تنقلاتها وضعت قيوداً على التجارة التقليدية التي اخذت طابعاً آخر هو التهريب.

إن وضع نهاية لحالة التنقل أحدث توسعاً كبيراً في بناء القرى الجديدة (٧,٥٠٠ قرية) واحدث أيضاً تغييرات في طبيعة الحياة الإقتصادية والإجتماعية لكثير من الناس الذين تأثروا بهذه الإجراءات. إن برنامج الإصلاح الزراعي الذي طبقه الشاه أدى إلى إختفاء الملاكين الكبار الذين هم ورثة زعماء العشائر. أن سياسة إسكان البدو جلبت معها سياسة مصادرة الأراضي وإعطائها للآغوات الذين أصبحوا ملاكين كبار. فقد تمتلك العائلة الواحدة ٣٠٠ هكتار وبذلك استحوذ الرؤساء على ٦٠ ٪ من الأراضي الزراعية. أما الملاكون المتوسطون فان كل واحد منهم يملك حوالي ٣٠ هكتاراً ولم يشملهم قانون الإصلاح الزراعي وبقوا الأغلبية

السـائدة فـي النظـام الجـديد. إن زعـمـاء العـشـائر لم يكونوا دومـاً في تصادم مع الحكومة. على العكس من ذلك إن البعض منهم تحالف معها لضمان إمتيازات معينة مثل حقوق الرعي مثلاً. بالإضافة إلى ذلك فان رؤساء البلديات ونواب البرلمان كانوا عادة زعماء قبائل أو من ورثتهم. وأحياناًس كان العامل الديني يلعب دوره في ذلك. فمثلاً إن عدداً من القبائل الشيعية عقدوا تحالفات مع الحكومة ضد خصومها. لم يحدث إطلاقا برنامج إستثماري في كوردستان فطرق المواصلات في حالة يرثى لها والمبلطة منها هي التي لها اهمية عسكرية وتقع عادة بمحاذاة الحدود مع الدول المجاورة.

التركيبة الإجتماعية لكورد إيران

الكورد في إيران يعيشون في مناطق جبلية ومدنها تقع على ارتفاعات تزيد عن ١٠٠٠م عن سطح البحر. المناخ في كوردستان إيران قاري مع تباين كبير في درجات الحرارة وهي أقل جفافاً عن باقي اجزاء إيران. المنطقة الجبلية فيها تشغل حوالي اربعة ملايين هكتار من مساحة كوردستان البالغة الـ ١٢٥ الف كم مربع.

وبسبب التقسيمات الإدارية التي طبقتها الحكومات فان مصطلح كوردستان ينطبق على سننوج في حين إن قسما من اذربيجان وجنوب كرمنشاه هي أيضاً مناطق كوردية. وبما إن الحكومة لا تنشر إحصائيات عن عدد السكان فان التقديرات هي المعول عليها. الكورد يشكلون ١٥ ٪ من مجموع سكان إيران اي حوالي ٧ ملايين ومعدل نمو السكان فيها هو ٢,٨٪. توجد تجمعات كوردية خارج حدود كوردستان كتلك الموجودة في خوراسان ودركز وغوجال حيث نقل إليها الكورد من قبل الشاه عباس بداية القرن السابع عشر للدفا ع عن حدود الإمبراطورية. ويجدر بالذكر إن ١٥٪ من سكان كوردستان هم من الفرس و الاذريين. إن الكثافة السكانية في كوردستان هي ضعف الكثافة في باقي أجزاء إيران كرمنشاه هي اكثر تمدناً عن باقي كوردستان والمدنية تزحف بخطى متسارعة إلى المناطق الأخرى ومعدل الولادات ينخفض مع تقدم المدنية.

في الريف الكوردي يبلغ عدد أطفال العائلة الواحدة ستة أطفال

وينخفض هذا العدد إلى خمسة في المدينة. إن المدن الكوردية المهمة في كوردستان إيران هي مهاباد وسنندج وكرمنشاه. وبالإضافة إلى دورها التاريخي في ١٩٤٦ فان مهاباد مركز مدني مهم ونقطة التقاء عدة طرق وتسيطر على طريق تبريز- رواندوز وتطلعاتها كانت دائما نحو الداخل الإيراني وكانت ارتباطاتها مع اذربيجان والموصل دوماً ضعيفة. أما كرمنشاه فهي عاصمة إقليم يحمل نفس الأسم وشهدت تطوراً كبيراً نهاية القرن التاسع عشر وهي اليوم بسكانها البالغ عددهم مليون نسمة اهم مدينة كوردية ومعظم سكانها هم من الشيعة واختفت فيها مظاهر البداوة بإستثناء عشائر صغيرة وقليلة. اقتصاد كوردستان معتمد بشكل رئيسي على الزراعة حيث إن اكثر من نصف السكان لايزالون يمارسون مهنة الزراعة. أما الصناعة فان قطاع النفط هو الوحيد من بين جميع القطاعات الذي شهد تطوراً. إن صناعة مواد البناء مهمة ولكن الصناعات التي تعتمد التكنولوجيا الحديثة غير موجودة. دخل الفرد الكوردي هو دون المعدل العام. في ١٩٧٥ بلغ هذا الدخل ١٥٠ دولار وأرتفع إلى ١,٣٤٠ دولار بعد إرتفاع اسعار النفط. ولعدم وجود صناعة متطورة فان عدد العمال الصناعيين قليل وبسبب قلة فرص العمل فقد تزايدت اعداد المهاجرين إلى المدن الأكثر غنى مثل طهران واصفهان وخوزستان وبذلك تخسر كوردستان القسم الأكبر من قواها المنتجة لتستفيد منها المراكز الصناعية خارجها.

أما الرعاية الصحية فان كوردستان تعاني نقصاً في الكادر الصحي وعدد الاطباء فيها اقل من باقي الأجزاء والأمراض المستوطنة مثل الملاريا والسل الرئوي منتشرة فيها. وبما إن التعليم بالكوردية محظور فالأطفال يتلقون تعليمهم بالفارسية. كما أن عدد المدارس لايفي بالحاجة.

ومشـاهدة معلم واحـد يقوم بتـعليم ٢٥٠- ٣٠٠ تلمـيذ منظر مـألوف في الريف. كثير من الأطفال لا يلتحقون بالمدارس إطلاقاً ومعدلات الأمية عـاليـة وعلى الاخص في الريف. في ١٩٧٥ كـان اكـثـر من ٧٠ ٪ من السكان أُميين. وبلغت النسبة بين النساء ٨٠ ٪ وغاب واحد من كل اربعة ذكور واثنتان من كل خمس نساء عن المدارس، أما في المدينة فنسبة الأُميين كانت ٤٠٪ ونسبة النساء كانت ٦٠٪. المثقفون الكورد يعبرون عن انفسهم بالفارسية لانها اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد. وعلى الرغم من حظر التعليم بالكوردية فان هنالك محطة للبث الإذاعي في كرمنشاه تبث بالكوردية. لقد كان تأثير العراق حيث يسمح للطبع بالكوردية، كبيراً في إحياء الثقافة الكوردية في المناطق الكوردية خارج العراق.

الكورد في سوريا

لم يجرِ إحصاء لمعرفة اعداد الكورد في سوريا ويمكن تقدير العدد بمليون نسمة اي حوالي ١٠ ٪ من مجموع السكان. ويسكن ١٪ منهم في المدن العربية وعلى الاخص في دمشق وحلب ويوجد حي كوردي في دمشق ويوجد عدد اقل في حماه وغالبيتهم يتمركزون في الجزيرة وجبل سامان وازه وهي مناطق محددة المعالم غير انها ليست متصلة ببعضها البعض إذ تفصل الواحدة عن الأخرى مساحات مأهولة بالعرب وعليه فلا توجد في سوريا كوردستان بالمعنى الدقيق للكلمة. وبما أن عرب الجزيرة كانوا رحلا فان الكورد وبمساعدة النازحين إليها من تركيا حولوا هذه المنطقة إلى منطقة زراعية غنية وأكثر من نصف الكورد يقيمون في الجزيرة والعرب يتمركزون في القسم الجنوبي منها.

بين الكورد يوجد عدد قليل من الإيزيديين وهم يعيشون عند بحيرة خاتون. إن المنطقة الواقعة حوالي عين العرب إلى الشمال الشرقي من حلب هي منطقة كوردية بالكامل ويعيش فيها حوالي ٨٠,٠٠٠ كوردي ويعيش حوالي ٣٥٠,٠٠٠ في المنطقة الجبلية المسماة (كوردا غ) اي جبل الكورد وتقع إلى الشمال الغربي من إنطاكية. إن هذه الكثافة السكانية العالية سببها الزراعة الجبلية المنظمة المزدهرة.

الكورد في سوريا مندمجون في المجتمع بشكل جيد. وهم كمسلمين تمتعوا بذات الحقوق التي هي للعرب.

كانت الأرستقراطية العسكرية التركية والكوردية هي المهيمنة على

المجتمع في العصور الوسطى وكان الامير الكوردي صلاح الدين هو الذي احرز النصر الحاسم على الصليبيين في القرن الثاني عشر.

اثناء الإنتداب الفرنسي كان بإستطاعة الكورد النشر في سوريا بلغتهم بدون عائق. وبعد جلاء القوات الفرنسية بقيت القومية العربية والكوردية على علاقات جيدة. أن الحركة القومية العربية التي لاقت تأييداً واسعاً بين الطبقات الوسطى بقيت تعارض أي إعتراف بالحقوق القومية للكورد رغم عدم إتخاذ إجراءات قمعية مشددة بحقهم وسمحت للكورد بنشر الأعمال الأدبية الكوردية بلغتهم. الأطفال يتلقون تعليمهم بالعربية ولكن تعلم الكوردية خارج المدرسة لم يكن محظوراً.

إن KDP السوري تأسس عام ١٩٥٧ أي قبل وصول البعث إلى الحكم ومنذ ١٩٥٦ كانت حركة الناصريين قوية وبدء ترهيب وقمع الكورد. بدء الهجوم على الكورد في المقاهي وتم تحطيم جميع التسجيلات الكوردية وأصبح مجرد إمتلاك مطبوعة كوردية جريمة يعاقب عليها القانون بالسجن.

كانت الشخصية البارزة في KDPS هو نورالدين زازا وهو ينحدر من عائلة متوسطة الحال من شرق الأناضول. تشتتت العائلة بعد ثورة شيخ سعيد ١٩٢٥- ١٩٣٠. قضى طفولته في دمشق وكان تلميذاً في المدرسة الفرنسية (ليسي) أُلقي القبض عليه في العراق واودع السجن في ١٩٤٤ عندما حاول الإلتحاق بقوات البارزاني. وبعد إنهاء دراسته الجامعية في لبنان سافر إلى لوزان واسس اول إتحاد للطلبة الكورد هناك. عاد إلى دمشق في ١٩٥٦. وفي ١٩٥٧ وضع أسس KDPS. أُلقي القبض عليه في ١٩٦٠ وحكم عليه بالموت ولكن تم الإفراج عنه بسبب حملة دولية دافعت عنه. بعد سنة ونصف من خروجه من السجن توجه إلى لبنان

ومنه إلى الأردن حيث أُلقي القبض عليه وتم تسليمه إلى سوريا التي أودعته السجن. وعندما افرج عنه غادر سوريا وذهب إلى سويسرا وبقي فيها إلى ان مات بداء السرطان في ١٩٨٨.

ومن بين المؤسسين الآخرين البارزين هنالك الشاعر عثمان صبري وحميد حاج درويش والشيخ محمد عيسى وهم جميعا من عائلات معروفة. كان نورالدين زازا اول رئيس لـ KDPS. ومن أنشطة الحزب توزيع النشرات بالكوردية والعربية وتجنيد النشطاء. عارض الحزب الوحدة بين سوريا ومصر لأنها في نظرهِ تمثل الإيديولوجية العربية المتطرفة وناضل ضد تهميش الكورد في المجتمع. لم تبق انشطة الحزب سرية لأمد طويل. ففي الخامس من آب ١٩٦٠ قامت الشرطة السرية بإعتقال وتعذيب قادة اللجنة المحلية في حلب وتم تدمير تنظيماته بشكل تام. أُعتقل حوالي ٥,٠٠٠ كوردي وكان من بينهم نورالدين زازا وعثمان صبري ورشيد عمو الذي كان في السابق عضوا في الحزب الشيوعي.

في ايلول ١٩٦١ انفصمت عرى الوحدة مع مصر وجرت انتخابات برلمانية تمكن فيها الشيخ محمد عيسى من الفوز ليصبح نائبا في البرلمان. أما بخصوص نورالدين زازا فقد الغي انتخابه وترك سوريا في ١٩٦٣ وقاد الحزب من بعده حميد حاج درويش الذي افلت من الاعتقال في ١٩٦٠ ولكن ليعتقل في ١٩٦٥ وافرج عنه بعد عشرة اشهر واتهم من قبل انصاره بالتعاون مع الحكومة ضد الحزب.

في الستينيات كان الكورد منتمين إلى KDPS ومستقلين وكانوا جميعاً مطاردين. وثيقة للشرطة السرية في الجزيرة ومن قبل المسؤول محمد طلب هلال تكشف بوضوح العقلية السائدة للقادة العرب في تلك الفترة. إقترح هلال على المسؤولين ترحيل الكورد من الجزيرة وإحلال العرب مكانهم.

وقبل هذه الوثيقة التي نشرت في ١٩٦٣ كان مرسوم حكومي في ٢٣ آب ١٩٦٢ قد قرر إجراء عملية إحصاء في الجزيرة لمنع تسلل الكورد إليها من تركيا. وبعد عملية الإحصاء تم تجريد ١٢٠,٠٠٠ كردي من جنسيتهم السورية وهم بدونها لايستطيعون مراجعة المستشفيات ولا الزواج بشكل رسمي ولا التوظف في دوائر الدولة ولكن عليهم اداء الخدمة العسكرية وارسل العديد منهم إلى هضبة الجولان في ١٩٦٧ لمواجهة القوات الإسرائيلية.

ولغرض تطبيق سياسة التعريب وضعت الحكومة خطة الحزام العربي ويتطلب تطبيقها طرد السكان الكورد من الشريط المحاذي للحدود التركية وإحلال العرب محلهم. إن اكتشاف النفط في قرجوك في قلب المنطقة الكوردية من المحتمل ان يكون أحد الأسباب لتهجير الكورد منها.

حزب البعث والكورد في سوريا

بعد إستيلاء البعث على مقاليد الحكم في سوريا عام ١٩٦٣ تحول وضع الكورد من سيء إلى أسوأ فخطة الحزام العربي لازالت قائمة والهدف من الإصلاح الزراعي كان بالدرجة الأساس طرد الكورد من مناطقهم وليس التوزيع العادل للأرض. أن إقامة سد طبقة جعل إسكان العرب على أراضي الفلاحين الكورد ممكناً وفي عام ١٩٧٥ كان المخطط هو إسكان ٧,٠٠٠ عائلة عربية في المنطقة قبل ان يقوم حافظ الاسد بوقف هذا المخطط. ولم يكن في مقدور KDPS مقاومة هذه السياسة وخاصة هو نفسه يعاني من الضعف بسبب الإنقسامات والقمع الواقع عليه. حدث إنشقاق فيه سنة ١٩٦٥ بسبب خلاف بين عثمان صبري وحميد حاج درويش وكان هذا الخلاف انعكاساً للخلاف داخل KDPI حيث كان جلال الطالباني يقف مع حميد حاج درويش الذي يعارض البارزاني الذي ناصر عثمان صبري. رغم محاولات البارزاني الحثيثة لمنع المزيد من التصدع فيه فأن إنشقاقاً ثانياً حصل في الحزب الديمقراطي الكوردستاني السوري عندما قام دحام ميرو بتأسيس حزب آخر يحمل نفس الاسم. كان دحام ميرو من المقربين إلى البارزاني واستطاع ان يجذب إليه عددا كبيرا من الذين تركوا الحزب القديم بسبب الخلافات فيه وإنضم محمد عيسى وحميد سيفو إلى دحام ميرو. وفي عام ١٩٧٢ وبعد اعتقال معظم قيادييه فان نشاط الحزب أشرف على النهاية.

الكورد في ظل حكم حافظ الأسد

بعد إستيلائه على السلطة عام ١٩٧٢ تحسنت أحوال الكورد نوعاً ما. فالرئيس السوري إحتاج إلى الكورد لأسباب داخلية وأخرى خارجية. أما الداخلية منها فأن السلطة وبما انها بأيدي أقلية صغيرة (العلويون) فانه من مصلحة هذه الأقلية رعاية الأقليات الأخرى مثل الكورد. ولربط هذه الأقلية بالسلطة عمد حافظ اسد إلى خلق ميليشيات كوردية إستخدمها في القمع ضد الإخوان المسلمين في حلب عام ١٩٨٠ وفي حماه عام ١٩٨٢.

أما الخارجية فإنها تتلخص في كون الكورد أقلية صغيرة لا تشكل خطراً على النظام ولكن يمكن إستخدامها كورقة سياسية رابحة لزعزعة أوضاع الدول المجاورة إذا تطلب الموقف السياسي ذلك. النزاع السوري التركي تعود جذوره إلى ١٩٣٩ عندما الحق الإنتداب الفرنسي لواء الاسكندرونة بتركيا.

إن قيام تركيا بإنشاء سد اتاتورك الضخم على نهر الفرات يحرم سوريا من نصف كميات المياه الآتية من نهر الفرات وتستطيع تركيا استخدام السد كورقة ضغط رابحة ضد سوريا.

في عام ١٩٨٧ وقع البلدان إتفاقية تقوم سوريا بموجبها بغلق قواعد PKK على أراضيها مقابل ضمانات تركية بتزويد سوريا بكميات الماء الضرورية. عملياً قام PKK بنقل قواعده من سوريا إلى سهل البقاع اللبناني الخاضع للسيطرة السورية ورفضت سوريا تسليم عبد

الله اوجلان إلى تركيا الأمر الذي افرغ الإتفاقية من مغزاها.

إن العداء المستحكم بين حزبي البعث العراقي والسوري يفسر الدافع الذي حدا بسوريا تقديم العون للكورد الثائرين ضد بغداد. سوريا اعطتهم نوعاً من التمثيل الدبلوماسي كما إنها اعطتهم ممراً آمناً يربط كوردستان العراق بباقي أجزاء العالم الخارجي.

إن سياسة الإعتدال السورية النسبية تجاه الكورد السوريين لم ترق إلى درجة منحهم حقوقاً قومية وثقافية. فالنشر بالكوردية محظور. كما أن الحكومة منعت الكورد من الإحتفال بعيد رأس السنة الكوردية (نوروز) وادى المنع هذا إلى وقوع مصادمات بين الكورد والشرطة وسقوط عدد من القتلى والجرحى. وفي آذار عام ١٩٩٠ قامت الشرطة بتفريق مظاهرة قام بها عدد من الكورد الذين كانوا قد جردوا من جنسيتهم ومنعتهم من الوصول إلى القصر الرئاسي لتقديم مطالبهم بإعادة الجنسية إليهم.

جاءت هذه المظاهرة بعيد الإنتخابات التي جلبت معها نوعا من الإرتياح السياسي. ارتفع عدد مقاعد المستقلين من ١٨٪ إلى ٤٠٪ وذهبت المقاعد الأخرى إلى الائتلاف الذي تزعمه البعث. وفي هذه الإنتخابات أبلى الكورد بلاءً حسناً وحصلوا على ١٥ مقعدا. ثلاثة مقاعد للقائمة التي ساندتها التنظيمات السياسية الكوردية.

وهؤلاء الثلاثة هم كمال احمد رئيس KDPS وحميد حاج درويش رئيس الديمقراطي التقدمي السوري وفؤاد عقو ممثل الحزب الشعبي الكوردي السوري. أما الفائزون الآخرون فقد كانوا من التجمعات الكوردية في دمشق والمناطق الكوردية الأخرى.

إن هذا النجاح السياسي كان لابد له وان ينعكس على العلاقة القائمة

بين قادة الأقلية الكوردية والحكومة السورية. ويبقى هنا ان نقول بان الخطر سيبقى باقيا يهدد الكورد وإنهم سيدفعون ثمنا باهضاً جدا لتحالفهم وارتباطهم بالنظام إذا ما قدر للاغلبية السنية في سوريا ان تتولى السلطة في يوم من الايام. افلا يكون ردهم نحوهم عنيفا بل وانتقاميا ؟ لا احد يستطيع ان يضمن عكس ذلك.

الخاتمة

في الغـرب الأوروبي وحـتى ظـهور القـومـيـة الحـديثـة مع مـجيء الثـورة الفرنسية وفي الشرق الإسـلامي وحتى ظهور نتائج الحرب الأولى كانت الأقليـات تصنف على أُسس دينيـة. بالنسـبـة إلى كـثـيـر من الفـرنسـيين البـروتسـتـانت كـان الأمـر اهم إليـهـم ان يكونوا أحـراراً في ممارسـة طقوسهم الدينية من ان يكونوا رعايا الملك لويس الرابع عشر. إن هـجرة هكيونوت Huguenot عقب إلغـاء مرسـوم نـانتي في ١٦٨٥ اسـتـمرت من بداية القـرن الثـامن عـشـر حـتى منتـصف القـرن التـاسع عـشـر كـانت الإمبراطورية العثمـانيـة تبدي نوعا من المرونة تجاه اقلياتها المسيحية واليهودية التي كانت تتمتع بنوع من الإستقلالية في نظام (ملّت) millet. أمـا بـالنسـبـة للمـسلمين وبغض النظر عن اصـولهم العـربيـة والكوردية والالبانية فأنهم جميعاً من أُمة المؤمنين (الأمة س).

في أوروبا فأن القومية الحديثة في المانيا وايطاليا لم تأخذ شكل الدولة إلا في منتـصف القـرن التـاسع عـشـر. وفـي أوروبا الوسطى وحـوض الدانوب فـان معظم الدول ظـهرت بعد تفكك إمبـراطورية آل هابسـبورغ وبقي عدد قليل تحت السيطرة العثمـانية حتى إندلاع الحرب الأولى. إن القـوميـة فـي كثـير من أجزاء البلقان والقـوقاز وآسـيـا الصـغـرى وهلال الخصيب فإنها ظهرت في نهاية القرن التـاسع عشر وتسارعت الأحداث بعد الحرب بشكل مثير. أما فيما يتعلق بحقوق الأقليات كما نفهمها نحن اليوم اي الحقوق الثقافيـة واللغوية وكذلك بالنسبة للأقليات الدينيـة فان

هذه الحقوق لم يرد لها ذكر إلا بعد الحرب الأولى. المادة ٦٢ من بنود مؤتمر برلين ١٨٧٨ اشترطت على الحكومة العثمانية التقيد بمبدأ حرية الأديان. لأول مرة يتطرق مؤتمر إلى مشكلة الأقليات من وجهة نظر غير دينية. ففي البند الرابع من مواده المتعلقة ببلغاريا. اشترط على انه في المناطق التي يعيش فيها البلغار والترك واليونانيون والرومانيون معاً ان تؤخذ حقوق هذه الأقليات غير البلغارية بنظر الإعتبار. غير أن التوصيات بقيت غامضة إذ كانت الدعوة إلى حماية هذه الأقليات وليس حماية حقوقها. على كل حال في ١٨٧٨ وفي ١٩١٨ حصلت إخفاقات كبيرة في مسألة حماية هذه الأقليات. فهذه مجازر الأرمن بين ١٨٩٥ و١٨٩٦ تحت حكم السلطان عبد الحميد وكذلك تلك التي وقعت بين ١٩١٥ و ١٩١٦ ايام ضعف الإمبراطورية العثمانية. لقد نفذ صبر شعوبها ودفعت الأقليات اثماناً باهظة الترحيل الجماعي للارمن من الاناضول وإبادتهم اثناء الترحيل وإبادة اليونانيين من بونتس (ontus) وترحيل ومجازر الأشوريين والأقليات المسيحية الأخرى من الاناضول. وحتى إلى فترة ما بعد الحرب الأولى فان المفاهيم بخصوص الأقليات بقيت مرتبطة بوضع هذه الأقليات الديني. إن تبادل السكان بين تركيا واليونان بعد هزيمة الأخيرة في الحرب ١٩٢٢ جرى على أُسس دينية حيث تم تبادل ٦٥٠,٠٠٠ مسلم مقابل ١,٢٠٠,٠٠٠ مسيحي. وفي الحقيقة كان الكثيرون من هؤلاء المسلمين يتكلمون اليونانية وليس التركية ويصح ذلك على المسيحيين المقيمين في تركيا إذ كان الكثيرون منهم يتكلمون التركية وليس اليونانية.

إن معاهدة لوزان ١٩٢٣ تطرقت إلى الأقليات الدينية غير المسلمة مثل الأرمن واليونانيين الذين بقوا بأعداد صغيرة في تركيا والى اليهود في

حين أنها لم تتطرق إلى الكورد كأقلية قومية ولغوية ولم تتطرق إلى الأقليات غير السنية مثل العلويين. في ١٩٨٨ فقط جاء ذكر الكورد كأقلية قومية عندما اعلن ريجارد شيفتر مساعد وزير الخارجية الاميركية لحقوق الإنسان والشؤون الإنسانية ان الكورد ومع عدم ذكرهم في معاهدة لوزان فان اميركا تعتقد بأنهم يؤلفون أقلية قومية حسب القانون الدولي. أما على الصعيد الدولي فان نقطة التحول في حقوق الإنسان وحماية الأقليات قد حدثت بعد الحرب الأولى.

أما الرئيس الاميركي وودرو ويلسن ١٩١٨ فقد خرج على العالم ببرنامجه المكون من ١٤ نقطة ودعا إلى حق تقرير المصير للشعب الأرمني وشعوب الإمبراطورية الهنغارية النمساوية. إلا انه لم يتطرق إلى حق الشعوب التي ترزح تحت حكم الاستعمار. إن سقوط إمبراطورية آل هابسبورغ ادى إلى ظهور دول مثل جيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولندا والى الشمال منها كانت هنالك فنلندا وثلاث دول بلطيقية. وتم الإتفاق على حدود أرمينيا المستقلة في معاهدة سيفرز ولكن هذه الحدود لم تطبق بشكل رسمي. ومعاهدة سيفرز دعت إلى إقامة دولة كوردية على المناطق التي تسكنها غالبية كوردية وكانت ضمن الإمبراطورية العثمانية. إن الدول التي ظهرت في اوروبا كانتا بعيدة عن التجانس القومي. فبعد ترسيم الحدود للدول الجديدة ظهر في وسط اوروبا وحوض الدانوب وكذلك في منطقة البلطيق وجود ٣٠ مليون شخص ينتمون إلى اقليات. ووجدوا إن ٦٢٪ فقط من البولنديين يقيمون في بولندا وضمت جيكوسلوفاكيا ٦٤٪ فقط من الجيك والسلوفاك وضمت رومانيا ٧٠٪ فقط من الرومانيين. وتوزع الاوكرانيون بين ٣ دول. إن عصبة الأمم لم تعط تعريفاً دولياً لحقوق الأقليات واكتفت بمعالجة حماية الأقليات مسألة

بمسألة على حدة.

ومهما يكن الأمر فان عدداً من الاحكام تم إستخلاصها فيما يتعلق بالقوميات في اوروبا بإستثناء الإتحاد السوفيتي وأيضاً تلك التي تخص العراق بعد ١٩٢٣ وتضمنت حق عدم التمييز في إشغال الوظائف وحق إستعمال لغة الأم في التعاملات الخاصة والعامة وحق التعلم بلغتهم وطلب من الدول المعنية بالأمر تزويد المدارس والمعاهد العليا للأقليات بالمستلزمات المادية الضرورية.

عصبة الأمم هي المسؤولة عن ضمان وحماية هذه الحقوق ولها القوة الشرعية المتمثلة في محكمة العدل الدولية لفض النزاعات المتعلقة بالأقليات.

مرة أخرى نجد إن وضع الأقليات المحمية مبدئياً بالقانون ينقلب بشكل مأساوي. في ١٩٢٤ ضربت بولندا ببنود معاهدة السلام الخاصة بالأقليات عرض الحائط وفي تركيا منع الكورد من استخدام لغتهم وحقوقهم الثقافية. وفي سابقة لا مثيل لها في سجلات القرن العشرين التاريخية يحدث إنكار وجود قومية كوردية في تركيا ولم ينته هذا الأمر الغريب إلا في ١٩٩١. إن غمط الحقوق والتمسك بنظام جمهوري صارم كانا السبب في إشعال فتيل ثلاث ثورات كوردية في (١٩٢٥ و ١٩٣٠ و ١٩٣٦- ١٩٣٧) ومر الكورد اثناءها بويلات ومآسي وتهجير وبقيت المناطق الكوردية مغلقة في وجه الأجانب حتى ١٩٦٥ وعملت تركيا ولعقود طويلة في الكورد قتلاً وسجناً وتدميراً وتشتيتاً.

أما في العراق فان الكورد الذين يؤلفون نحو ٥٨ ٪ من سكان ولاية الموصل التي الحقتها بريطانيا بالعراق لإحتوائها على النفط فانه لم يؤخذ برأيهم حول مستقبلهم. أن مبدأ حماية الأقليات الذي كفلته عصبة الأمم

سرعان ما اصطدم بمبدأ سيادة الدولة واصبح هذا المبدأ أمانة في عنق كل دولة وليس لأحد من سلطان عليها. في الفترة مابين الحربين كانت المانيا الهتلرية سبباً في كل المشكلات للأقليات. وفي أماكن أخرى مثل رومانيا والمجر وبولندا فقد استخدمت السياسة المعادية للسامية من قبل القوميين المتعصبين والفاشيين من الحكومات والحركات السياسية. ابيد نحو خمسة ملايين يهودي ومئات الالوف من الغجر من قبل النازيين وبعد اندحار هتلر حدثت موجات هجرة حيث تم طرد ١٣ مليون الماني من الإتحاد السوفيتي وبولندا جيكوسلوفاكيا ودول البلطيق ودول اوروبية أخرى بعد تعديل الحدود فيها. أما الفترة التي تلت الحرب الثانية فلم تكن مواتية لسن تشريعات تحمي الأقليات. إن الأزمات التي أثارتها المانيا الهتلرية حول الأقليات الجرمانية وخاصة المان سوديتني بقيت في الأذهان. إن حقوق الافراد تعتبر مضمونة إذا ما احترمت حقوق الإنسان. إضافة إلى ذلك فان مشاكل الأقليات القومية واللغوية والدينية كانت قد عولجت بعدد من المواد في القانون الدولي. والمواد التي لم تستطع أية منظمة تطبيقها هي تلك التي تعالج مشاكل داخلية للدول وتصطدم بمبدأ سيادة الدولة.

على أيةِ حال إذا وضعنا الصراع الغربي- الشرقي جانباً فان تحرير الاقاليم التي ترزح تحت النفوذ الاستعماري في آسيا وإفريقيا كان مركز الاهتمام العالمي بعد الحرب الثانية.

بعد الحرب الأولى كان حق الشعوب في الإستقلال إمتيازاً اوروبيا. أما بعد الحرب الثانية اصبح هذا الحق إمتيازاً بيد الشعوب المستعمرة. كانت فترة ١٩٤٧- ١٩٦٢ اكثر الفترات نشاطاً في إنهاء الإستعمار. وبدأت المشاكل المتعلقة بالأقليات تطفو على السطح من جديد وهي موجودة على

المسرح الدولي منذ ذلك الوقت. فهنالك مسألة كورد العراق منذ ١٩٦١ وجنوب السودان واريتريا في ١٩٦٢ والتبت والتاميل في سريلانكا وكذلك مسألة السيخ. وظهرت مشاكل الإضطهاد والتمييز ضد الأقليات في حوض الدانوب وأجزاء من البلقان وهنالك مشاكل البان كوسوفو ومشاكل البلغاريين في ترانسلفانيا في رومانيا ومشاكل الترك في بلغاريا. وظهرت مشاكل مشابهة في الإتحاد السوفيتي مثل تتار القرم ومسك في اوزبكستان والأرمن في قراباغ. في ١٩٦٦ اشترطت الجمعية العامة في المادة ٢٧ من الميثاق الدولي لحقوق الإنسان السياسية والمدنية على الدول التي تحوي أقليات عرقية او لغوية او دينية ضمان حقوق هذه الأقليات الثقافية والدينية.

إن شروط المادة ٢٧ اعتبرت الحد الأدنى للتعبير عن حقوق الأقليات الثقافية والقومية. على أية حال هنالك ادلة وبراهين للتمييز والظلم ضد الأقليات في كثير من بلدان العالم التي لا يوجد فيها نظام ديمقراطي. إن مصير الأقلية مرهون بيد الدولة التي تحوي هذه الأقلية او بمدى ديمقراطية هذه الدولة. في نصف قرن من الزمن لم تحقق محكمة العدل الدولية في أيةِ مشكلة للأقليات. في ١٩٧٥ اثارت اتفاقية هلسنكي جملة من النقاط والتساؤلات حول حماية حقوق الأقليات. وبعد هذا كله في غياب الديمقراطية او عندما تنتهي إحدى الديمقراطيات فان القمع والتمييز الثقافي للاقليات سيستمر دون ظهور بوادر بزوال هذا الظلم في الامد القريب.

في حزيران ١٩٨٩ نشر مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي لائحة بحقوق الأقليات القومية وأصبحت خطوة متقدمة في القانون الدولي. إن الأمم المتحدة تسعى جاهدة لتحقيق شيء أكبر من الحد الادنى لحقوق

الأقليات. إلا إن جوهر الموضوع لا يكمن في الحقوق الممنوحة للأقليات بل في الإجراءات التي يمكن بواسطتها الدفاع عن القانون الذي يحمي الأقليات.

ماهي الإجراءات التي يمكن إتخاذها ضد دولة تنتهك وعلى رؤوس الاشهاد الحقوق الممنوحة للأقليات ؟ هذا السؤال الواجب طرحة إذا كنا لانريد لأنفسنا فقط مهمة تسجيل الخروقات وعدد الضحايا. إذا وجد دليل يثبت إن دولة خرقت القوانين المتعلقة بالأقليات تلك القوانين التي الزمت هي نفسها طوعا باحترامها وبمحض إرادتها يوم هي أصبحت عضوا في الأمم المتحدة فلماذا لا تقوم الدول الأخرى الأعضاء في الأمم المتحدة بمقاطعة هذه الدولة على نحو ما فعلته الدول مع جنوب افريقيا؟ بعد إنقضاء الحرب الباردة ألم يحن الوقت للتفكير في وجوب إحراز تقدم في مجال حقوق الإنسان؟ ولكن يجب إن لا تنحصر الإجراءات في الدعاية والإعلان. علينا إتخاذ إجراءات جريئة صارمة إذا كنا حقاً جادين في تجنب نزاعات قوية في المستقبل.

قرار ٦٨٨ الصادر عن الأمم المتحدة

مجلس الأمن:

إدراكاً من المجلس للمسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتقه بموجب ميثاق الأمم المتحدة تجاه السلم والأمن الدوليين واضعاً نصب عينيه المادة ٢ من البند السابع من الميثاق ولقلقه البالغ حيال ما يحدث للمدنيين العراقيين من قمع في كثير من مناطق العراق التي يسكنها الكورد الأمر الذي تسبب في تدفق موجات للاجئين نحو الحدود الدولية وبشكل يهدد السلم والأمن الدوليين وبسبب المعاناة البشرية التي ينطوي الأمر عليها وبعد اخذ الرسائل المقدمة من قبل ممثلي تركيا وفرنسا لدى الأمم المتحدة والمؤرخة في ٢ نيسان ١٩٩١ و ٤ نيسان ١٩٩١ على التوالي ومؤكدين التزام جميع الدول بوحدة وسيادة العراق فان المجلس:

١- يدين قمع المدنيين العراقيين وخاصة أعمال القمع الأخيرة في المناطق الكوردية والتي باتت تهدد السلم والأمن الدوليين في المنطقة.

٢- يطالب العراق بإزالة كل تهديد للسلم والأمن الدوليين وذلك بوقف هذا القمع في الحال ويامل في إجراء حوار مفتوح لضمان الحقوق الإنسانية والسياسية لجميع العراقيين.

٣- يصر على أن يسمح العراق حالا بحرية وصول المنظمات الإنسانية الدولية إلى كل المحتاجين إلى المساعدة وفي جميع اجزاء العراق وتقديم التسهيلات لاداء عملها.

٤- يطلب من السكرتير العام متابعة جهوده الإنسانية في العراق وتقديم تقرير إلى المجلس بعد إيفاد بعثة إلى المنطقة للإطلاع على أوضاع العراقيين وعلى الأخص الكورد منهم الذين يعانون من القمع على أيدي قوات النظام العراقي.

٥- يطلب من السكرتير العام إستخدام كافة الموارد التي هي تحت تصرفه بما فيها العائدة إلى وكالات الأمم المتحدة لتلبية الإحتياجات الملحة للاجئين والمشردين العراقيين.

٦- يهيب بالدول الاعضاء التعاون مع السكرتير العام في هذا الخصوص.

٧- يبقى المجلس على اتصال بالموضوع.

قرار البرلمان الأوروبي

لمقترح قدمه كل من:

١- السيدة دوري عن المجموعة الاشتراكية.

٢- السيد باندرز والسيدة كاسان ماكناكو عن حزب الشعب الاوروبي

٣- السيد بيرننس والسيد كالفو اورتيكا عن المجموعة الليبرالية الديمقراطية للإصلاح.

٤- السيد كريستوفر جاكسون والسيد ماكميلان سكوت عن المجموعة الديمقراطية الاوروبية.

٥- السيدة روث والسيد لانجر عن مجموعة الخضر.

٦- السيد كولاجاني عن اليسار المتحد.

٧- السيد دي لامالن عن التحالف الديمقراطي الاوروبي.

٨- السيد فاندميول بروك والسيد يونج عن مجموعة قوس قزح.

٩- السيد بيكيت عن وحدة اليسار

مقترح موضوع عن الكورد وقُبِل بالإجماع من قبل البرلمان الاوروبي آخذاً في الحسبان قرارات الأمم المتحدة- مجلس الامن. وآخذاً في الحسبان نتائج المجلس الأوروبي في ٨ نيسان ١٩٩١ في لوكسمبورغ.

ا- بما أن القوات التابعة لصدام حسين تحاول إبادة الكورد.

ب- أخذين بنظر الاعتبار الأعمال التعسفية بما فيها أعمال التعذيب ضد السكان بما فيهم الأطفال في العراق.

ج- وحيث إن الالوف يموتون من القصف المدفعي وقصف المناطق الكوردية.

د- ولجسامة المعاناة لألوف اللاجئين الكورد الهائمين على وجوههم في الجبال بدون مأوى وهم في فقر مدقع وإعتماداً على الأنباء المروعة التي تناقلتها المنظمات الخيرية الإنسانية المتواجدة هناك وحيث يموت الألوف ومعظمهم من الأطفال بسبب المرض والجوع والبرد والجروح التي أصيبوا بها وان مئات آخرين في طريقهم إلى الموت.

هـ- ولقيام الجيش العراقي بتنفيذ عمليات الإعدام بين الشيعة في جنوب العراق.

و- وبما إن اعضاء التحالف المعارض لصدام يعتقدون ان التحرك لإسقاط صدام سيكون موضع التقدير.

ز- يشعر المجلس بانه ولحين إيجاد حل سياسي للمسألة الكوردية فان الخطر سيبقى يهدد السلم والامن في المنطقة لذا فانه :

١- يشجب وبشدة محاولات إبادة الكورد من قبل نظام صدام حسين وقمع الشعب العراقي.

٢- يطلب وضع حد للهجمات على السكان فوراً وتؤكد الحاجة إلى بقاء حصار الأمم المتحدة على العراق طالما إستمرت أعمال القمع ضد الكورد والعراقيين.

٣- يؤيد الاقتراح المقدم إلى المجلس الأوروبي لخلق منطقة آمنة مؤقتة لضمان سلامة الكورد والمشردين في العراق ويشعر بالقلق من إطالة هذا الموقف ويؤيد المقترح المتخذ سابقاً بتوفير المساعدة للكورد على أن تكون هذه المساعدة كافية ومؤثرة ويرحب البرلمان بقرار الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا إرسال قوات إلى العراق لضمان أمن هذه المناطق.

٤- يناشد كلاً من تركيا وإيران تسهيل وصول المساعدات إلى الكورد وفتح حدودهما أمام اللاجئين والمنظمات الدولية غير الحكومية كما يهيب بالمجتمع الدولي مساعدة كل مجهود ينصب في هذا الإتجاه.

٥- يؤكد على المسؤولية المعنوية للأمم المتحدة وإذا تطلب الأمر تعديل ميثاقها ليكون في مقدورها الذهاب إلى ابعد من الحدود الدولية وتطوير أسلوب منع الحكومات الجائرة من إرتكاب مجازر إبادة.

٦- يرى إن ما يحدث للشعب الكوردي يرقى إلى مستوى الإبادة الجماعية حسب ميثاق المنظمة الدولية لسنة ١٩٤٨ يهيب بالأعضاء وضع القضية أمام محكمة العدل الدولية لتأكيد أن اعمال الإبادة هذه مستهجنة ومرفوضة.

٧- يأمل في وضع المسألة الكوردية على جدول اعمال مؤتمر الشرق الاوسط للسلام مع مشاركة جميع الدول المعنية بالموضوع وبحضور ممثلين عن الكورد لضمان الاعتراف بحقهم في الوجود والحكم الذاتي في جميع الدول التي يقنطونها.

٨- يرحب بقرار مجلس الامن المرقم ٦٨٨ حول وضع الكورد في العراق ويأمل إن يقوم مجلس الامن باتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامة وامن الكورد وتمكين اللاجئين الكورد من العودة إلى بيوتهم مع إعطاء

ضمانات بأنهم لن يصبحوا ضحية للقمع مرة أخرى.

٩- يصر على عدم إجبار أي شخص هارب من النظام على العودة إلى العراق ضد إرادته ويناشد دول العالم تسهيل إيواء اللاجئين الكورد من طالبي الملاذ.

١٠- يرى إن تطبيق القرار ٦٨٨ يحتاج إلى قوة كافية لحفظ الامن.

١١- يوصي المكتب الموسع إرسال وفد برلماني إلى المنطقة.

١٢- يوصي رئيسه بإرسال نسخة من القرار إلى مجلس الامن والأمم المتحدة وحكومات تركيا وإيران والعراق.

القرى المقصوفة بالغازات حسب المعهد الكوردي للدراسات- باريس

١- (١٥ نيسان ١٩٨٧): هلادين- بركلو- كاني تو- اوزاك- سيروان- نولجيكا-جنارة. وهي تقع في السليمانية ووقع عدد من القتلى وإصابات.

٢- (١٦ نيسان ١٩٨٧): شيخ وسان- توتمة- زلي- قاتي- بالا لوكاوة- الانار- ديرش (بلغ عدد القتلى فيها ١٢١ بينهم ٧٦ طفلا وعند مراجعة ٢٨٦ مصاب لمستشفيات اربيل القي القبض عليهم واعدموا.

٣- (١٧ نيسان ١٩٨٧): قزلار- شنكار- هيزوكالا. (القتلى ١٠).

٤- (١٨ نيسان ١٩٨٧): المناطق المجاورة إلى قيوان (القتلى ٢).

٥- (١٩ نيسان ١٩٨٧) : جوتين- كوفاك- كوناكوتر (عدد الإصابات ٥٢)

٦- (٢١ نيسان ١٩٨٧): منطقة قره دا غ (مئات الجرحى).

٧- (١ مايس، ١٩٨٧): زيوي في دهوك (القتلى ٢ وعدد من الجرحى).

٨- (٢٣ مايس ١٩٨٧): تومار- كمركان (القتلى ١٠ بينهم ٧ اطفال).

٩- (٢٧ مـايس ١٩٨٧): باردوك- بلي- نالي- تاهي (٧٤ قـتيل ومـئات الجرحى).

١٠- (٢٧ مايس ١٩٨٧): نالهان- كوره شير- كندوله (٤٧ قتيل).

١١- (٢٧ حزيران ١٩٨٧) : وادي بالاران- عدد من القتلى.

١٢- (٢٧ حـزيران ١٩٨٧): باركلو- بـاخـمـار- زيوي- بيـره مكرون (٨ قتلى).

١٣- (٣ ايلول ١٩٨٧): ياخسمار- باركلو (اربعة قتلى).

١٤- (١٤ ايلول ١٩٨٧): ميركة بان (٤١ إصابة).

١٥- (٢٥ شباط ١٩٨٨): سركلو- ياخسمار- هلادين- ميزلة (٦٣ قتيل و٨٠٠ جريح).

١٦- (١٦ آذار ١٩٨٨): حلبجة- ايناب- زاماكري (٥٠٠٠ قتيل و ٩٠٠٠ جريح).

١٧- (٢٢ آذار ١٩٨٨): دوكان- سويسمان- جعفران- قره داغ (٧٥ قتيل و ٤٦٠ جريح)

١٨- (١٤ نيسان ١٩٨٨): كرميان

١٩- (٣ مايس ١٩٨٨): قوب تبه- عسكر- جينان- سوتكة- كله شير- زارزي- جامرزان (١٢٠ قتيل و ٨٤٤ جريح)

٢٠- (١٥ مـايس ١٩٨٨): نزانين- هيـران- دولي- واري (٥١ قـتـيل ومئات الجرحى)

تواريخ مهمة

١- القرن السابع الميلادي : بعد دخولهم الإسلام ساهم الكورد في الحضارة الإسلامية بشكل متميز وعلى الاخص في حقل الموسيقى والميدان العسكري. إبراهيم الموصلي الكوردي الاصل من الموصل أسس أكاديمية للموسيقى في بلاط هارون الرشيد وطورها من بعده ابنه اسحق الموصلي.

٢- القرنان العاشر والثاني عشر: ظهور الإمارات الكوردية في الشمال ظهرت إمارة الشداديد (٩٥١-١١٧٤) وعاصمتها كنجة وفي الجنوب ظهرت إمارة حساويد (٩٥٩- ١٠١٥) وفي الغرب ظهرت إمارة مروانيد (٩٩٠- ١١٧٤). وعاصمتها دياربكر. ٣- ١١٦٩-١٢٥٠: السلالة الايوبية تحكم الشرق الاوسط واشهر أمرائها صلاح الدين الايوبي.

٤- القرنان الرابع عشر والخامس عشر : عودة الإمارات إلى الحياة بعد الغزو المغولي وازدهار الحياة الثقافية في بلاط أمراء بتليس وبوتان وهكاري.

٥- ١٥١٤ : تحالف الأمراء الكورد مع السلطان سليم ضد الفرس حيث إندحر الشاه من قبل القوات التركية الكوردية في جالديران شمال كوردستان وشكلت الإمارات الكوردية الحزام الامين لحدود الإمبراطورية الشرقية.

٦- ١٥٩٦ : يقوم شرف خان امير بتليس بإنهاء كتاب شرف نامه يدون فيه تواريخ الشعوب التركية وهو أول عمل حول تاريخ الكورد.

٧- ١٦٩٥: يؤلف احمد خاني رائعته الشعرية الملحمية الكوردية (مم وزين) ودعا فيها إلى إقامة دولة كوردية موحدة.

٨- القرن التاسع عشر: تطبيق السياسة المركزية وقيام عدد من الأمراء الكورد بإنتفاضات بعد تهديد السياسة الجديدة لمراكز قواهم. ثورة عبد الرحمن باشا في السليمانية ١٨٠٦ وثورة بيباس ١٨١٨ وثورة بدرخان ١٨٥٣- ١٨٥٧ وثورة يزدان شير ١٨٨٠ وثورة شيخ عبيد الله النهري.

٩- ١٨٩٨ ظهور أول جريدة ناطقة بالكوردية باسم (كوردستان).

١٠- ١٩٠٨ ثورة الترك الشباب وإعلان دستور جديد يكفل المساواة بين جميع القوميات في الإمبراطورية العثمانية. وفي ١٩٠٩ غير الشباب الترك من سياستهم المعتدلة ومالوا إلى سياسة قومية متعصبة وثم حظر النشر بالكوردية.

١١- ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨: هدنة مدراس واستسلام الإمبراطورية للحلفاء.

١٢- ١٦-٢٦ نيسان ١٩٢٠: مؤتمر سان ريمو ومراجعة الاتفاقيات التي ابرمت اثناء الحرب في ظل ميزان القوى الجديد بعد الحرب. وحصلت بريطانيا على امتياز الانتداب على القسم العربي من العراق وولاية الموصل الكوردية وحصلت فرنسا على سوريا.

١٣- (١٩١٩- ١٩٢٠) اول ثورة كوردية في ولاية الموصل بقيادة الشيخ محمود وتم إخمادها من قبل الانكليز.

١٤- (١٠ آب ١٩٢٠) إبرام معاهدة سيفرز التي اكدت حق الكورد في إقامة دولتهم على الأجزاء الكوردية من الإمبراطورية العثمانية.

١٥- (٢٣ آب ١٩٢١) بعد طرده من قبل الفرنسيين من سوريا يصبح الامير فيصل نجل شريف مكة ملكاً على العراق من قبل بيرسي كوكس

المندوب العـالي البـريطاني في بلاد بين النهـرين. وقـاطع الكورد الإستفتاء على إنتخاب فيصل.

١٦- (٢٠ تشرين الاول ١٩٢١) الإتفاقية التركية الفرنسية ألحقت الجزيرة وجبل كورد داغ بسورية.

١٧- (١٩٢٢- ١٩٢٣) ثورة الشيخ محمود الثانية وإعلان نفسه ملكاً على كوردستان ودخل في إتصالات مع سمكو الذي ثار منذ ١٩٢٠ ضد الشاه واخمدت الثورة مرة أخرى من قبل الانكليز.

١٨- (حزيران ١٩٢٣) معاهدة لوزان تنسخ معاهدة سيفرز.

١٩- (٣ آذار ١٩٢٤) مرسوم كمالي يحظر المدارس والإتحادات والمطبوعات الكوردية وحل البرلمان الذي ضم ٧٢ نائبا كورديا.

٢٠- (شباط- نيسان ١٩٢٥) ثورة الشيخ سعيد وبدات عمليات ترحيل الكورد

٢١- (١٦ كانون الاول ١٩٢٥) عصبة الأمم توافق على ضم ولاية الموصل إلى العراق.

٢٢- (آب ١٩٢٧) المؤتمر التأسيسي لتنظيم خويي بوون اي الاستقلال وضم جميع التنظيمات السياسية الكوردية التي ظهرت بعد الحرب.

٢٣- (١٩٢٨) وضع الإدارات المدنية والعسكرية في الولايات الكوردية تحت إمرة المفتش العام.

٢٤- تنامي حركة خويي بوون في ارارات في عام ١٩٣٠ واتفاق تركي إيراني لإخمادها.

٢٥- (حزيران ١٩٣٠) إغتيال سمكو الزعيم الكوردي على أيدي الحكومة الإيرانية اثناء المفاوضات.

٢٦- (١٩٣١) جعفر سلطان بتزعم حركة تمردية في كوردستان إيران.

٢٧- (١٩٣١) شيخ محمود يعود من منفاه في إيران ويقود حركة تمرد

جديدة في كوردستان العراق. تم إخماد الحركة من قبل الإنكليز واجبر الشيخ محمود على الإقامة في بغداد إلى أن وافته المنية في عام ١٩٥٦. ويثور الكورد في إنتفاضة جديدة بقيادة الشيخ احمد البارزاني شقيق الملا مصطفى البارزاني ويتدخل الطيران الحربي البريطاني لإخماد الحركة.

٢٨- (مايس ١٩٣٢) قانون جديد يجيز ترحيل الكورد إلى وسط الأناضول.

٢٩- (١٩٣٣) البارزانيون يثورون من جديد.

٣٠- (١٩٣٦- ١٩٣٨) إخماد ثورة ديرسيم بوحشية متناهية.

٣١- (١٩٤٣- ١٩٤٥) مصطفى البارزاني يقود انتفاضة في كوردستان العراق ثم يذهب إلى إيران مع عدة مئات من المقاتلين وينضم إلى جمهورية مهاباد.

٣٢- (آب ١٩٤٥) تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني وفي ١٦ آب ١٩٤٦ تم تاسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي من قبل ملا مصطفى البارزاني.

٣٣- (١٣ كانون الثاني ١٩٤٦) إعلان اول جمهورية كوردية في مهاباد بقيادة قاضي محمد وسحقت بعد سنة من قيامها. البارزاني الذي تولى قيادة القوات العسكرية للجمهورية إستطاع ومعه مئات المقاتلين من اتباعه شق طريقهُ إلى الإتحاد السوفيتي عبر الحدود الإيرانية التركية.

٣٤- (آب ١٩٥٣) عودة شاه إيران في انقلاب نظام CIAعلى مصدق.

٣٥- (١٩٥٦) ظهور حلف بغداد الذي ضم إيران وتركيا وباكستان والعراق ومن اهدافه التعاون على إخماد الحركات الكوردية في هذه الدول.

٣٦- (١٩٥٧) تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في سوريا.

٣٧- (١٤ تموز ١٩٥٨) الإطاحة بالنظام الملكي في العراق في انقلاب عسكري قاده الجنرال عبد الكريم قاسم. واعلن في ١٧ تموز شراكة العرب والكورد في العراق.

٣٨- (٦ كانون الثاني ١٩٦٠) إعتراف بالحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي KDPI كحزب رسمي.

٣٩- (٢٧ مايس ١٩٦٠) الإطاحة بحكومة مندرس في تركيا في انقلاب عسكري.

٤٠- (ربيع ١٩٦١) منع الصحف الكوردية من الصدور بعد إتهامها بترويج النزعة الإنفصالية في تركيا.

٤١- (١١ ايلول ١٩٦١) بدء الحركة المسلحة في كوردستان العراق.

٤٢- (٨ شباط١٩٦٣) الإنقلاب البعثي الأول ووقف إطلاق النار وبدء مطاردة الشيوعيين.

٤٣- (حزيران ١٩٦٣) بدء حملة عسكرية جديدة ضد الكورد وحزب البعث السوري يشترك في القتال ضد الكورد بلواء من الجيش.

٤٤- (١٨ تشرين ١٩٦٣) الجنرال عارف يطرد البعثيين ويستولي على الحكم.

٤٥- (١٠شباط ١٩٦٤) بعد عقد الهدنة مع عارف يحدث إنقسام في الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق. جلال الطالباني وإبراهيم احمد يعارضان سياسة البارزاني. الجناح السياسي يلجا إلى إيران وبعدها يعود إلى بغداد.

٤٦- (آذار ١٩٦٥) استئناف العمليات العسكرية التي استمرت حتى حزيران ١٩٦٦.

٤٧- (خريف ١٩٦٥) السماح لأول مرة للأجانب بدخول المناطق الكوردية في تركيا بعد عقود من الحظر.

٤٨- (١٩٦٧- ١٩٦٨) تمرد فلاحي كوردستان إيران.

٤٩- (تموز ١٩٦٨) عودة حزب البعث عقب انقلابين في ١٧ و ٣٠ تموز واحمد حسن البكر الذي كان رئيسا للوزراء عام ١٩٦٣ يصبح رئيساً للجمهورية وتبدأ المعارك ضد البارزاني في ١٩٦٩ (الكاتب يقول ١٩٦٣).

٥٠- (١١ آذار ١٩٧٠) إتفاق عراقي كوردي على صيغة للحكم الذاتي على أن تستكمل مؤسساته في غضون اربع سنوات.

٥١- (١٩٧٠- ١٩٧٤) فترة اللا حرب واللا سلم. محاولات لإغتيال البارزاني وبدء سياسة التعريب ونشوب خلافات حول حدود منطقة الحكم الذاتي.

٥٢- (١٢ آذار ١٩٧٥) انقلاب عسكري في تركيا واعتقال الآلاف من الكورد بتهمة النزعة الإنفصالية.

٥٣- (ربيع ١٩٧٢) عقد معاهدة صداقة وتعاون بين العراق والإتحاد السوفيتي لعزل الكورد ووقف التأييد السوفيتي لهم. إيران تقرر تقديم المساعدات للكورد وتأتي معونة أميركية حذرة.

٥٤- (آذار ١٩٧٤) بغداد تصدر قانون الحكم الذاتي وتطلب من الزعماء الكورد الموافقة عليه. بحلول نيسان تبدأ المعارك.

٥٥- (٦ آذار ١٩٧٥) إتفاقية الجزائر بين شاه إيران وصدام حسين ووقف المساعدات الإيرانية للقوات الكوردية.

٥٦- (نهاية آذار ١٩٧٥) القيادة الكوردية تتخلى عن الكفاح وتغادر إلى إيران والمقاومة الكوردية تنهار.

٥٧- (حزيران ١٩٧٦) بدء حرب العصابات في كوردستان العراق.
٥٨- (١٩٧٧- ١٩٧٨) انتفاضة الحركات السياسية وظهور PKK.
٥٩- (شباط ١٩٧٩) سقوط الشاه واستيلاء قاسملو على مهاباد.
٦٠- (آذار ١٩٧٩) وفاة الملا مصطفى البارزاني في الولايات المتحدة وإيران تسمح بدفن جثمانه في إيران.
٦١- (آب ١٩٧٩) آية الله خميني يعلن الجهاد ضد الكورد وإعدام عدد من النشطاء الكورد بدون محاكمة.
٦٢- (ايلول ١٩٨٠) بدء الحرب العراقية الإيرانية وإنهاء اتفاقية الجزائر. واستغل طرفا النزاع الورقة الكوردية لإضعاف الخصم.
٦٣- (تموز ١٩٨٣) قيام الجيش العراقي بتطويق مجمع قوش تبه وديانا ويلقي القبض على جميع البارزانيين من عمر ١٢- ٧٠ سنة ونقلوهم إلى أماكن مجهولة ولا يزال مصير ٨٠٠٠ بارزاني مجهولاً.
٦٤- (تشرين الاول ١٩٨٣) الحكم على مهدي زانا رئيس بلدية ديار بكر بالسجن لمدة ٢٥ سنة لتحدثه بالكوردية اثناء الدوام الرسمي في دائرته.
٦٥- (كانون الاول ١٩٨٤) : السجناء في ديار بكر يضربون عن الطعام إحتجاجا على سوء معاملة السلطات لهم. ويموت ١٧ منهم.
٦٦- (حزيران ١٩٨٤) بدء حرب العصابات من قبل PKK في تركيا.
٦٧- (شباط ١٩٨٥) الحكم على ٢٢ من اعضاء PKK بالإعدام وعلى ٣٠١ آخرين باحكام متفاوتة بتهمة محاولة إقامة دولة ماركسية على اراضي تركيا.
٦٨- (تشرين الثاني ١٩٨٥) إعدام ٦٠ كورديا في سجن ابي غريب وإعدام عدد مماثل في سجن الموصل.

٦٩- (نيسان ١٩٨٥) انتهاء التحالف بين مسعود رجوي و الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني.
٧٠- (كانون الثاني ١٩٨٧) وفاة إدريس البارزاني احد ابرز قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي عن عمر ناهز ٤٣ سنة وفي هذا الشهر تم تسليم ٤٣ جثة مشوهة وعليها اثار التعذيب إلى ذويهم وتغريمهم ثمن الاطلاقات وتكلفة عملية الإعدام.
٧١- (آذار ١٩٨٧) لأول مرة تذكر وزارة الخارجية الاميركية قضية كورد تركيا.
٧٢- (نيسان ١٩٨٧) يشجب البرلمان الاوروبي تعذيب العراقيين والفتيان دون ١٨ سنة من العمر.
٧٣- (١٥- ٢٢ نيسان ١٩٨٧) العراق يستعمل غاز الخردل ضد الكورد في العراق وموت ٥٠٠ شخص لتعرضهم للمواد الكيمياوية.
٧٤- (حزيران ١٩٨٧) البرلمان الاوروبي في ١٨ حزيران يعترف بحصول مجازر الأرمن ويطالب تركيا بالاعتراف بالأقلية الكوردية فيها.
٧٥- (آب ١٩٨٧) الطائرات العراقية تقصف المخيمات للاجئين الكورد في إيران.
٧٦- (١٩٨٧) إقامة الجبهة الكوردستانية التي ضمت ثمانية احزاب كوردية.
٧٧- (١٦ آذار ١٩٨٨) قصف حلبجة بالسلاح الكيمياوي وموت حوالي ٥٠٠٠ شخص.
٧٨- (مايس ١٩٨٨) تدمير ٣,٤٧٩ قرية كوردية من اصل ٥,٠٨٦ قرية
٧٩- (٢٠ آب ١٩٨٨) وقف إطلاق النار بين العراق وإيران.
٨٠- (آب ١٩٨٨- ١٠ايلول ١٩٨٨) قصف القرى المحاذية للحدود التركية بالغازات وهروب نحو ١٠٠,٠٠٠ كوردي إلى تركيا وإيران.

٨١- (١٣ تموز ١٩٨٩) اغتيال عبدالرحمن قاسملو رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني في فيينا على ايدي الوفد الإيراني المفاوض معه.

٨٢- (٢ آب ١٩٩٠) غزو العراق للكويت والاستيلاء عليها.

٨٣- (١٧ كانون الثاني ١٩٩١) حرب الخليج التي انتهت في السادس من آذار.

٨٤- (آذار ١٩٩١) انتفاضة الكورد في الشمال وسيطرتهم على جميع المدن وتركيا تسمح للكورد بالتحدث بالكوردية.

٨٥- (١٤- ١٨ آذار ١٩٩١) هزيمة الجيش أمام البيشمركة في كركوك.

٨٦- (٢٧ آذار ١٩٩١) هجوم الجيش العراقي على الكورد وهروب نحو ١,٥ مليون كوردي إلى تركيا وإيران.

٨٧- (٥ نيسان ١٩٩١) مجلس الأمن يتبنى القرار ٦٨٨ ويشجب قمع الكورد من قبل بغداد.

٨٨- (١٠ نيسان ١٩٩١) واشنطن تمنع صدام من استخدام سلاحه الجوي.

٨٩- (١٦ نيسان ١٩٩١) واشنطن توافق على المقترح الاوروبي بتدخل بري لحماية الكورد وتدخل قوات بريطانية وفرنسية واميركية إلى زاخو.

٩٠- (٢٤ نيسان ١٩٩١) صدام والجبهة الكوردستانية يعلنان اتفاقا حول الحكم الذاتي.

٩١- (كانون الاول ١٩٩١) السيد ديميريل يعترف بوجود كوردي في تركيا.

٩٢- (مايس ١٩٩٢) اول انتخابات كوردية في كوردستان العراق.

كلمة أخيرة

إن وضع كوردستان المحاطة بدول اجنبية غير صديقة يبقى بالغ الغموض وتحيط به الشكوك وهو مرهون إلى حد كبير ببقاء نظام صدام حسين. الأوضاع الإقتصادية والمالية سيئة بسبب الحصار والتدخل التركي في انسيابية تدفق البضائع ولأن الأمم المتحدة معنية بالتعامل مع بغداد فقط كل هذا يعطي انطباعاً بأن الحكم الذاتي المنشق على بغداد ما هو إلا ضرب من الوهم والكورد عملياً يعيشون على المعونات الدولية. التهريب والسوق السوداء يعطيان نوعا من المتنفس الاقتصادي ويحولان دون حدوث ازمة خانقة في السوق وخاصة في مجال الوقود والكهرباء. إن قيام بغداد بسحب عملتها من فئة ٢٥ دينار وقيام طهران بطبع عملة عراقية مزيفة سببا اضطرابا في المعادلة الإقتصادية الضعيفة.

إن ٤/٣ سكان المدن عاطلون عن العمل ويسكن ٣/٢ من الكورد في هذه المدن بسبب تدمير القرى ونزوح سكانها إلى المدن او السكنى في مجمعات قريبة من الطرق العامة ومعسكرات الجيش لسهولة السيطرة عليها. إن نحو ٢,٥ مليون كوردي من أصل أربعة ملايين يعيشون اليوم في مدن السليمانية وأربيل ودهوك والمناطق المجاورة لها. والمنطقة المأهولة بالسكان من كوردستان أصبحت بمساحة ٨٠ كم ٢٠٠كم عرضا و ١٢٠ كم طولاً ولا يشمل ذلك كركوك والموصل اللتان هما تحت سيطرة حكومة بغداد.

إن الجبهة الكوردستانية المشكلة قبل إنتخابات ١٩٩٢ من الحزبين

الرئيسيين الديمقراطي الكوردستاني والإتحاد الوطني الكوردستاني مع ستة أحزاب أخرى تبقى جبهة ذات قطبين.

إن كوردستان العراق تحكمها كتلتان سياسيتان تنافس إحداهما الأخرى وكلتا الكتلتين تشغلان نفس ساحة العمل وتشل احداهما حركة الأخرى جهد طاقتها. إن KDPI قوي وينشط في منطقة بهدينان الكائنة في الشمال الغربي من كوردستان العراق. و PUK نشط وفعال في منطقة السليمانية وما يجاورها. إن الوزراء الثمانية عشر عليهم إدارة وضع هو في غاية التعقيد. وشكلت الجبهة إدارة على مستوى محافظات يديرها محافظون وقائم مقامون ولكن السلطة الحقيقية تبقى بأيدي كل من الطالباني والبارزاني اللذان يكثران من السفر إلى الخارج.

كل القرائن والدلائل تشير إلى ان الطرق غير آمنة ليلا وفي الوقت الذي يمنع فيه حمل السلاح داخل المدن فان حمله غير محظور في المنطقة الريفية حيث يشاهد القرويون وهم يحملون بنادق كلاشينكوف الروسية بكثرة.

بعد سنة من المراوغة وبسبب احتجاجات الفلاحين قرر المجلس تبني قانون الإصلاح الزراعي. إن مشاكل الماء والارض هي مشاكل مستفحلة وقديمة ومستعصية في المنطقة الكوردية شأنها في ذلك شأن سائر مناطق الشرق الأوسط.

إن خطط الإصلاح الزراعي للسنوات ٧٠- ٧٩- ١٩٨٥ لم تطبق إلا جزئياً وتركت مساحات كبيرة بيد الآغوات الذين كانوا فعالين جدا أثناء الإنتفاضة عام ١٩٩١. إن وضع خطة الإصلاح الزراعي الجديدة موضع التنفيذ (مصادرة الأراضي وإعادة توزيعها) سيأخذ وقتا وسيؤدي إلى حدوث مشاكل. والشيء الآخر الذي يستوجب الذكر هو ان هنالك إتفاقية

مع الجانب التركي تقضي بإزالة قواعد PKK من الشمال العراقي ومنذ تشرين الاول ١٩٩٢ حدثت مصادمات دموية بين بيشمركة كورد العراق ومقاتلي PKK الذين رفضوا إخلاء قواعدهم داخل كوردستان العراق (هاكورك- شيفي- وحفتطنين) في تشرين الاول تحركت قوات تركية قوامها ٢٠,٠٠٠ جندي إلى داخل العراق لتطهير المنطقة الحدودية من مقاتلي حزب العمال الكوردي. وفي نهاية تشرين الاول وقع PKK والكورد العراقيين اتفاقية اشترطت على PKK عدم إستعمال الأراضي العراقية قاعدة إنطلاق لوجستية.

دخل الكورد العراقيون في تحالف مع المعارضة العراقية لنظام صدام سمّي بالتحالف الديمقراطي العراقي. إلا أن هذا التحالف الذي طرح نفسه بديلا لنظام صدام لم يلق ترحيباً من سوريا التي رأت فيه مبادرة اميركية.

تم إعادة بناء بعض القرى المدمرة في كوردستان مستخدمين مواد بناء قليلة كانت هي المتوفرة عندئذ وبقيت المدن الكوردية تعاني من مشاكل خطيرة كونها مدناً غير منتجة وإدارتها تتطلب تكاليف باهظة. وعلى كل حال كان حصاد ١٩٩٣ وفيراً.

يأتي عدد من الكورد من بلاد المهجر في أوروبا وأميركا إلى الوطن للإقامة فيه مجدداً ولكنهم بدلاً من ان يستقر بهم المقام في كوردستان سرعان ما يلملمون حاجاتهم ويعودون من حيث أتوا لأن الحكومة لا تجد في نفسها القدرة على الاستفادة منهم. هنالك نقص في الكادر السياسي المؤهل ويبذل المسؤولون جهداً في تهيئة وتأهيل الأعداد الكافية.

على الصعيد الإجتماعي التجار يزدادون ثراءً والطبقات الوسطى واقعة تحت ضغوط اقتصادية خانقة ونسبة عالية من السكان يعتمدون بشكل

يكاد يكون تاماً على الإعانات الإنسانية. إن إدارة منطقة الحكم الذاتي تمول نفسها من واردات الرسوم الكمركية التي تبلغ ٩٠ مليون ديناراً بينما الحاجة الإدارية تقدر بـ١٥٠ مليون دينار.

أما على الصعيد العسكري فان كوردستان ليست حصينة فالقوات المسلحة يبلغ مجموعها ٣٠,٠٠٠ مقاتل بمعدل ١٢,٠٠٠ لكل من الحزبين الرئيسيين وهي مجهزة تجهيزا خفيفا. وفي مفهوم الإستراتيجية العسكرية فان الإستيلاء على زاخو على الحدود مع تركيا وسوريا يعني خنق أيةِ مقاومة طويلة. أما على المدى القصير والمتوسط فان منطقة الحكم الذاتي تواجه مشكلتين داخليتين كبيرتين. اولاهما ضرورة إيجاد أرضية لإقتصاد أقل إتكالية على المعونة الخارجية. والثانية عليها إيجاد قاعدة يمكن بواسطتها الإحتفاظ بإستمرارية المقاومة العسكرية.

عملياً إن البيئة الإقليمية وعلى نطاق واسع هي بيئة سلبية فيما يتعلق بمستقبل الكورد. ففي العراق يبلغ عدد القوات المسلحة المرابطة على خط التماس مع منطقة الحكم الذاتي حوالي ٦٠- ٧٠ الف جندي وهم مسلحون تسليحا جيدا وتتربص هذه القوات اللحظة المواتية للإنقضاض على المنطقة.

أما إيران فإنها تريد القضاء على الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي رغم انها كانت في وقت ما على صلات جيدة مع مسعود البارزاني. في إعقاب اغتيال قاسملو وعدد آخر من القادة الكورد في ١٩٨٩ و ١٩٩٢ قامت الطائرات الإيرانية في مايس وحزيران من عام ١٩٩٣ بقصف متكرر لمواقع KDP العراقي القريبة من الحدود الإيرانية. ومنذ ١٩٨٤ كانت القرى القريبة من الحدود اهدافاً للغارات الإيرانية والغاية منها تأليب الأهالي على الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي

كان يحتفظ بقواعد تجاور هذه القرى. وبعد خسارة KDP الإيراني لخيرة قادته وجد نفسه في خضم أحداث كبيرة لا قبل له بها.

أما سوريا التي كانت في يوم ما راعية PUK حزب جلال الطالباني ولا تزال تفعل ذلك فإنها لا تترك فرصة إلا وتؤكد على هيمنتها وتبدي عدم رضاها من وجود اتصالات بين المعارضة العراقية و PUK عضو فيها وبين الحكومة الاميركية. يوجد في سوريا حوالي ٨٠٠,٠٠٠ كوردي و٢٥٠,٠٠٠ منهم لايمتلكون الجنسية السورية. وسوريا على علم تام بوجود كورد سوريين يقاتلون في صفوف PKK. العلاقات بينها وبين تركيا متوترة (الإسكندرونة وقضية اوجلان والسدود على الفرات).

إن دول المنطقة قاطبة تمانع قيام اي كيان كوردي. في تشرين الثاني ١٩٩٢ في انقرة وفي شباط ١٩٩٣ في دمشق وفي حزيران ١٩٩٣ في طهران عقدت إجتماعات بين وزراء خارجية هذه الدول واعربوا مجتمعين معارضتهم لقيام دولة كوردية وعبروا عن تاييدهم لوحدة العراق رغم وجود خلافات عميقة بينها على مسائل عديدة.

ولنضع التطورات في العراق جانبا ونعود إلى تركيا والكورد فيها. بعد فترة طويلة امتدت لعدة عقود من الزمان وهي تنكر وجود الكورد فيها (١٩٢٤-١٩٩١) فإنها وعلى لسان رئيسها توركوت اوزال اثناء حرب الخليج اعترف بوجود ١٢ مليون كوردي في تركيا وهذا عدد يساوي ٢٠ ٪ من مجموع سكانها. وبعد أشهر يأتي دور رئيس الوزراء ديميريل ليؤكد هو الآخر حقيقة الوجود الكوردي على زراضي تركيا. لقد جاءت هذه التصريحات في فترة قيام حزب العمال الكوردي بعمليات قتالية في تركيا. وأثناء حرب الخليج أخذت تركيا تلوح وتهدد بأنها ستضع يدها على ولاية الموصل في حالة تجزئة العراق. في هذا الوقت تسيطر تركيا

على الطريق الوحيد الذي يربط كوردستان بالعالم الخارجي الأمر الذي ساعد تركيا على إستحصال التعاون الكوردي لإزالة قواعد PKK من مناطق الحدود داخل كوردستان العراق ورفضت العرض الذي قدمه PKK للتفاوض عام ١٩٩٣. إن PKK .PUK. KDPI جميعهم يقرون بان موت توركوت اوزال جمد الأمور التي كان من المحتمل ان تفضي إلى حوار جاد وبناء.

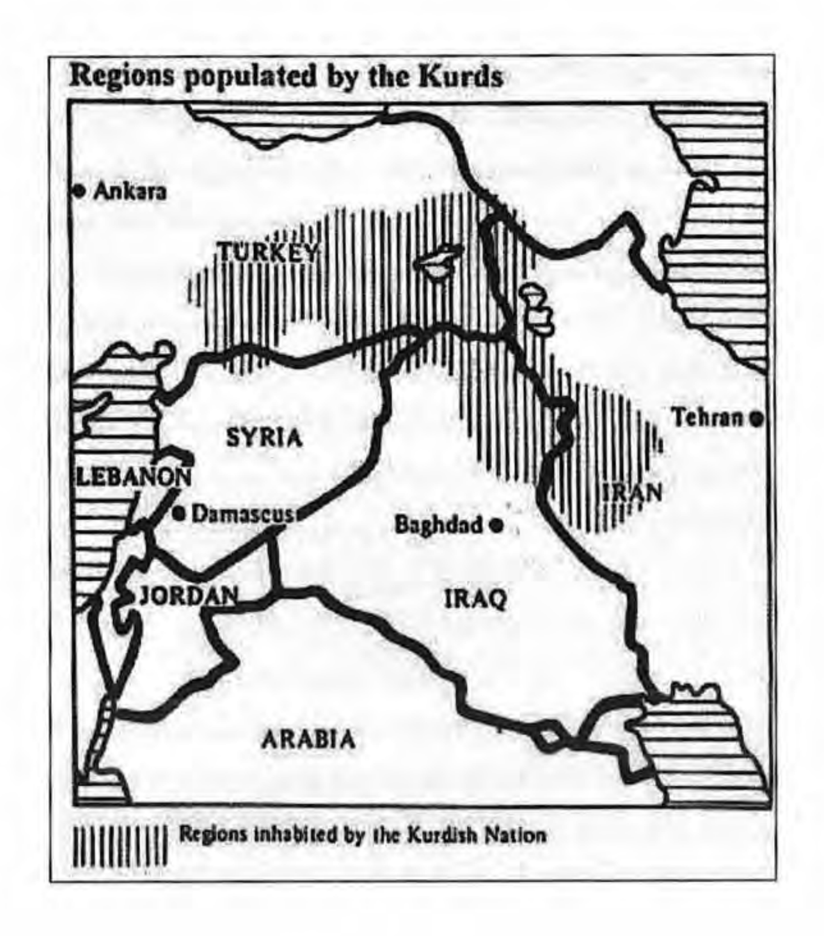
ويمكن تلخيص الموقف على الارض كالآتي : الجيش التركي يقوم بحملة قوية لفرض السيطرة مستخدما قوات مجهزة تجهيزا جيدا. الحصار الاقتصادي على العراق يزيد من عزلة الكورد في العراق. المنطقة الجبلية التي اقام فيها PKK قواعده معرضة للهجمات. إن حزب العمال الكوردي أصبح يعاني من الضعف وهو يعمل وسط أُناس انهكهم القمع ومضطرون على ترك قراهم لأن الحياة فيها أصبحت شاقة للغاية. إن الجيش التركي يتحدث عن إمكانية إحراز نصر عسكري. إن الهجمات الإرهابية على السفارات والمباني الأخرى في اوروبا في حزيران ١٩٩٣ كان الغرض منها جذب الإنتباه الدولي إلى الحرب الدائرة في كوردستان تركيا. تلك الحرب التي عبّأت لها تركيا ١٥٠,٠٠٠ جندي. وعملية اخذ الرهائن في آب ١٩٩٣ كانت ترمي إلى الغرض نفسه.

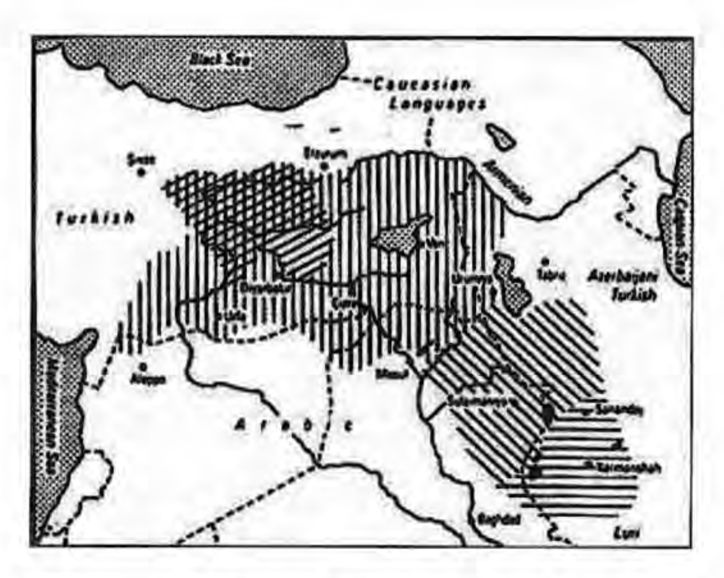
رغم الإنفتاح النسبي في شرق ووسط الاناضول فإن الكورد في الحقيقة ومنذ الإعتراف التركي بوجود كوردي في تركيا لم يحصلوا إلا على شيء واحد وهو السماح لهم بالتحدث بلغتهم بشكل علني. وإزداد الموقف التركي قوة عندما سمحت للحلفاء بشن هجماتهم الجوية على العراق من قواعد في انجرليك التركية. إن من بين الدول الثلاث المعنية بشأن الحكم الذاتي للكورد في العراق يبدو إن تركيا هي الاكثر تشددا

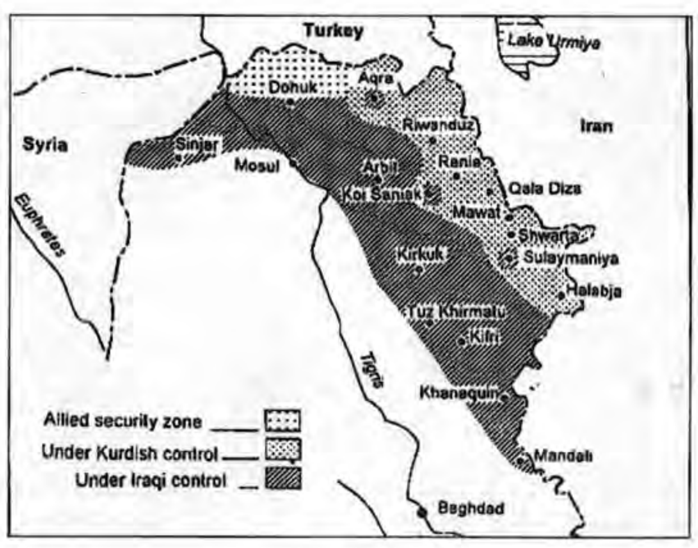
وتصميما على عدم السماح لقيام دولة كوردية منشقة على العراق.

إن تركيا هي الدولة الثالثة بعد إسرائيل ومصر المتلقية للمساعدة الاميركية وهي حليفة أساسية وإستراتيجية لأميركا. وهذا الأمر والميزة يعطي تركيا مجالا رحبا للمناورة والعمل. إن الهجمات علىPKK ستستمر لإستئصال قواعد إسناده مما حدى بـ PKK إلى تغيير تكتيكه القتالي والتوجه نحو المدن في عملياته الإرهابية التي ستؤثر على الاقتصاد التركي وخاصة على الجانب السياحي الذي هو مصدر مهم للتمويل بعد تفكك يوغوسلافيا.

إن النتائج التي يمكن إستخلاصها من كل ما تقدم هي ان دول المنطقة التي يعيش فيها الكورد متحدة فيما بينها لمنع قيام كيان كوردي والأمر الآخر هو ان الكورد في العراق يعتمدون بدرجة اقل على جهودهم من الظروف التي هي خارج نطاق سيطرتهم.


Regions populated by the Kurds
Ankara
TURKEY
SYRIA
LEBANON
Damascus
JORDAN
Baghdad
IRAQ
IRAN
Tehran
ARABIA
Regions inhabited by the Kurdish Nation


Black Sea
Caucasian Languages
Turkish
Azerbaijani Turkish
Aleppo
Mosul
Arabic
Baghdad
Luri


Turkey
Lake Urmiya
Syria
Iran
Dohuk
Aqra
Riwanduz
Sinjar
Mosul
Arbil
Ranie
Koi Saniak
Qala Diza
Mawat
Shwarta
Kirkuk
Sulaymaniya
Halabja
Euphrates
Tuz Khirmatu
Kifri
Tigris
Khanaquin
Mandali
Baghdad
Allied security zone
Under Kurdish control
Under Iraqi control